ابن قرناس: الحديث والقرآن

ابن قرناس

الحديث والقرآن

منشورات الجمل

ابن قرناس: الحديث والقرآن

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

Postfach 210149. 50527 Köln. Germany
Tel: 0221 736982. Fax: 0221 7326763
www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ .

بني إسرائيل٨٩

ديباجة

المسلم العادي، بغض النظر عن المذهب الذي ينتمي إليه، يستشهد بالأحاديث أثناء نقاشاته الدينية أكثر من استشهاده بالآيات القرآنية، برغم أنه لا يقرأ كتب الحديث، وإذا قرأ فهو فقط يبحث عن مقاطع في أحاديث معينة سمعها من مرجعه الديني، ولا يفهم منها إلا المعنى الذي يردده عليه رجل الدين.

ولو أتاح لنفسه الفرصة لتقليب أي كتاب من كتب الحديث، وتمعن فيما يقرأ، فسيجد قصصاً وأخباراً وأساطير من كل حدب وصوب، وكلها تنسب لله وللرسول. برغم أنها تخالف ما يقوله الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم، وما كان عليه الرسول من الخلق القويم، بل وتنسب لله ما لا يليق، ولرسوله ما لا يعقل.

فهي قصص تعكس الزمن الذي اختلقت فيه، والعادات والإتجاهات الفكرية السائدة في ذلك العصر; وليست كما يظن أغلب المسلمين، أنها تتحدث عن أفعال وأقوال الرسول صلوات الله عليه، وإن نسبت إليه.

فكتب الحديث تحوي الأمثال والحكم الجاهلية، وإسرائيليات يتداولها أهل الكتاب بينهم، وقصص مقتبسة أو منسوخة نسخاً حرفياً من كتبهم المقدسة، كما سنرى.

وهذا مثال على حكايات من نسج الخيال: حدّثنا قتيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا

مُغيرةُ بن عبد الرحمن القُرَشيُّ عن أبي الزِّناد عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لما قَضى اللهُ الخلقَ كتبَ في كتابهِ، فهوَ عندَهُ فوقَ العَرشِ: إنَّ رَحْمتي غلَبَتْ غَضَبي»[١].

لم يتساءل لا ناقل الحديث ولا كاتبه ولا أحد من رجال الدين لماذا يكتب الرحمن عز وجل عبارة «إنَّ رَحْمتي غلَبَتْ غَضَبي» ويحتفظ بها عنده فوق العرش، حيث لا أحد من خلقه يستطيع أن يصل إليها؟

وفي كتب الحديث نجد أقوالاً بعضها ينسب للرسول وبعضها لم ينسب إليه، سيقت لكي ينى عليها تفسير أو فقه أو نسخ آيات أو سبب نزول.

وهناك قصص من التراث المندائي والمجوسي والهندي والإغريقي، ومن كل تراث.

كما نجد أن نص الحديث الواحد قد دخله الحذف والإضافة والتعديل والتبديل. وهذا مثال على ذلك: حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ حدَّثَنا سُفيانُ عن عُبَيدِ اللهِ بنِ أبي يزيدَ عن نافعِ بنِ جُبَيرِ بن مُطْعمٍ عن أبي هريرةَ الدَّوسيِّ رضيَ اللهُ عنه قال: «خرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في طائفةِ النهارِ لايُكلِّمُني ولاأُكَلِّمهُ، حتّى أتى سُوقَ بني قَينُقاعَ، فجلَسَ بفِناءِ بيتِ فاطمةَ فقال: أثَمَّ لُكَعُ، أثَمَّ لُكَعُ؟ فحبَسَتْهُ شيئاً، فظَننْتُ أنها تُلبِسُهُ سِخاباً أو تُغَسِّلهُ، فجاءَ يَشتَدُّ حتّى عانَقَهُ وقَبَّلهُ وقال: اللّهمَّ أحِبَّه وأحِبَّ من يُحِبُّه».

قال سُفيانُ: قال عُبيدُ اللهِ: أخبرَني أنهُ رأى نافِعَ بنَ جُبَيرٍ أوتَرَ برَكعةٍ[٢]. إنتهى

(١) نفس الباب السابق

(٢) باب ما ذكر في الأسواق ـ كتاب البيوع

فالحديث في البداية يقول أن أبا هريرة تبع الرسول حتى أتى سوق يهود بني قينقاع، ثم فجأة يجلس بفناء بيت ابنته فاطمة. وبيت فاطمة يقع في مساكن المسلمين المسمى بالمدينة، بينما سوق بني قينقاع يقع في يثرب اليهود.

ومن الواضح أن القصة مبتورة، ووصلت بجزء من قصة أخرى تتحدث عن جلوس الرسول بفناء فاطمة. ثم أُدخل على النص جزءٌ من قصة ثالثة لا علاقة لها بمسير الرسول لسوق بني قينقاع ولا بجلوسه في فناء بيت ابنته، وهو قوله «أَثَمَّ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ» دون أن تستمر هذه القصة لتخبرنا من هو لكع ولماذا أثم، ولا كيف عرف الرسول بأنه أثم وهو لم يكشف عن قلبه.

ثم تعود القصة لتكمل أن الرسول جلس بفناء بيت فاطمة التي تباطأت عن إخراج أحد أولادها للرسول «فحبَسَتْهُ شيئاً، فظَنَنْتُ أنها تُلبِسُهُ سِخاباً أو تُغَسِّلهُ» وأن الرسول قد قبله وقال: «اللّهمَّ أحِبَّه وأحِبَّ من يُحِبُّه».

ثم تأتي إضافة غريبة وبدون مقدمات ولا مناسبة في النهاية، تقول: «قال سُفيانُ: قال عُبيدُ اللهِ: أخبرَني أنهُ رأى نافِعَ بنَ جُبَيرٍ أوتَرَ برَكعةٍ».

وهناك قصص وحكايات لم تنسب للرسول وليس لها أي مغزى، مثل الحديث التالي:

«وقال خارجةُ بنُ زيدٍ: رأيتُني ونحنُ شُبَّانٌ في زَمنِ عثمانَ رضي اللهُ عنه وإن أشدَّنا وثبةً الذي يثبُ قبرَ عُثمان بنِ مَظعون حتى يُجاوِزَهُ. وقال عثمان بن حَكيم: أخذَ بيدِي خارجةُ فأجْلَسَني على قبرٍ وأخبرَني عن عمِّه يزيدَ بنِ ثابتٍ قال: إنَّما كُرِه ذلِكَ لِمنَ أحدَثَ عليهِ وقال نافع: كان ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما يجلسُ على القبورِ»[١].

(١) باب ذكر الملائكة ـ كتاب بدء الخلق

فمالذي يستفيده دين الله من وصية الأسلمي؟

وهل يمكن إعتبار الوثب على القبور رياضة إسلامية لأن خارجةُ بنُ زيدٍ وأصحابه فعلوها؟

واعتبار الجلوس على القبر سنة مؤكدة لأن ابن عمر واضب عليها؟

وتزخر كتب الأحاديث بقصص أختلقت للإستدلال على موضوع، ولم يفطن راويها أنه طعن في الرسول. وأخرى أساطير من نسج الخيال، وقصص من يصدقها فلا عقل له، مثل الحديث الذي يقول أن الفئران في الأصل كانت أمة من بني إسرائيل، والدليل أنها لا تشرب لبن الإبل، وتشرب لبن الشاء، لأن بني إسرائيل لا يشربون لبن الإبل ويشربون لبن الشاء(١).

وأي حديث ورد في كتب الحديث، يمكن أن نجد حديثاً آخر يناقضه في نفس الكتاب، وكلا الحديثين المتضادين ينسب للرسول.

ولو أن ما جاء في كتب الحديث اعتبر نوع من التاريخ، من شاء فليصدق بما جاء فيه، بعضه أو كله، فلن يضير الله ورسوله ودينه منه شيء، لكن ما حدث هو أن رجال الدين يصرون على أنه جزء من دين الله، وأن من يحاول أن ينزه دين الله من غثه، فقد كفر، حسب رأيهم.

والرسول محمد ابن عبدالله، تميز عن كل الرسل بأمرين: أولهما أن الله اختاره ليكون خاتماً للنبيين. والثاني: أن يكون رسولاً للناس أجمعين.

ولم يكن السبب لأنه إنسان فريد من نوعه، أو أن رسالته التي جاء بها تختلف عن الرسالات الأخرى، ولكن لأنها الرسالة الوحيدة التي كتبت وبقيت نصوصها مكتوبة كما نزل بها الوحي.

---

(١) الحديث ورد في باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ـ كتاب بدء الخلق.

فيما كان الرسل السابقين يرسلون لأقوامهم دون غيرهم من الناس، وكان التبليغ يتم مشافهة ولا يكتب: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾إبراهيم٤

عدا ألواح موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف١٤٥

التي فُقِدت بعد وقت قصير من وفاته وإلى الأبد.

ولم يكتب لبني إسرائيل أي نصوص وحي نزلت على رسلهم الذين جاؤا بعد ذلك، بما فيهم عيسى ابن مريم، الذي كان إنجيله عبارة عن تجديد شفهي لتشريعات التوراة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة٤٦

فكان وجود الوحي بين الناس في الأمم السابقة، مرتبط بوجود شخص الرسول، وعندما يتوفاه الله تبدأ دعوته بالموت معه، وبعد حين يحتاج الناس لرسول آخر يجدد لهم دينهم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة٢١٣

أما رسالة محمد فقد كانت نصوص الوحي تنسخ في ذاكرته مباشرة، بطريقة لا تنسى، دون أن يكون بحاجة لترديدها ليحفظها: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة١٦ ـ ١٩

وبعد أن يتلقاها، كان يمليها وتكتب بإشرافه، وعندما مات بقي كل الوحي مكتوباً على شكل سور قرآنية، كما نزلت عليه في حياته: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الزمر٤١

ومات محمد، لأنه بشر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران١٤٤.

وبقي الدين لأنه لله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمرآن٨٥

ولم يعد الناس بحاجة لرسول يأت من بعده: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ الأحزاب٤٠

لأن أي رسول لن يأتي بوحي يخالف ما في القرآن أو يزيد عنه أو ينقص منه، فلا حاجة لمجيئه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام١٩

فكانت الدعوة للإسلام بواسطة قراءة الآيات القرآنية، سواءً كان ذلك زمن رسول الله، أو بعد وفاته، ولم يوحى للرسول غير القرآن: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق٤٥

ولم يحتج الرسول أن يدعم دعوته بغير القرآن، لأنه كلام من خَلَق الخلق ويعلم ما يناسبهم. ومن السذاجة الإعتقاد أن بشراً يستطيع أن يأتي بما لم يأت به القرآن، كدعم لدين الله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾بني إسرائيل٨٨

ولو حاول أحد أن يأتي بعبارات تحاكي عبارات القرآن، فستبدوا سطحية تدعوا للسخرية، مع أن التحدي الحقيقي ليس بمحاكات عبارات القرآن المتناهي الفصاحة، ولكن بالإتيان بتشريعات مماثلة لتشريعات القرآن، التي تضمن لمن آمن بها وتبعها سعادة الدنيا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.....﴾ الأعراف٩٦

وسعادة الآخرة: ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آل عمرآن١٣٦

فكان من الطبيعي ألا يسمح الرسول عليه صلوات الله، بكتابة الأحداث التي جرت في عصره وكلامه وتصرفاته حتى لا يخلط الناس بينها وبين شرع الله الممثل بالقرآن، وحتى لا يظن البعض أن ما صدر عن الرسول من قول أو فعل هو جزء من دين الله، ويتناسوا أنه لا يزيد عن كونه بشر: ﴿..... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾بني إسرائيل٩٣

كلف بإيصال رسالة ربه للناس كما أرادها الله وضمنها آياته، دون زيادة أو نقصان، بل وحتى دون شرح وبيان: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة١٨ ـ ١٩

فلم يكن هناك تفسير لمحمد، لأن القرآن تكفل الله ببيانه، ولن يكون

تفسير محمد أكثر وضوحاً من بيان الله. كما لم يوجد كتاب فقه واحد ألفه الرسول، لأن الرسول لا يستطيع أن يشرع بغير ما قال به القرآن، ولا يوجد صحيحٌ له صلوات الله عليه، ولا مسند ولا موطأ. ولم يأمر الرسول بكتابة شيئ سوى القرآن، ومن كتب غير القرآن، إجتهاداً من عند نفسه، فليمحه[1]. لأن القرآن وحده ممثل دين الله، وما سواه فلا يمثل إلا رأي قائله.

ولو كان الرسول يشرع للناس بغير ما في القرآن للزم بقاءه حياً لكل العصور، حتى يتمكن الناس من سؤاله عما يظنون أن لا حكم له في القرآن، كما يسألون رجال الدين الآن.

ولكن دين الله باق بتمامه الذي أراده الله للناس دون حاجة لإضافات بشرية على الإطلاق، وكل تشريع بغير ما في القرآن، كتمان لبعض ما جاء في كتاب الله، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكد أن كتابه يحوي كل البينات والهدى التي يحتاجها البشر والتي يطلب الله منهم إتباعها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ البقرة١٥٩

وكل من يظن أن القرآن لا يفي بتشريعات الله، وأنه يحتاج إلى نصوص أخرى لأكمال دينه، فقد انسلخ من الدين وغوى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ

---

(١) حديث مشهور عن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله: لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً سوى القرآن فليمحه.

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ. مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف١٧٥ ـ ١٧٩

وكل من تبع المشرع البشري فقد ضل وكفر، لأنه تبع عدواً للرسول، وليس تابعاً له، لأن إتباع الرسول يكون باتباع القرآن، وليس هجر القرآن واتباع تشريعات بشرية تستند إلى أقوال منسوبة للرسول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ الفرقان٢٧ ـ ٣١

وكل من أصدر تشريعاً لاوجود له في القرآن فقد نصب نفسه مشرعاً مع الله وشريكاً له في دينه، ولكنه لن يستطيع إنقاذ نفسه يوم القيامة ولا إنقاذ من تبعه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ. قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ. وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ. فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ﴾ القصص٦٢ ـ ٦٦

ولو كان دين الله يكتفى بتناقله إعتماداً على إجتهادات عموم الناس، مشافهة وكتابة، لاكتفينا بما توارثه اليهود على وجه الخصوص، وكتبوه بأيديهم على أنه دين الله الذي أنزل على موسى عليه السلام: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف١٢

لكن الله نهانا عن الإستماع ليهود والأخذ منهم: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمرآن٧٣

كون ما تحويه كتبهم الحالية، ليست التوراة ولكنها نصوص تناقلتها الألسن لمئات السنين قبل أن تكتب، ولا ترقى إلى تشريعات التوراة والقرآن. وإن كان يمكن مقارنتها بما تحويه كتب المسلمين الأخرى، مثل الحديث والتفسير والفقه، والتي اعتمدت على أقوال منقوله بطرق مشابهة لنقل ما جاء في كتب اليهود المقدسة. فكما أن كتب اليهود جمعها وكتبها بشر بعد زمن موسى بمئات السنين، معتمدين على التناقل الشفهي، فإن كتب المسلمين المذكورة أيضاً جمعها وكتبها أناس بعد زمن محمد بعشرات ومئات السنين، معتمدين على التناقل الشفهي.

فالحديث الذي يعتمد عليه الفقهاء في تشريعاتهم، هو عبارة عن تاريخ لحياة محمد والأحداث التي وقعت في تلك الفترة. ولم يعرف باسم الحديث، ولم يكتب، لا في زمن الرسول ولا في عصور الخلفاء الأربعة، وبقي يتناقله الناس مشافهة أكثر من ١٥٠ سنة بعد وفاة رسول الله، حتى أقدم مالك ابن أنس، المتوفى عام ١٧٩ للهجرة، على جمع عدد قليل من

تلك الأخبار التي كانت تتناقلها الألسن في عصره، وضمنها كتابه الموطأ، إمتثالاً لأمر أحد خلفاء بني العباس، وقد يكون المنصور.

وأشهر كتب الحديث وأوثقها عند السنة، صحيح البخاري، الذي توفي جامعه في العام ٢٥٦ للهجرة. وأول من اعتبر ما سمي بالحديث مصدراً للتشريع، محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة، ورابع فقهاء السنة.

وكل الفرق الإسلامية نشأت في عصور لاحقة لعصر الرسول، وكلها اعتمدت على نصوص تم تناقلها مشافه لعشرات ومئات السنين قبل أن تسجل على شكل كتب، وبالتالي فكلها كتب ظنية، أي أن محتواها لا يمكن أن يصل لدرجة اليقين لمن نسبت إليه.

وحتى لوثبتت النصوص المنسوبة للمحدث أو الفقيه فلا يجعلها تصل لدرجة اليقين، لأن اليقين هو ما ثبت عن الله سبحانه وتعالى بطرق لا يرقى إليها الشك، مكتوبة كما نزل بها الوحي: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس٣٥ ـ ٣٧

ولذلك توعد الله سبحانه وتعالى بنو إسرائيل لأنهم اتبعوا تشريعات نسبوها لموسى ولكنها لم تكن في التوراة التي نزلت عليه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة٧٩

مثلما توعد الله قوم عيسى ابن مريم الذين اختلفوا بعده: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ الزخرف٦٥

وتوعد الله الناس بعد محمد بنفس الوعيد الذي توعد به أصحاب موسى وعيسى من قبل ـ ولنفس السبب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام١٥٩

فدين الله لا يمثله رأي بشر يميل إلى أن هذا الحكم مباح أو حرام أو حلال: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ النحل١١٦

ولا يمثله إلا القرآن، الرسالة الإلهية المختومة والموقعة من الله سبحانه إلى خلقه، وما عداها فلا يمثل دين الله في شيء. ولو ثبت عن الرسول قول أو فعل أو تقرير، بطرق قطعية، وهو ما لا يتوفر في ما يسمى بالحديث، ولكننا نقول جدلاً أنه حتى ولو ثبت عن الرسول غير القرآن فلا يمثل دين الله.

فالدين ليس ديناً لمحمد، ولا حتى ديناً للملائكة: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران٨٠

واتباع ما يقوله محمد من غير القرآن يعني أننا عبدناه من دون الله، أو أشركناه في العبادة مع الله. لأن اتباع تشريعات الله عبادة له سبحانه، واتباع تشريعات غيره عبادة للمشرع.

ولكن الناس جبلوا على الإبتعاد عن شرع الله المتمثل بنصوص القرآن،

والتمسك بتشريعات ظنية بشرية: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾بني إسرائيل٤٥ ـ ٤٦

لهذا تولدت الفرق والمذاهب، بين معتنقي كل الأديان، بما في ذلك المسلمين. الذين افترقوا وتشعبت مذاهبهم وعقائدهم بعد عصر رسول الله صلوات الله عليه، معتمدين على نصوص ظنية: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ النجم:٢٨

وقد تحدثنا باستفاضة عن بداية ظهور الحديث وكيف إكتسب قدسيته وتحول إلى مصدر ثان للتشريع بعد القرآن، في كتابنا سنة الأولين[١].

والمدافعين عن قدسية الحديث حاول البعض منهم أن يعزوا نهي الرسول عن كتابته، لئلا يختلط بالقرآن، وهذا تبرير لا يقنع حتى من قال به، لأسباب منها:

أنه لو كان ما يسمى بالحديث من دين الله، فلن يضير القرآن لو اختلط به، لأنهما «كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ».

أنه كان بإمكان الرسول أن يأمر بكتابة ما سمي «بالحديث» بمعزل عن القرآن، مثلما استطاع أن يملي القرآن على شكل سور منفصلة عن بعضها، ولم تختلط آيات سورة مع أخرى.

أن ترك الرسول لجزء من الدين المتمثل «بالحديث» تتناقله ألسن الفاجر والكافر والمعتوه والكذاب كيفما تشاء، ويضاف عليه وينقص منه، إتهام

(١) سنة الأولين ـ تحليل مواقف الناس من الدين وتعليلها. منشورات دار الجمل.

للرسول بأنه أضاع جزءاً من دين الله، ولم يهتم بتبليغه كما يجب: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة٦٧

أو أن يكون رسول الله ترك كتابة «الحديث» ونهى عنه، بأمر من الله. وهذا يعني أن الله لم يحفظ جزءاً من دينه، وتركه عرضة للضياع والتبديل والتغيير، فكيف سيحاسبنا عليه؟

ولو حاسبنا الله على «الحديث» ففيه ظلم لنا، لأن كتب الحديث فيها الشيئ وضده، والله يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ق٢٩

ولو كان «الحديث» من الدين لوجب على المرء أن يطيع كل التشريعات المتضاربة عند كل المذاهب الإسلامية، لأنها تعتمد على «أحاديث» منسوبة للرسول، فيكون سنياً، شيعياً، أشعرياً، معتزلياً. . . . . إلخ، في نفس الوقت.

أن الله إذا لم يحفظ نصوص دينه من العبث، بتكليف رسوله بكتابة «الحديث» فليست مسئولية البشر أن يحفظوا ما لم يحفظ الله، ولم يحفظه رسوله. ولن يعاقب من ترك العمل بتلك النصوص المهملة، لأن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الناس بكل عدل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ النساء١٢٤

ولو كان التذكير بالقرآن و«الحديث» معاً، لأمر الله رسوله بذلك: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق٤٥

ولَمَا كان الرسول يدعوا الناس بالقرآن وحده: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ الإسراء٤٦

ولو كان «الحديث» وحياً فهو قرآن، وإن لم يكن وحياً، فليس من دين الله الذي نزل على محمد: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف٣

وقد إختار لنا الله سبحانه وتعالى كتابه ليكون هادياً لنا، ولو تمسك الناس بالقرآن وحده، صراط الله المستقيم، لما تفرق الناس إلى مذاهب وفرق: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام١٥٣

وهذا الكتاب يقوم على عرض نزر يسير من الأحاديث، على كتاب الله، لإثبات أن الحديث لا يمكن أن يكون قد صدر من رسول الله، بصورته التي في كتب الحديث، ولايمكن أن يكون جزءاً من دين الله. دون أن نتهم شخصاً معيناً بالكذب على الرسول، لأننا نظن أن تناقل الأخبار وصياغتها بصيغها التي هي عليه الآن في كتب الحديث، ونسبتها للرسول جاء على أيدي أناس عاشوا بعد عصر الصحابة، ممن دخلوا الإسلام زمن الفتوح.

فكان منهم من استسهل نسبة الحديث للرسول معتقداً أن هذا لابأس به لسد الذرائع. وهناك من أضاف إلى ما سمعه يحكى عن أحداث وأقوال للرسول، والبعض حور في تلك القصص، والبعض كان يحدث في مجلسه عن قصص الأمم السابقة، إما نقلاً عن بعض من أسلم منهم أو نقلاً عن بعض كتبهم التي وجدها. وهناك من دلس على الرسول مع سبق

الإصرار والترصد، وغيره كان يزيد في الخبر أو ينقص منه ليستدل به على رأي فقهي، أو لأسباب أخرى.

ثم جاءت أجيال ظنت أن تلك الأخبار لابد أنها مروية بواسطة صحابي أو ابن صحابي عن الرسول، وجاء بعدهم أناس ظنوا أن كل خبر يروى عن الرسول هو جزء من الدين.

وهكذا إكتسبت تلك الأخبار قدسيتها وأصبح هناك علم قائم بذاته عند المسلمين اسمه الحديث، نسب بواسطته إلى الرسول أقوال لم يقلها، وأفعال لم يفعلها أو يعلم بها، وأضحت تلك الأقوال أدلة لتشريعات وأحكام، أدخلت لدين الله، الإسلام.

ولأن الأحاديث تدعم رأي الفقيه في تشريعاته، وتؤيد السلطان في تصرفاته، فقد حكم على من يخالفها بالكفر، وكل من يؤيدها بالإيمان. وأصبح المسلم بين نار جهنم، إن هو إتبع أقوال المحدثين، لأنها زيادة لا صلة لها بالدين، وبين نار الفقهاء والسلاطين، إن هو إكتفى بتشريعات رب العالمين.

مدخل إلى الموضوع

بما أن كتاب صحيح البخاري يعتبر عند غالبية المسلمين، أصح كتب الحديث ـ ولأن الأحاديث التي وردت فيه جاءت في كتب الأحاديث الأخرى، بروايات مختلفة، ولأنه يستحيل أن نناقش كل الأحاديث المنسوبة للرسول ـ فقد إكتفينا بمناقشة بعض أحاديث البخاري، كممثل للأحاديث السنية، إضافة لعدد قليل من الأحاديث الواردة في كتاب الكافي، لتمثيل أحاديث الشيعة.

وسنتبع طريقة سهلة واضحة لمناقشة تلك الأحاديث، تتمثل بإيراد الحديث، ثم مناقشة نصوصه ومقارنتها بما جاء في كتاب الله عن نفس الموضوع، لتأكيد إستحالة أن تكون الأحاديث من شرع الله أو تمثل دينه.

وتم تقسيم الكتاب إلى خمسة أقسام، يتعرض القسم الأول للأحاديث بشكل عام التي تتناول كافة المواضيع، أما القسم الثاني فيتعرض لما تقوله الأحاديث عن الحكام والسلاطين، لأن التحول عن الدين القويم جاء بمباركتهم، والقسم الثالث يعطي فكرة عن صورة رسول الله في كتب الحديث، وعن جرأتها على الله جل جلاله في القسم الرابع. أما القسم الأخير فقد عرضنا فيه عدداً من الأحاديث الواردة في كتاب الكافي للكليني كمثال على ما تحويه كتب الشيعة من أحاديث.

وقد اعتمدنا نسخة كتاب صحيح البخاري التي أعدتها رئاسة إدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الموجهة للمسلمين الناطقين بغير العربية، والتي تحوي النسخة العربية وترجمتها إلى الإنجليزية، وقد طبعتها مكتبة الرياض الحديثة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١ م. وتتألف من تسعة مجلدات، تحوي ٩٧ كتاباً، وكل كتاب يحتوي على عشرات الأبواب، تضم مجتمعة ٧٣٩٧ رواية.

وتجنبنا عمداً بعض الأحاديث للأسباب التالية:

إما أنه سبق وتحدثنا عنها في كتابنا سنة الأولين، فلا داعي لتكرار الحديث عنها هنا.

أو أن التعرض لها يحتاج لتوسع، فآثرنا التحدث عنها بما تستحق في كتابات قادمة بإذن الله.

أو أن تكون مما يتحدث عن تفسير القرآن، لأن التفسير ومعارضته للقرآن يحتاج لبحث منفصل.

أو أن الحديث لا يرفع للرسول.

وبالنسبة للكافي فقد اعتمدنا النسخة التي حققها علي أكبر الغفاري وطبعتها دار الأضواء في بيروت عام ١٩٨٥م.

واكتفينا بعرض عدد قليل من الأحاديث التي تتحدث عن الأئمة، لأن الإيمان بهم هو الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الشيعية.

ونحن لا نسعى لإلصاق تهم الكذب والتدليس على أصحاب رسول الله أو أبنائهم الذين يذكرون في كتب الحديث، لأننا لانملك الحق ولا القدرة على الحكم، ونميل إلى الظن أنه مكذوب عليهم، وأن أسماءهم مقحمة من قبل من إختلق الحديث دون علمهم، مثلما كُذب على الرسول. ولكننا

نهدف إلى إثبات أن ما ورد في البخاري والكافي، لا يجوز نسبته لدين الله، وبالتالي فمن باب أولى أن ننزه دين الله من الأحاديث التي وردت في الكتب الأخرى، سواءاً عند من يسمون بالسنة أو الشيعة أو الأباضية أو المعتزلة أو غيرهم، وأنه يجب على كل من يؤمن بالله، وبمحمد رسولاً لله، الإكتفاء بكتاب الله، في كل ما يتعلق بدين الله.

القسم الأول

جولة عامة في كتاب البخاري

في هذا القسم سنورد الأحاديث، حسب التسلسل الذي وضعه البخاري لكتابه، بادئين بالمجلد الأول ثم الثاني، وهكذا، حتى المجلد التاسع والأخير. ولن يكون بإمكاننا التعرض لكل الأحاديث لكثرتها، لذا سنكتفي بالبعض منها ـ والتي تتناول مختلف المواضيع ـ لإعطاء صورة عامة تبين أن الحديث مجموعة من القصص والحكايا تعبر عن رأي قائلها والبيئة التي قيلت فيه والهدف من إيرادها، ولا يمكن أن تكون صدرت من رسول الله ولا تمثل دين الله.

المجلد الأول

يخرج من النار من كان في قلبه حبة خردل من إيمان

حدَّثنا إسماعيلُ قال: حدَّثَني مالكٌ عن عمرِو بنِ يحيى المازنِيِّ عنْ أَبيهِ عنْ أَبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضيَ اللّهُ عنهُ عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهلُ النَّارِ النَّارَ، ثمَّ يقولُ اللّهُ تعالى أَخْرِجوا مَنْ كانَ في قَلبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، فَيُخْرَجونَ منها قدِ اسْوَدّوا فيُلْقَوْنَ في نهرِ الحَيا ـ أو الحَياةِ، شَكَّ مالكٌ ـ فيَنبتُون كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جانِبِ السَّيْلِ، ألم ترَ أَنَّها تَخْرُجُ صَفْراءَ مُلْتَوِيَةً؟»[1].

مناقشة النص

اذا كان الحديث قال به الرسول، فمن أخبره بخبر الجنة والنار، وهما من عالم القيامة الذي لم يخلق بعد، بشهادة القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ. وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ. وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة١٣ ـ ١٨

---

(١) باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ـ كتاب الإيمان.

وعندما يحدث ذلك سيكون هناك كون جديد غير هذا الكون: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ابراهيم٤٨

وسيضم ذلك الكون الجنة والنار: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران١٣٣

وكل ما سيحدث في يوم القيامة هو من عالم الغيب، الذي تفرد الله سبحانه بعلمه لوحده: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾ الجن٢٦

ويقول النص: «فَيُخْرَجونَ منها قدِ اسْوَدّوا فيُلْقَوْنَ في نهرِ الحَيا ـ أو الحَياةِ» أي أنهم أخرجوا وهم على هيئاتهم، ولكن سودت ألوانهم النار، فيكون إلقائهم في النهر لكي ينظفهم وتعود ألوانهم لحالها الطبيعية قبل دخولهم النار.

لكن الحديث يعود ليقول: «فيَنبتُون كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جانِبِ السَّيْلِ، ألم ترَ أَنَّها تَخْرُجُ صَفْراءَ مُلْتَوِيَةً؟» مما يعني أنه قد أعيد خلقهم من جديد، وأنبتوا كما تنبت الحبة في جانب السيل. وهذا يناقض الكلام السابق الذي ينص على أنهم كانوا مخلوقين وبهيئات ولكن النار سودتهم.

والقرآن الكريم ينص بكل وضوح على أن الخلق سينشأون جميعاً في وقت واحد يوم القيامة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (فاطر: ٥١)

ثم يحاسبون: ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦٢)

وبعد الحساب يكون المصير، فمن حقت عليه الشقاوة، بما طسبت يداه، فهو في النار، ومن حقت له السعادة، فهو في الجنة، ولن يكون هناك خلق ثالث، ولن ينبتوا كما تنبت الحبة في جانب السيل صفراء

ملتوية، يقول تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ(آل عمران: ١٨٥)

ومن يستحق النار بعد الحساب فسيخلد فيها ولن يخرج منها: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١)

وستكون وجوه أهل النار مسودة، أي مكفهرة، وليست سوداء من الإحتراق، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠)

ومثل الحديث السابق، هذا الحديث الذي يقول:

حدَّثنا عثمانُ بن أبي شَيبة حدثنا جريرٌ عن منصورٍ عن إبراهيمَ عن عَبيدةَ عن عبدِاللَّهِ رضي اللَّه عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلمُ آخرَ أهل النارِ خُروجاً منها، وآخر أهلِ الجنةِ دخولاً، رجل يَخرُجُ من النار حَبْواً، فيقولُ اللَّه: اذهَبْ فادخلِ الجنة، فيأتيها فيُخيّل إليه أنها مَلأى، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدتها مَلأَى، فيقول: اذهب فادخل الجنةَ، فيأتيها فيخيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها مَلأى فيقولُ: اذهب فادخل الجنةَ، فإنَّ لكَ مثلَ الدنيا وعشرةً أمثالها ـ أو إنَّ لك مثلَ عشرة أمثال الدنيا ـ فيقول تسخَر مني، أو تَضحكُ مني وأنتَ الملك، فلقد رأَيتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم ضحكَ حتى بَدَت نَواجِذُه. وكان يقال: ذلك أدنى أهلِ الجنةِ منزِلةً»[١].

(١) المجلد ٨ ـ كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار.

مناقشة النص

كيف عرف الرسول بآخر أهل النار خروجاً منها ودخوله الجنة؟

فالرسول لايعلم الغيب، كما سبق وذكرنا: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩)

والجنة والنار لم تخلقا بعد: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨)

وحتى لوافترضنا أنهما مخلوقتان الآن، فقد ولد ومات مليارات البشر بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وسيولد ويموت مليارات أخرى قبل أن تقوم الساعة، وكلهم سيكون لديهم الخيار المطلق في عمل ما يشاؤون: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف: ٢٩)

ولن يعلم أحد من البشر أو المخلوقات الأخرى، ما هو مصيرهم إلا يوم الحساب: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١)

وبعد الحساب، وليس قبله، سيعلم كل إنسان مصيره إلى الجنة أو النار: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٨ ـ ٩)

فكيف عرف الرسول آخر أهل النار خروجاً منها والذي قد لايكون قد خلق بعد؟

* * *

أحاجي وألغاز

حدَّثنا قُتَيْبةُ حدثنا إسماعيلُ بنُ جَعْفَرٍ عنْ عبدِ اللّهِ بنِ دينارٍ عنِ ابنِ عُمَرَ قال: قال رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلم، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللّهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يار سولَ اللّه. قال: هيَ النَّخْلة»[1].

مناقشة النص

يروي هذا النص أن الرسول كان بين أصحابه في لحظة مرح، وسألهم سؤالاً يمتحن فطنتهم وسرعة البديهة لديهم، فما هي الفائدة العلمية أو التشريعية المرجوة من إدراج مثل هذه الحكاية؟

وأين هي العلاقة بين هذا الحديث ودين الله وتشريعاته التي لا مجال فيها للأحاجي والألغاز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ١ ـ ٤)

* * *

(١) باب قول المحدث «حدثنا» «وأخبرنا» وأنبأنا» ـ كتاب العلم.

اسم صاحب موسى

حدَّثنا محمدُ بن غُرَير الزُّهْريُّ قال: حَدَّثنا يَعْقوبُ بنُ إبراهيمَ قال: حدَّثَني أبي عنْ صالحٍ عنِ ابنِ شِهابٍ حَدَّثَ أنَّ عُبيَدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ أخبرَهُ عنِ ابنِ عبّاسٍ أنَّهُ تَمارَى هُوَ والحُرُّ بنُ قَيسِ بنِ حِصْنٍ الفَزارِيُّ في صاحبِ موسى، قال ابنُ عبّاسٍ: هو خَضِرٌ. فمرَّ بِهما أُبيُّ بنُ كَعْبٍ، فدَعاهُ ابنُ عبّاسٍ فقال: إنِّي تَمارَيتُ أنا وصاحِبي هذا في صاحبِ موسى الذي سَأَل موسى، السَّبيلَ إلى لُقِيِّهِ، هلْ سَمعتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكرُ شَأنَه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، جاءَهُ رجل فقال: هل تعلم أَحَداً أَعْلَمَ منكَ؟ قال موسى: لا، فأوحى اللَّهُ إلى موسى: بَلَى، عَبدُنا خَضِرٌ. فسألَ موسى السَّبيلَ إليهِ، فجعلَ اللَّهُ له الحُوتَ آيةً، وقِيلَ له: إذا فَقدْتَ الحوتَ فارجعْ، فإنَّكَ ستَلْقاهُ. وكانَ يَتَّبِعُ أَثَر الحوتِ في البحرِ. فقال لموسى فَتاهُ: أَرَأَيتَ إذْ أَوَينا إلى الصَّخْرةِ؟ فإنِّي نسيتُ الحوتَ، وما أنسانِيهُ إلاّ الشيطانُ أَنْ أذْكُرَه. قال: ذلكَ ما كنّا نَبْغي. فارْتَدّا على آثارِهما قَصصاً، فوَجَدا خَضِراً، فكانَ مِنْ شأنِهما الذي قَصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ»[(١)].

مناقشة النص

مناسبة الحديث هي أن ابن عباس تمارى مع رجل اسمه الحر ابن قيس (أي كان بينهما اختلاف أو رهان) حول اسم صاحب موسى الذي ذكر في سورة الكهف، وكان هذا رجماً بالغيب، بعد موت رسول الله، لأن شهرة

---

(١) باب ماذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر، وقوله تعالى: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ ـ كتاب العلم.

ابن عباس[1] ومجالسه التي يجتمع فيها الناس لم تظهر إلا في عهد علي ابن أبي طالب وما بعده.

وقصص الأمم السابقة إذا لم ينزل بها قرآن على الرسول فهي من أنباء الغيب التي لا يعلمها. لذا فالرسول لم يعلم اسم صاحب موسى، ولا اسم ولد نوح الذي غرق: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩)

ولكنه عرف اسم من كفل مريم، لأن القرآن أخبره بذلك: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمرآن: ٤٤)

وسواءً كان اسم صاحب موسى الخضر أو كان له اسم آخر، فليس لذلك أي عبرة، فلماذا يتم إقحام اسم رسول الله في قصة لا سبيل للعلم بها سوى عن طريق الوحي؟

والرسول لا يستقي معلوماته من أهل الكتاب، ولا يتحدث «رجماً بالغيب» فيما لم ينزل به عليه وحي من قصص الأقدمين، لأن الله سبحانه وتعالى قد نهاه عن ذلك في الحديث عن أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ (الكهف: ٢٢)

وهذا حديث قريب من الحديث السابق:

---

(١) مات سنة ٦٨ هـ، وكان عمره عندما توفي رسول ٧ سنوات، وقيل ٨ سنوات، وقيل ١٠، وقيل ١٣.

حدّثنا محمدُ بن سعيدٍ الأصبهانيُّ أخبرَنا ابنُ المبارَكِ عن مَعمرٍ عن همامِ بن مُنبِّهٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنما سُمِّيَ الخَضِر لأنهُ جَلسَ على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتزُّ مِن خلفهِ خضراء». قال الحَموِيُّ: قال محمدُ بن يوسفَ بن مطر الفرَبريُّ: حدثنا عليُّ بن خَشرَمٍ عن سفيانَ بطوله[1].

وقد إختلق هذا الحديث فقط لكي يورد سبباً لإسم الخضر، الذي إختلق ليكون إسماً لصاحب موسى.

وإلا لا يمكن أن تتحول الفروة البيضاء إلى خضراء لأن شخصاً جلس عليها.

ولم يكن الرجل اسمه الخضر، كما يزعم الحديث الأول، ولم يسمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء كما يزعم هذا الحديث.

* * *

بعض نصوص دين الله تحوي أسراراً غامضة وخطيرة

حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي بَكرٍ أبو مُصْعَبٍ قال: حدَّثَنا محمدُ بن إبراهيمَ بنِ دِينارٍ عنِ ابنِ أبي ذِئبٍ عن سَعيدٍ المَقْبُريِّ عن أبي هُرَيرةَ قال: «قلتُ يا رسولَ اللّهِ، إنِّي أَسمعُ منكَ حَدِيثاً كثيراً أنساهُ؟. قال: ابسُطْ رِداءَكِ. فبَسَطْتُه. قال: فغَرَفَ بِيدَيهِ، ثمَّ قال: ضُمَّهُ، فضَمَمْتُه، فما نَسيتُ شيئاً بعدَه»[2].

وفي حديث آخر في نفس الباب: حدَّثنا إسماعيلُ قال: حدَّثني أخي

(١) المجلد الرابع ـ كتاب الأنبياء ـ باب حديث موسى مع الخضر عليهما السلام.

(٢) باب حفظ العلم ـ كتاب العلم.

عنِ ابنِ أَبي ذِئبٍ عن سَعيدٍ المَقْبُريِّ عن أبي هُرَيرةَ قال: حَفِظْتُ من رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وِعاءَينِ: فأمّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعوم.

مناقشة النص

القاص ينقل على لسان أبي هريرة أنه أصبح لا ينسى أي حديث يسمعه، بعد أن غرف الرسول بيديه من الهواء، ثم وضعها في ردائه وضمه.

بينما القرآن يرشد الرسول صلوات الله عليه إلى كيفية مختلفة لمعالجة النسيان: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً. إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾ (الكهف: ٢٣ ـ ٢٤)

ولو كان الرسول لديه قدرة سحرية يجعل الغير لاينسون بمجرد غرفه بيديه من الهواء فلماذا ينسى هو؟

وليس الرسول وحده الذي ينسى ولكن كل الناس وكل الرسل، وهذا ما يقوله القرآن عن موسى: ﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرا﴾ (الكهف: ٧٣)

والوحي لا يتلقنه الرسول تلقيناً، لأن أي تلقين لابد أن يتعرض جزء منه للنسيان، ولكن ينسخ في ذاكرته بطريقة تبقى فيها ولا تنسى، ومن هنا جاء تطمين الله سبحانه لمحمد بقوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦ ـ ١٨)

وفي الرواية الأخرى على لسان أبي هريرة أنه حفظ وعائين من

الأحاديث مباشرة من الرسول: «فأمّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعوم».

فما هي الحكمة من ذلك الجانب المخفي من الدين، أو الأسرار الخطيرة، التي أسرها الله لرسوله، الذي أسرها لأبي هريرة دون بقية الناس، وعندما مات دفنت معه؟

والرواية جاءت تحت باب سماه البخاري باب حفظ العلم، فهل هكذا يحفظ الله العلم؟

وهل الدين يحوي أسراراً خطيرة، لو قالها من علمها لقطعت رأسه؟

وهل يعني هذا أن الدين ناقص، لأن جزءاً منه مات بموت أبي هريرة الذي لم يبلغه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٤٦)

وهل يعني هذا أن أباهريرة ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩)

فكيف يؤخذ عنه أحاديث أخرى إذا كان هذا شأنه[١]؟

أم أن الحديث مختلق وحشر اسم أبا هريرة واسم الرسول، دون علمهما، لكي يصدقه الناس.

❊ ❊ ❊

---

(١) نحن نصر على الظن بأن أبا هريرة وغيرهم من أصحاب رسول الله وأبناءهم الذين ذكروا في كتب الحديث لم يرووها، ولكن نسبت لهم ممن اختلق الحديث.

أم المؤمنين عائشة تتعرى أمام أخيها ورجل معه

حدَّثَنا عبدُاللَّهِ بنُ محمدٍ قال: حدَّثَني عبدُ الصمدِ قال: حدَّثَني شُعبةُ قال: حدَّثني أبو بكرِ بنِ حَفْصٍ قال: سَمعتُ أَبا سَلَمَةَ يقولُ: دخلتُ أَنا وأخو عائشةَ عَلَى عائشةَ فسألها أخوها عن غُسلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فدَعَتْ بإناءٍ نحوٍ من صاعٍ فاغتَسَلَتْ وأفاضَتْ على رأْسِها، وبَينَنا وبينَها حجاب[1].

مناقشة النص

إذا كان الحجاب ساتر لا يرى من خلاله، فلا فائدة من غسلها، لأنهما لن يريا كيفية الغسل.

وإن كان الحجاب شفاف يرى من خلاله، فقد سمحت أم المؤمنين لأخيها ولرجل معه بالنظر إلى ما حرم الله من جسدها.

فهل يؤخذ الدين من أم المؤمنين بهذه الطريقة؟ أم أن من إختلق الحديث كان يهدف للنيل منها، رضي الله عنها.

ولو كانت القصة قد حدثت بالفعل فيكفي أن تشرح أم المؤمنين لهما طريقة الغسل بعباراتها دون الحاجة للتعري المخالف للحشمة والدين.

والحديث أورده البخاري فقط لأنه يتناسب مع الباب الذي سماه «الغسل بصاع ونحوه»، ولم نستفد من نص الحديث عن كيفية غسل الرسول عن الجنابة، كما كان يفترض أنه سبب الحديث وموضوعه الرئيسي.

---

(١) باب الغسل بالصاع ونحوه ـ كتاب الغسل.

وبالنسبة للغسل من الجنابة فلا حاجة لسؤال أم المؤمنين ولا حتى الرسول عنه، لأن الله قد طلب منا الغسل دون تحديد لكمية الماء أو كيفية غسل الأعضاء، لأن المفهوم العام هو الإستحمام الكامل، بحيث يغسل الجسد كله من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين. وإن لم يتوفر الماء الكافي للغسل فقد شرع الله التيمم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (النساء: ٤٣)

* * *

أورد البخاري في كتاب الغسل تفاصيل ما أنزل الله بها من سلطان وليس لذكرها فائدة، ومن ذلك على سبيل المثال:

حدَّثَنا عبدُاللَّهِ بنُ محمدٍ قال: حدَّثَنا يحيى بنُ آدمَ قال: حدَّثَنا زُهيرٌ عن أبي إسحاقَ قال: حدَّثَنا أَبو جعفر أنه كان عندَ جابر بنِ عبدِاللَّهِ هو وأبوهُ وعندَهُ قومٌ، فسألوه عن الغُسلِ، فقال: يكفيكَ صاعٌ. فقال رجُلٌ: ما يكفيني. فقال جابرٌ كان يكفي من هو أوفى منكَ شَعراً وخيرٌ منكَ. ثم أمَّنا في ثوب.

نحاول ألا نناقش الأحاديث الموقوفة قبل الرسول ولم تنسب إليه، لكن بعض رجال الدين إستدلوا بهذا النص على أن صاعاً من الماء يكفي لغسل الجنابة، وأصبح كلامهم تشريع. مع أن الله سبحانه وتعالى لم يحدد كمية من الماء كحد أدنى يكفي لغسل الجنابة، لأن الغسل من الجنابة يقصد به غسلاً كافياً لنظافة كل الجسد كما أوضحنا في مناقشة الحديث السابق.

ومثله:

حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ الحُمَيديُّ قال: حدَّثَنا سُفيانُ قال: حدَّثنا الأعمشُ عن سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ عن كُرَيبٍ عنِ ابنِ عباسٍ عن مَيمونةَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم اغتسَلَ منَ الجَنابةِ، فغَسَلَ فرجَهُ بيدِه، ثمَّ دَلكَ بها الحائط ثمَّ غسَلَها، ثمَّ توضَّأ وُضوءَهُ للصلاةِ، فلمَّا فرَغَ من غُسلهِ غَسلَ رجلَيهِ.

فهل يريدنا رجال الدين أن نعتقد بأنه من السنة أن نقتدي بما نسب للرسول هنا ـ فنغسل الفرج ثم ندلك أيدينا بالحائط ـ كجزء من غسل الجنابة؟

أم أن من الأفضل عدم الإلتفات لكل روايات غسل الجنابة والإكتفاء بما قاله الله سبحانه وتعالى، والمفهوم العام للغسل والإستحمام.

❊ ❊ ❊

إختلاق قصة ليبنى عليها حكم

حدَّثنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ قال: حدَّثَنا عبدُ الرزّاقِ عن مَعْمرٍ عن هَمّامِ بن مُنبِّهٍ عن أبي هُريرةَ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «كانت بنو إسرائيلَ يَغتَسلونَ عُراةً يَنظُرُ بَعضُهم إلى بعضٍ، وكان موسى يَغتسِلُ وحدَهُ. فقالوا: واللهِ مايَمنَعُ موسى أن يَغتسِلَ معنا إلاّ أنه آدَرُ. فذهبَ مرةً يغتَسلُ، فوَضعَ ثَوبَهُ على حَجَرٍ ففرَّ الحجَرُ بثَوبهِ، فخرَجَ موسى في إثرِهِ يقولُ: ثوبي يا حَجَرُ، حتى نَظرَتْ بنو إسرائيلُ إلى موسى فقالوا: واللهِ ما بِموسى من بَأس. وأخذ ثوبَهُ فطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرباً» فقال أبو هُريرةَ: واللهِ إنه لَنَدَبٌ بالحجَرِ ستةٌ أو سبعةٌ ضَرباً بالحجَرِ[1].

---

(١) باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالستر أفضل ـ كتاب الغسل.

مناقشة النص

هذا الحديث جاء في باب سماه البخاري: «باب مَنِ اغتَسلَ عُرياناً وحدَه في الْخَلْوةِ، ومَنْ تَستَّرَ فالتَّستُّرُ أفضلُ» لتشريع أن الإغتسال من الأفضل أن يكون والإنسان يلبس ملابسه، ولما لم يجد ما يسند أقواله من أحاديث منسوبة للرسول، أورد هذا القصص الإسرائيلي، منسوباً للرسول.

كما أورد في نفس الباب قصصاً إسرائيلياً مماثلاً، هذا نصه:

وعن أبي هُريرةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «بَينما أيُّوبُ يَغتَسِلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذَهبٍ، فجعَلَ أَيُّوبُ يَحتثي في ثَوبهِ، فناداه ربُّه: يا أيُّوبُ ألم أكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمّا تَرى؟ قال: بَلَى وعزَّتَكَ، ولكنْ لاغِنى بي عن بَرَكتِكَ».

وهذه القصة لا مغزى لها، ولامعنى ولا موضوع، إلا إذا هي تحث على الجشع وحب المال، عندما صورت النبي أيوب وهو يحثوا جراد الذهب، برغم أن الله أعطاه من المال وأغناه، كما يشير النص، وذلك لكي يقول بأنه لا بأس من كنز الذهب والفضة، بخلاف قول الله تعالى: . . . وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة٣٤

وكأن النص يحث على أن نتشبه بقارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ القصص٧٦

وإلا فمن غير المعتاد أن يستحم المرء بثيابه وهو في خلوة مع نفسه، ولا يمكن أن يكون دين الله يحبذ ذلك، ولكن هذا هو الدين الذي إختاره

لنا القصاص والمحدثون، وقام رجال الدين بنسبته لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

عقد عائشة سبب من أسباب النزول

حدَّثَنا عبدُاللَهِ بنُ يوسُفَ قال: أخبرَنا مالكٌ عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ عن أبيهِ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالت: خَرَجْنا معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في بعضِ أسفارِهِ حتّى إذا كنّا بالبَيْداءِ ـ أو بذاتِ الجَيشِ ـ انقَطَعَ عِقْدٌ لي، فأقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على التماسِهِ، وأقام الناسُ معَهُ، ولَيسوا على ماءٍ. فأتى النّاسُ إلى أبي بَكرٍ الصدِّيقِ فقالوا: ألا تَرَى ما صَنَعَتْ عائشةُ؟ أقامتْ برسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم والناسِ، ولَيسوا على ماءٍ وليس معهمْ ماءٌ. فجاءَ أَبو بَكرٍ ورسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم واضعٌ رأسَهُ على فخِذِي قد نام، فقال: حَبَسْتِ رسولَ الَّلهِ صلى الله عليه وسلم والناسَ، وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماءٌ. فقالت عائشةُ: فعاتَبَني أَبو بكرٍ وقالَ ما شاءَ اللَّه أن يقولَ، وجعلَ يَطْعُنُني بيدهِ في خاصِرَتي، فلا يَمنعُني من التحرُّكِ إلاّ مكانُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على فخِذي، فقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حينَ أصبحَ على غيرِ ماءٍ، فأَنزَلَ اللَّهُ آيةَ التيمُّم، فتيمَّموا. فقال أُسَيْدُ بنُ الحُضَيرِ: ما هيَ بأَوَّلِ برَكَتِكمْ يا آلَ أبي بكرٍ. قالت: فَبَعَثْنا البَعيرَ الذي كنتُ عليهِ، فأَصَبْنا العِقْدَ تحتَه[1].

(١) باب قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾ ـ كتاب التيمم.

مناقشة النص

الخبر يقول أن أم المؤمنين عائشة كانت مع الرسول في بعض أسفاره، وأنها أضاعت عقداً، فأقام الرسول والناس معه للبحث عنه. والذي قرأ حديث الإفك يتذكر أن أم المؤمنين أضاعت عقداً لها أيضاَ، وأنها تخلفت عن اللحاق بالرسول والركب، بحثاً عنه[1].

ونتساءل إن كان مختلق قصة هذا الخبر قد سمع بخبر الإفك[2]، وصاغ قصة مشابهة لها في بعض الملامح. وبدل أن تتخلف أم المؤمنين عائشة عن الركب للبحث عن عقدها، كما في قصة الإفك، بقي الرسول والركب كله للبحث عنه.

ولم يخبرنا راوي القصة كيف علم الرسول بضياع العقد، كما أن الرسول هذه المرة هو أول من ابتدر بالبحث عنه، بينما بدت أم المؤمنين في قصة الإفك، وكأن أمرها يعنيها لوحدها، ولا يعني الرسول ولا الركب، لدرجة أنهم إرتحلوا دون أن يشعروا بتخلفها.

ولأن المغزى من القصة هنا هو مبيت الركب بدون ماء للوضوء، وإيجاد سبب لنزول آية التيمم، فلم يعر القاص إهتمامه للجوانب الأخرى في القصة، عدا التأكيد أكثر من مرة على أن مبيتهم كان ليس على ماء.

وبعكس قصة الإفك ـ التي وضعت للنيل من أم المؤمنين ـ فإن القاص هنا، أراد أن يحيك القصة وكأنها من فضائلها رضي الله عنها. فالتيمم شرع

---

(١) حديث حين قال لها أهل الإفك ـ باب حديث الإفك ـ كتاب المغازي.

(٢) لقد فصلنا الحديث عن قصة الإفك وبينا أنها مختلقة ولم تحدث على أرض الواقع في فصل خاص في كتاب سنة الأولين.

بسبب تخلف الرسول ومن معه تلك الليلة في مكان ليس فيه ماء، للبحث عن عقد أم المؤمنين، الذي تحول إلى بركة للمسلمين، وتسهيلاً لهم، بنزول آية التيمم.

وكما العادة، فالقصة المختلقة يكون حبكها ضعيفاً، ويتضح ذلك في مواقع كثيرة منها:

أن الرسول كان أول من أقام لإلتماس العقد «فأقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على التماسِهِ، وأقام الناسُ معَهُ».

ثم يبدوا أبا بكر لا علم له بسبب إقامة الرسول إلا بعد أن إشتكى له الناس: «فأتى النّاسُ إلى أبي بَكرٍ الصدِّيقِ فقالوا: ألا تَرَى ما صَنَعَتْ عائشةُ؟ أَقامتْ برسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم والناسِ، ولَيسوا على ماءٍ وليس معهمْ ماءٌ».

ولأن المهم هو إبراز مغزى القصة فقد كررالقاص تأكيد أن الرسول والركب أقاموا في مكان ليس فيه ماء، كما أنهم لا يحملون معهم ماء، بعبارات مختلفة، ست مرات.

وتبدأ القصة بهذه العبارة: «خَرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في بعضِ أسفارِهِ حتّى إذا كنّا بالبَيْداءِ ـ أو بذاتِ الجَيشِ ـ انقَطَعَ عِقْدٌ لي، فأقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على التماسِهِ، وأقام الناسُ معَهُ». والتي تبين أن الركب كان يسير عندما انقطع عقد أم المؤمنين، وفي آخر القصة تقول القصة على لسانها: «فَبَعَثْنا البَعيرَ الذي كنتُ عليهِ، فأَصَبْنا العِقْدَ تحتَه». مما يعني أن الركب كان قد توقف في ذلك المكان، وعندما نزلت أم المؤمنين من بعيرها سقط العقد تحته، ولما بعث البعير في صباح اليوم التالي وجدوه تحته.

ومثل هذا التناقض يبدوا بين قوله: «فأقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على التماسِهِ، وأقام الناسُ معَهُ». والذي يدل على أن الرسول كان أول من أقام في ذلك المكان، للبحث عن العقد. بينما تقول القصة بعد ذلك أنه بمجرد أن أقام الناس وبدأوا البحث، أخلد الرسول للنوم على فخذ أم المؤمنين وحتى الصباح: «فقالت عائشةُ: فعاتَبَني أَبو بكرٍ وقالَ ما شاءَ اللَّه أن يقولَ، وجعلَ يَطْعُنُني بيدهِ في خاصِرَتي، فلا يَمنعُني من التحرُّكِ إلاّ مكانُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على فخِذي، فقامَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حينَ أصبحَ على غيرِ ماءٍ». وكأن الرسول نسي السبب في توقفه، أو كأنه لم يعد مهماً، أو كأنه إكتفى بأمر الناس بالبحث طوال الليل بينما أخلد هو للراحة، وهو ما لا يفعله الرسول ولم يفعله في حفر الخندق حول المدينة وكان دائماً على رأس العاملين في الحفر.

ثم إن الرسول هو من أمر الناس بالتوقف في بيداء لا ماء فيها، بدل السير إلى أقرب مورد مياه.

والرسول هو الذي يتحمل مسئولية نفاذ الماء من الركب، قبل ضياع العقد، لأن القصة تؤكد أن الركب لم يكن معهم ماء عندما توقفوا: «ولَيسوا على ماءٍ وليس معهمْ ماءٌ».

ولو كان هذا ما حدث بالفعل، فإن التصرف المنطقي هو أنه لو قرر الرسول الإقامة في تلك البيداء للبحث عن العقد، فسيبعث بعض الرجال لجلب الماء للركب من أقرب مورد ماء، وهو ما لم تشر القصة لحدوثه، وأغفله القاص، لأنه سيتعارض مع السرد الذي أراده، لجعل مناسبة ضياع العقد وتوقف الركب ومبيتهم بدون ماء، سبباً لنزول آية التيمم.

وقبل أن نتطرق لما قاله القرآن الكريم، نورد فيما يلي حديثاً آخر يتحدث عن سبب نزول آية التيمم بطريقة مناقضة لقصة هذا الحديث:

حدَّثنا زكرياءُ بنُ يحيى قال: حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ نُميرٍ قال: حدَّثَنا هِشامُ بنُ عُروةَ عن أبيهِ عن عائشةَ أنها استَعارَتْ من أسماءَ قِلادةً فهلكَت، فبعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رجُلاً فوَجَدَها، فأدركتْهمُ الصلاةُ وليس معَهُمْ ماءٌ، فصلُّوا، فشكَوا ذلكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأنزلَ اللهُ آيةَ التَّيمُّمِ، فقال أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ لعائشةَ: جَزاكِ اللهُ خَيراً، فواللهِ مانَزَلَ بِك أَمرٌ تَكرَهينَهُ إلاّ جَعلَ اللهُ ذلكِ لكِ وللمسلمينَ فيهِ خَيراً[1].

وهذا الحديث يعزوا نزول آية التيمم لضياع عقد عائشة، مثل الحديث السابق، لكنه ضاع وعائشة في المدينة، ولم تكن ضمن ركب في بيداء، وأن من بحث عن العقد ووجده رجل واحد، بدليل قوله: «أنها استَعارَتْ من أسماءَ قِلادةً فهلكَت، فبعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رجُلاً فوَجَدَها».

ثم فجأة يقول القاص: «فأدركتْهمُ الصلاةُ وليس معَهُمْ ماءٌ، فصلُّوا، فشكَوا ذلكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأنزلَ اللهُ آيةَ التَّيمُّمِ». أي أن الرجل الواحد الذي بعثه الرسول للبحث عن العقد ووجده، تحول إلى مجموعة رجال «فأدركتْهمُ الصلاةُ وليس معَهُمْ ماءٌ، فصلُّوا، فشكَوا ذلكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأنزلَ اللهُ آيةَ التَّيمُّمِ».

وكأن القاص، دون أن ينتبه، إعتقد أن آية التيمم لن تنزل بسبب رجل واحد، فصاغ عبارته بصيغة الجمع، ولم يفطن إلى أنه قال قبل ذلك أن رجلاً واحداً هو من بعثه الرسول للبحث عن العقد، فجاء النص بهذه الصورة المتناقضة.

---

(١) باب إذا لم يجد ماءً ولا تراباً.

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن الآية السادسة من سورة المائدة، التي يزعم القاص أنها نزلت بسبب البحث عن عقد عائشة في كلا الحديثين، إنما نزلت لتشريع الوضوء بالماء بادئ ذي بدئ. وقد شُرِّع التيمم لمن لم يجد الماء، كجزء من تشريع الوضوء وليس بسبب حادثة عارضة لبعض الناس بعد أن عرفوا الوضوء: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦)

وفي نفس الآية تشريعات أخرى، مثل الغسل من الجنابة، والتطهر بالماء من الغائط.

وقد أكدت آية ثانية هذه التشريعات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (النساء: ٤٣) فيكون تشريع التيمم جزء من تشريع الوضوء فرض معه، وليس بعده كما تزعم الأحاديث.

وتشريعات الله لا تبنى على العاطفة، بل هي جزء من دين الله الذي إختاره الله للبشر بعلم: ﴿لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٦٦)

* * *

أقوال لغير الرسول، يبنى عليها أحكام شرعية

حدَّثنا عُمرُ بنُ حَفصٍ قال: حدَّثَنا أَبي قال: حدَّثَنا الأعمشُ قال: سَمعتُ شَقِيقَ بنَ سَلمةَ قال: كنتُ عندَ عبدِ اللّهِ وأبي موسى فقال له أبو موسى: أرأيتَ يا أبا عبدِ الرحمنِ إذا أجْنبَ فلم يَجِدْ ماءً كيفَ يَصنَعُ؟ فقال عبدُ اللّهِ: لا يُصلِّي حتى يجدَ الماءَ. فقال أبو موسى: فكيفَ تَصنَعُ بقولِ عمّارٍ حينَ قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم «كان يكفيكَ» قال: ألم تَرَ عُمرَ لم يَقنَع بذلكَ؟ فقال أبو موسى: فدَعْنا من قولِ عَمّارٍ، كيفَ تَصنعُ بهذِهِ الآيةِ؟ فما دَرَى عبدُ اللّهِ ما يقولُ. فقال: إنّا لو رَخَّصْنا لهم في هذا لأوشَكَ إذا بَرَدَ على أحَدِهِمُ الماءُ أن يدَعَهُ ويتيمَّمَ. فقلتُ لشَقِيقٍ: فإنما كرِهَ عبدُ اللّهِ لهذا؟ قال: نعم[1].

مناقشة النص

قرابة ثلث صحيح البخاري نصوص لم تنسب للرسول، وبالتالي لا يمكن أن يطلق عليها أحاديث، ومع ذلك بقيت في كتب الحديث، وهذا واحد منها.

ومع أن النص ليس بحديث، فلم يمنع الإستدلال به لتشريع يخالف شرع الله. فالله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ

(١) باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش يتيمم ـ كتاب التيمم.

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة٦

فمن لا يجد الماء فعليه بالتيمم، ويصلي ولا يؤخر الصلاة، بينما يقول الحديث بتأخير الصلاة حتى يوجد الماء.

ودين الله كامل متكامل ولا يحتاج لرأي شخصي لإكماله، ومن لديه عذر فقد رخص له الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٧)

* * *

المسح على الخفين

حدَّثنا آدمُ قال: حدَّثَنا شُعبةُ عنِ الأعمشِ قال: سمعتُ إبراهيمَ يحدَّثُ عن هَمّام بنِ الحارثِ قال: رأيتُ جَريرَ بنَ عبدِ اللهِ بالَ، ثمَّ تَوضَّأَ وَمَسحَ عَلَى خُفَّيهِ ثم قام فصَّلى، فسُئلَ فقال: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صَنعَ مثلَ هذا. قال إبراهيمُ فكان يُعجبُهم، لأنَّ جَريراً كان مِن آخِرِ مَن أَسْلَمَ[١].

وفي رواية أخرى:

حدَّثنا إِسحاقُ بنُ نصرٍ قال: حدَّثَنا أبو أسامةَ عن الأعمشِ عن مُسْلمٍ عن مَسْروقٍ عنِ المُغيرةِ بنِ شُعبةَ قال: «وضَّأْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فمسَحَ على خُفَّيهِ وصلَّى»[٢].

---

(١) باب الصلاة في الخفاف ـ كتاب الصلاة.

(٢) نفس الباب السابق.

مناقشة النص

الرواية الأولى ليست بحديث، على إعتبار أن الحديث هو، كل ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو إقرار. وهي تقول بأن جرير ابن عبدالله قد مسح على خفيه ولم يغسل رجليه، ولما سئل عن ذلك زعم أنه رأى الرسول يفعل ذلك. وجرير كان من آخر من أسلم، بشهادة ابراهيم أحد رواة الحديث، مما يعني أن الإيمان لم يتغلغل في نفسه، لأن مصاحبته للرسول كانت قصيرة.

أما الرواية الثانية فتقول أن مسروق[١] يروي عن المغيرة ابن شعبة أنه رأى الرسول يمسح على الخفين.

والقرآن لم يذكر شيئاً عن المسح على الخفين، برغم تفصيله للوضوء ولضرورة التطهر من الغائط بالماء والإغتسال من الجنابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦)

❊ ❊ ❊

(١) مسروق ابن المرزبان، يقول عنه صاحب تقريب التهذيب: «صدوق وله أوهام»، ولا أدري هل هذا مدخ أم قدح، مات سنة ٤٠.

جواز تقبيل المرأة الأجنبية بشرط

حدّثنا قُتَيبةُ قال: حدَّثَنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ عن سُليمانَ التَّيْميِّ عن أبي عثمانَ النَّهْديِّ عنِ ابن مسعودٍ «أَنَّ رجُلاً أصابَ مِن امرأةٍ قُبلةً، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرَهُ، فأنزلَ اللهُ: ﴿أَقِمِ الصلاةَ طَرَفَي النَّهارِ وزُلَفاً مِنَ الليلِ، إِنَّ الحسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ (هود: ١١٤) فقال الرجُلُ: يا رسولَ اللهِ، أَلِي هذا؟ قال: لجميعِ أُمَّتي كلِّهم»[١].

مناقشة النص

رجل قبل إمرأة غيره، كل ما عليه هو أن يصلي بعض الركعات ـ بدون تحديد ـ في أوقات غير محددة من الليل والنهار، وينتهي كل شيء.

والحديث يشرع جواز تقبيل النساء «الأجنبيات» إذا ما التزم الرجل بأداء مثل هذه الصلوات.

ولم تذكر المرأة هنا، ولا كفارتها إذا ما قبّلت رجلاً أجنبياً. ولا أظن أنها معفاة من الكفارة، لأن وضع المرأة في تلك المجتمعات التي ظهر فيها التحديث يحملها كل فسوق الرجل، ومن ذلك: حدّثنا آدمُ حدَّثنا شُعبةُ عن سليمانَ التيميِّ قال: سمعتُ أبا عثمانَ النَّهديَّ عن أُسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ماتركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النساء»[٢].

---

(١) باب قوله تعالى ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاّ تكونوا من المشركين﴾ ـ طتاب مواقيت الصلاة.

(٢) باب ما يتقى من شؤم المرأة ـ كتاب النكاح.

أما الله سبحانه وتعالى فيقول إن أي فعل يقرب من الزنى فهو من الفواحش: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ (بني إسرائيل: ٣٢)

والفواحش منهي عنها، قليلها وكثيرها، ما أعلن منها وما خفي: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)

أما كفارة من يقترف شيئاً من الفواحش فهو التوبة الفورية، وبدون رجعة أبداً لها ولغيرها من الكبائر: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمرآن: ١٣٥)

وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفاً منَ الليلِ، إنَّ الحسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ (هود: ١١٤) نزلت وكامل سورة هود في مكة لتخاطب قريش ولم تنزل في المدينة لأن رجلاً قبل إمرأة.

والسورة تذكر قريش بمصير الأمم السابقة، وتحث الرسول على الصبر على أذى قريش وعلى مصاعب الدعوة لله، ومن أفضل السبل على قدرة التحمل هو الصلاة، ولذلك أمر الرسول في بداية الدعوة بقيام الليل لقراءة القرآن، لأن سكون الليل يساعد على التركيز، كما أمر بأداء صلوت في الليل والنهار، غير الصلوات الخمس المفروضة على المسلمين، ومن ذلك ما جاء ذكره في الآية ١١٤: ﴿أَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفاً منَ الليلِ، إنَّ الحسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾.

ويظهر بوضوح أن الأمر «أقم الصلاة» للرسول صلوات الله عليه وحده،

بدليل أن الأوقات التي أمر فيها بالصلاة ليست هي أوقات الصلوات المفروضة. فليس هناك صلاة من الصلوت الخمس تؤدى في طرفي النهار، لأن الفجر في طرف الليل الأخير، والمغرب في طرف الليل الأول. وليس هناك صلوت عديدة تؤدى في أوقات متعددة من الليل «زلفاً من الليل» ولكن صلاة واحدة هي العشاء[1]. والآية ١١٤ جاءت ضمن هذه الآيات:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ. وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ. وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هود١١٢ ـ ١١٥

وما ينطبق على الحديث السابق ينطبق على الحديث التالي:

حدّثنا إبراهيمُ بنُ حَمزةَ قال: حدَّثني ابنُ أبي حازمٍ والدَّرَاوَرْدِيُّ عن يَزيدَ عن محمدِ بنِ إبراهيمَ عن أبي سَلمةَ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ عن أبي هريرةَ: أنه سَمِعَ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتُمْ لو أنَّ نهراً ببابِ أحدِكم يَغتسِلُ فيه كلَّ يومٍ خَمساً ما تَقولُ: ذلك يُبقي من دَرَنه؟ قالوا: لا يُبْقي من دَرَنِه شيئاً. قال: فذلك مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ يَمحو اللّه بها الْخَطايا».

وينطبق على الأحاديث التي تقول بأن الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهما. والحج أو العمرة كفارة، والصوم كفارة.

(١) وقد فصلنا الحديث عن الصلوات الخاصة بالرسول في كتاب سنة الأولين / فصل برنامج التأهيل النفسي والإرشاد الإلهي.

لأن الدين عبارة عن معاملات وحدود وآداب وعبادات، وكل تشريع لا يغني عن تشريع آخر، فلا تغني العبادات عن المعاملات، ولا تغني الآداب عن الأعمال الصالحة، وهكذا.

* * *

التفل والبصاق في الصلاة

حدّثنا مُسلمُ بنُ إبراهيمَ قال: حدَّثَنا هِشامٌ عن قَتادةَ عن أنسٍ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أحدَكم إذا صلَّى يُناجي ربَّه، فلا يَتْفُلَنَّ عن يَمينِه، ولكنْ تحتَ قدمِهِ اليُسرَى». وقال سعيدٌ عن قَتادةَ: لا يَتفُلُ قُدّامَهُ أو بينَ يدَيهِ، ولكنْ عن يَسارِهِ أو تحتَ قدَمَيهِ. قول شُعبةُ: لا يَبزُقُ بَينَ يدَيهِ ولا عن يمينهَ، ولكنْ عن يَسارِهِ أَو تحتَ قدمِه. وقال حُميدٌ عن أنسٍ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا يَبزُقُ في القِبلةِ ولا عن يمِينهِ، ولكنْ عن يَسارِهِ أو تحتَ قدَمِهِ»[١].

مناقشة النص

الله سبحانه وتعالى بعد أن هدى (بوأ) ابراهيم عليه السلام لمكان البيت، كان أول ما أمره به أن يطهره للمصلين: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦)

فكيف يأتي رسول الله صلوات الله عليه ويسمح بأن يتفل المصلي على يساره أو تحت قدميه؟

---

(١) باب المصلي يناجي ربه ـ كتاب مواقيت الصلاة.

وكيف يمكن للمصلي أن يتفل عن يساره وبجانبه شخص آخر يصلي؟

وكيف يمكن تصور موضع القدمين إذا كان كل مصلي سيتفل؟

وما هي هذه الحكمة التي تستفاد من مثل هذا الحديث؟

أو حديث آخر يقول: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ قال: أخبرَنا إبراهيمُ بنُ سَعدٍ أخبرَنا ابنُ شِهابٍ عن حُميدٍ بنِ عبد الرَّحمنِ: أن أبا هريرةَ وَأبا سَعيدٍ حدَّثاهُ: أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رأى نُخامةً في جَدارِ المسجدِ فَتناوَلَ حَصاةً فحَكَّها فقال: «إذا تَنخَّمَ أَحدُكم فلا يَتنخَّمنَّ قِبَلَ وَجههِ ولاعن يَمينهِ، ولْيَبْصُقْ عن يَسارِه أو تحتَ قَدمِه اليُسْرَى».

وإذا كانت الصلاة مناجاة لله، فكيف يتصور أن المناجي يبزق أو يتفل أو يتنخم على يساره أو تحت قدميه أو قدمه اليسرى؟

لأن كل هذه التصرفات لا تليق بمناجاة الله سبحانه وتعالى، بل لا تليق أن يفعلها الإنسان وهو يتحدث مع إنسان آخر خارج المسجد.

ولعل الحديث بدأ من شعبة أو قتادة أو حميد، في محاولة لمنع الناس في زمانهم من مثل هذه التصرفات، ولم يعلم به أنس ولم يقله الرسول.

يقول تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨)

* * *

الجمع والقصر في الصلاة

حدّثنا أبو النُّعمانِ قال: حدَّثنا حَمّادٌ هُوَ ابْنُ زيدٍ عن عمرو بنِ دينارٍ عن جابرِ بنِ زيدٍ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صلَّى بالمدينةِ

سَبعاً وثمانياً الظُّهر والعصرَ والمغرِبَ والعِشاءَ، فقالَ أَيُّوبُ: لعلَّهُ في ليلةٍ مَطِيرَةٍ؟ قال: عسى[1].

مناقشة النص

الحديث ينسب لابن عباس أن الرسول صلى بالمدينة سبعة أيام أو ثمانية يجمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء بدون سبب، لدرجة أن أيوب لما راجع ابن عباس في أنه قد يكون هناك سبب، كان جواب ابن عباس: «عسى». أي أنه تمنى أن يكون هناك سبب، ولكنه لايعرف سبباً لذلك.

وابن عباس يستحيل أن يكون هاجر للمدينة، لأن والده العباس نطق بالشهادتين يوم الفتح، وبقي في مكة لأنه لم يعد هناك حاجة للهجرة بعد أن إستسلمت قريش لحكم دولة الإسلام، وكان ابن عباس طفلاً في ذلك الوقت. وحتى لو صحب العباس إبنه عندما حضر للمدينة والرسول على فراش الموت، فإن ابن عباس لا يمكن أن يكون شاهداً على مثل هذا الحديث، لأن الرسول كان مريضاً، ولم تذكر المصادر أنه صلوات الله وسلامه عليه قد جمع الصلاة لمدة سبعة أو ثمانية ايام متتابعة في مرضه الذي مات فيه. ثم ان ابن عباس لم يرو الحديث عن شاهد عيان، بل داء النص وكأن ابن عباس هو الشهاد على الحادثة.

والقرآن لم يذكر جمعاً للصلوات على الإطلاق، ولكنه ذكر أن هناك قصر للصلاة في حالة المواجهة مع العدو وجهاً لوجه، والخوف من أن يستغل العدو دخول المسلمين في الصلاة فيهاجمهم، وإذا ما إنتهت المعركة وزال الخوف فيجب على المسلمين إكمال الصلاة بطمأنينة: ﴿وَإِذَا

(١) باب تأخير الظهر إلى العصر ـ كتاب مواقيت الصلاة.

ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا. وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا. فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠١ ـ ١٠٣)

فالسماح بتقصير الصلاة مشروط بالمواجهة مع العدو» وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ».

وهذه الصلاة المقصورة سماها القرآن «صلاة الخوف» لأنها لا تصلى إلا في هذه الحالة، وبينت الآية ١٠٢ كيفية تلك الصلاة.

وما عدا ذلك فلم يجز القرآن القصر أو الجمع.

❊ ❊ ❊

الصلاة في الرحال

حدّثنا مُسدَّدٌ قال: حدَّثَنا حمّادٌ عن أيوبَ وعبدِ الحميدِ صاحبِ الزِّياديِّ وعاصمٍ الأحْولِ عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ قال: «خَطبَنا ابنُ عبّاس في يومٍ رَدْغٍ، فلمَّا بَلغَ المؤذِّنُ حيَّ عَلَى الصلاةِ فأمَرَهُ أن يُناديَ: الصلاةُ في

الرِّحالِ، فنَظَرَ القومُ بعضُهم إلى بعضٍ، فقال: فعلَ هذا من هوَ خيرٌ منه. وإنها عَزْمةٌ»[1].

ومثله: حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرَنا مالكٌ عن نافع: «أنَّ ابنَ عمرَ أَذَّنَ بالصلاةِ ـ في ليلةٍ ذاتِ برْدٍ وريحٍ ـ ثم قال: أَلا صلُّوا في الرِّحالِ. ثمَّ قال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كان يأْمرُ المؤَذِّنَ ـ إذا كانت ليلةٌ ذاتُ بردٍ وَمَطَرٍ ـ يَقولُ: أَلا صلُّوا في الرِّحال»[2].

مناقشة النص

جميع الأحاديث التي أوردها البخاري عن الصلاة في الرحال جاءت على لسان ابن عباس أو ابن عمر، اللذين يطلبان من المؤذن أن يقول صلوا في الرحال، وعندما يتساءل الناس مستغربين الطلب، يأتي التبرير أن الرسول قد فعل ذلك.

ويبدوا أن الحديث لم يقله الرسول على الإطلاق، ولم يصل الرسول في الرحال حتى في الحالات التي يكون فيها المطر شديداً لدرجة أن سقف المسجد يسيل ويتحول مصلى الرسول لبركة من الطين، وهذا ما يقوله حديث أورده البخاري في نفس كتاب الأذان: حدّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ قال: حدَّثَنا هِشامٌ عن يحيى عن أبي سَلمةَ قال: «سألتُ أَبا سعيدٍ الْخُدريَّ فقال: جاءتْ سَحابةٌ فمطَرتْ حتى سال السَّقفُ ـ وكان من جَرِيدِ النخلِ ـ فأُقيمَتِ الصلاةُ، فرأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسجُدُ في الماءِ

(١) باب الكلام في الأذان ـ كتاب الآذان.
(٢) باب الرخصة في المطر والعلة أن يصلي في رحله ـ كتاب الآذان.

والطينِ، حتى رأيتُ أَثرَ الطينِ في جَبهتِهِ»[1].

ولو كان الرسول هو من أمر بالصلاة في الرحال أثناء المطر، فقد كان عليه الصلاة والسلام بأمس الحاجة للصلاة في الرحال في مثل ذلك اليوم، بدل أن يسجد في الماء والطين.

ولو رجعنا للآيات من سورة النساء التي ذكرناها في مناقشة حديث جمع الصلاة، السابق لهذا الحديث، لوجدنا أن الآية رقم (١٠٢) تقول: «. . . . وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا». فهي تسمح للمقاتل الذي أمامه العدو في أن يضع سلاحه في حالة الأذى من المطر الشديد، ولكن لا تسمح بتأخير الصلاة عن وقتها حتى يتوقف أو يخف المطر، فكيف يسمح في الصلاة في الرحال؟

ولو كان هناك سماح من الله في الصلاة في الرحال لنص عليه القرآن الكريم كما نص على من به أذى من رأسه في الحج أن لا يحلق رأسه، فعليه فدية، وهو أهون من الأمر بالصلاة في الرحال:

﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة١٩٦

❊ ❊ ❊

(١) باب هل يصلي الإمام بمن حضر.

إدبار الشيطان وله ضراط

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرَنا مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عنِ الأعرجِ عن أبي هريرةَ: أَنَّ رسول الله قال: «إِذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ حتى لا يَسمعَ التَّأْذينَ، فإذا قُضِيَ النِّداءُ أقبلَ، حتّى إذا ثُوِّبَ بالصلاةِ أدبرَ، حتّى إذا قُضِي التثويبِ أَقبلَ حتى يَخْطُرَ بينَ المرءِ ونفسهِ يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا ـ لما لم يَكنْ يَذكرُ ـ حتّى يَظلَّ الرجلُ لا يَدرِي كم صلَّى»[1].

مناقشة النص

لو أن الشيطان (والمقصود به إبليس هنا) يدبر عند سماع الأذان، فسيقضي كل ثانية من ساعات الليل والنهار مدبراً وله ضراط، هذه الأيام، لأنه لا يمضي ثانية واحدة من بين ٨٦٤٠٠ ثانية في اليوم والليلة إلا وهناك أذان في مكان ما من الأرض. ولن يكون بمقدوره أن يجد الوقت الكافي للوسوسة في الصلاة أو في غيرها.

ولكن الوضع ليس بهذه الشكل البسيط السطحي الذي صوره لنا القاص، بتخيله أن الشيطان له ضراط، لأنه لا يعرف أن الضراط نتيجة لعملية هضم الطعام ومسيره في الأمعاء، والشيطان، كمخلوق ـ نوراني ـ لا حسي، لا يأكل وليس له جهاز هظمي.

والقاص نسب للشيطان أنه يوسوس للمرء في صلاته، مع أن الصلاة يردد فيها ذكر الله ويقرأ القرآن، الذي هو أكثر قدرة على طرد الشيطان من الأذان.

---

(١) باب فضل التأذين ـ كتاب الآذان.

لكن القاص تعمد أن يتناسى ذلك، لأنه أراد أن يجعل محور الحديث يدور حول وساوس الشيطان في الصلاة، إضافة لفضل الأذان، حسب تصوره.

وقد مر بنا حديث منسوب لأبي هريرة يتحدث عن أن الشيطان قد علّم أبا هريرة أن يقرأ «آية الكرسي» ليضمن عدم إقتراب الشيطان منه.

أما القرآن فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)

وكل ما على المرء القيام به إذا وسوس له الشيطان، هو الإستعاذة بالله منه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)

وكذلك إذا ما أراد الإنسان أن يقرأ القرآن: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨)

* * *

قصة بلا موضوع

حدَّثنا أبو اليمانِ أَخبرَنا شُعَيبٌ عنِ الزُّهْريِّ. ح. قال أبو عبدالله وقال ابنُ وَهبٍ أَخبرَنا يونُسُ عنِ ابنِ شِهابٍ عن عُبَيدِ الله بن عبد الله بن أبي ثَورٍ عن عبدالله بن عباسٍ عن عُمرَ قال: كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَنزِلُ يَوماً وأَنزِلُ يَوماً، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليوم مِنَ الوحي وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ. فنزَلَ صاحِبي الأنصاريُّ يومَ نوبتهِ، فَضرَبَ بابي ضرباً شديداً فقال: أثمَّ هوَ؟ ففَزِعت، فخرَجْتُ

إِليهِ فقال: قد حدثَ أَمرٌ عظيم. قال: فدخلتُ على حفصةَ فإذا هي تبكي، فقلتُ: طلَّقَكُنَّ رسول اللهِ؟ قالت: لاأَدري. ثمَّ دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فقلتُ وأنا قائم: أطلقتَ نساءك؟ قال: لا. فقلتُ: اللهُ أكبر[1].

مناقشة النص

إذا استثنينا حرص عمر وصاحبه المجهول على متابعة ما يقوله الرسول، فإن هذه الحكاية لا تخبرنا بشيء، لأنها لم تبين مالذي حدث بين الرسول وزوجاته.

ونجهل لماذا تحشى كتب الحديث بقصص من هذا النوع.

ومثله: حدّثنا أبو الوَليدِ حدَّثنا مالكٌ عن الزُّهريِّ: عن أنس رضيَ الله عنه «أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دخَل مكةَ عامَ الفتح وعلى رأسه المِغْفَر»[2].

فمالذي يستفاد من هذا الخبر، في دين الله؟

وما هو الفرق بين أن يلبس الرسول المغفر أو لباس غيره؟

* * *

(١) باب التناوب في العلم ـ كتاب العلم.

(٢) باب المغفر ـ كتاب اللباس ـ المجلد السابع.

المجلد الثاني

التوسل لله باسم العباس

حدّثنا الحسنُ بنُ محمدٍ قال حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ قال: حدَّثني أبي عبدُ اللهِ بنَ المثنّى عن ثُمامةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَنسٍ عن أنس «أَنَّ عمرَ بنَ الخَطّابِ رضيَ اللهُ عنه كان إِذا قحَطوا استسقى بالعبّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ فقال: اللّهمَّ إِنا كنّا نَتوسَّلُ إليكَ بنبِّينا صلى الله عليه وسلم فتَسقِينا، وَإِنا نتوسَّلُ إِليكَ بعَمِّ نبيِّنا فاسقِنا. قال: فيُسقونَ»[1].

مناقشة النص

لم يحدث في حياة النبي على الإطلاق أن توسل الناس به، وكل ما ذكرته كتب الحديث والسير أن الرسول كان يدعوا الله أن يسقيهم، دون أن يقول: اللهم بحقي عليك أسقهم، أو ألفاظ أخرى تدل على التوسل بحقه على الله. فالله جل وعلى ليس لأحد من خلقه حق عليه، سواءاً من البشر أو من الملائكة أو من غيرهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ. . .﴾ آل عمران١٤٤

والمطر ينزل حسب قوانين طبيعية وفيزيائية أودعها الله في الغلاف

(١) باب سؤال الناس الإمام الإستسقاء إذا قحطوا ـ كتاب الإستسقاء.

الجوي للأرض، ولا تنزل بسبب دعوة شخص دون آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف٥٧

ولو كانت هذه القوانين الثابتة تتغير من أجل أحد، لأصبحت المدينة خضراء، ولو أثناء زمن رسول الله، الذي عانا الناس فيه من القحط كما يعانون الآن. فالجو الصحراوي لا تنتظم فيه الأمطار، كما هو معروف، وإن اجتاحته السيول لسنة من السنوات فهذا لايعني أنه سيتحول إلى منطقة مطيرة.

وكون الناس يعيشون في مناطق مطيرة لايعني أن الله راض عنهم أكثر ممن يعيشون في مناطق جافة، وإلا لكان الله قد رضي على أهل الطائف، زمن رسول الله، ولم يرض عن المسلمين من أهل المدينة.

ولكن القرآن يقول عن أهل المدينة في ذلك الوقت: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة١٠٠

بينما يصف سبحانه أهل الطائف، الممطرة، بالكفار: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ التوبة ٢٥ ـ ٢٦

فإذا كان الرسول ليس له حق على الله، فكيف بالعباس الذي لم يؤمن

برسالة محمد طوال عشرين عاماً من الدعوة، وعندما فتحت مكة نطق بالشهادتين كواحد من الطلقاء، عندما لم يكن له خيار آخر.

ولكن، يبدوا أن القاص من الذين يعظمون العباس، وأراد أن يشاركه غيره في تعظيمه، باختلاق هذه القصة على لسان عمر ابن الخطاب، المكروه الأول، لدى الكثير من الشيعة، ليوحي بأنه حتى عمر أقر بفضل العباس.

وما قيل عن هذا الحديث يقال عن الحديث التالي:

حدّثنا مسدَّدُ قال: حدَّثَنا أَبو عَوانةَ عن قَتادةَ عن أنسٍ قال: «بينما رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخطبُ يومَ الجُمعةِ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ قَحطَ المطرُ، فادعُ اللهَ أن يَسقِيَنا. فدعا، فمُطِرنا، فما كِدنا أن نَصِلَ إلى مَنازلنا، فما زلنا نُمطَرُ إلى الجُمعةِ المقبلةِ. قال فقام ذلكَ الرجُلُ ـ أَو غيرُه ـ فقال: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يَصرِفَهُ عنا. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اللّهمَّ حَوالَينا ولا علينا. قال: فلقد رأيتُ السحابَ يتقطَّعُ يميناً وشمالاً، يُمطَرونَ ولا يُمطَرُ أهلُ المدينة»[1].

فالله سبحانه وتعالى لن يوقف المطر أو يأتي بالمطر حسب رغبات البشر، كما سبق وذكرنا، ولو كان الأمر كذلك، للاحقت السحب المسلمين أينما حلوا، ولما أمطرت على الكفار نقطة واحدة، ولكن توزيع المطر على الأرض يتم حسب قوانين ثابتة، ونتيجة لذلك أصبح هناك مناطق مطيرة حارة تنبت فيها نباتات وتعيش فيها حيوانات غير تلك التي تعيش في المناطق المطيرة الباردة، وهناك مناطق قاحلة حارة، تنموا فيها

(١) باب الإستسقاء على المنبر.

حشائش ونباتات وتعيش فيها حيوانات وحشرات غير تلك التي تعيش في المناطق القاحلة الباردة، وهكذا.

وإذا كان بعض المسلمين يعيشون في مناطق قاحلة، فهم من إختار العيش هناك، وكان بإمكانهم النزوح لأراض مطيرة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر١٠

وإذا وجد المرء نفسه في شغف عيش أو إضطهاد بسبب بشري أو بيئي، فيجب عليه الهجرة لمكان آخر حتى لا يظلم نفسه، وهذا ينطبق على من يعيش في بيئة قاحلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ النساء٩٧

أما من إختار العيش في بيئة ضنكاً ويريد من الله أن يغير من قوانينه الثابتة التي عليها الأرض، من أجل أن تتحول البقعة التي يعيش عليها جنة خضراء، فهو كقول اليهود: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة٢٤

عندما طلب منهم الله أن يدخلوا القرية الظالم أهلها ويخرجوهم منها جزاء ما فعلوا لتكون أرضاً لهم عوضاً عن أرضهم التي تركوها في مصر، لكن اليهود يريدون أن يقوم سبحانه بكل شيء عنهم.

* * *

السجدة هل هي من الدين؟

حدّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ قال: حدَّثَنا غُنْدَرٌ قال: حدَّثَنا شُعبةُ عن أبي

إسحاقَ قال: سمعتُ الأسودَ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «قرأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم النَّجمَ بمكةَ فسجدَ فيها وسجدَ من معَهُ، غيرَ شيخٍ أخذَ كفّاً من حَصىً أو ترابٍ ورفَعَهُ إلى جَبهتهِ وقال: يَكفيني هذا. فرأيتهُ بعدَ ذلكَ قُتِلَ كافراً»[1].

مناقشة النص

القاص إختلق هذا الحديث على لسان ابن عباس، الذي كان عمره عندما توفي رسول الله ما بين ثمان إلى ثلاث عشرة سنة، وبالتالي يستحيل أن يكون شاهداً معتبر شرعاً على القصة.

كما أن كل من أسلم مع الرسول ذكروا بالإسم في كتب السير، ولم يذكر أن هناك شيخاً قد أسلم ثم كفر، ثم حارب الرسول وقتله المسلمون. وجميع قتلى قريش معروفين في بدر أو أحد، المعركتين الوحيدتين اللتين تقابل فيهما المسلمون مع قريش.

وبطبيعة الحال إذا كان شيخاً طاعناً في السن فلن يكون باستطاعته القتال. ويكون قد قتله أحد دون قتال ومعارك، ولو هذا حدث فلماذا لم يثأر له قومه؟

ولكن يبدوا أن القاص أراد أن يعظم من شأن السجدة، فاختلق هذه القصة، لتصور هول من يتركها، أو يتهاون فيها، حتى أن هذا الشيخ، عندما لم يسجد، وأكتفى بمس الحصى لجبهته حكم الله عليه بالضلال، ومات كافراً.

(١) باب ما جاء في سجود القرآن وسنتها ـ كتاب سجود السهو.

ويبدوا أن هذا التهويل لأمر السجدة وجده القاص أو قاص آخر، ليس مؤثراً بما يكفي، فاختلق حديثاً آخر على لسان ابن عباس أيضاً، يقول: حدّثنا مسدَّدٌ قال: حدَّثَنا عبدُ الوارثِ قال: حدَّثَنا أيوبُ عنْ عكرِمةَ عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: «أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم سجدَ بالنجمِ، وسجدَ معه المسلمون والمشركونَ، والجنُّ والإنسُ»[1].

وبطبيعة الحال هذا لم يحدث، ولا يمكن أن يكون حدث، ومع ذلك نقله لنا البخاري وغيره من المحدثين، كما نقلوا لنا أن هناك من سجد عند آيات ليس فيها ذكر للسجود، ومن ذلك: حدّثنا مُسلمٌ ومُعاذُ بنُ فَضالةَ قالا: أخبرَنا هِشامٌ عن يحيى عن أبي سَلمةَ قال: «رأيتُ أبا هُريرةَ رضيَ الله عنهُ قرأَ ﴿إذا السماءُ انشقَّتْ﴾ فسجَدَ بها، فقلتُ: يا أبا هُريرةَ، ألم أرَكَ تسجُدُ؟ قال: لو لم أرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْجُد لم أسجُدْ»[2].

والقاص كأنه يقول بأن أبا هريرة نسب للرسول أنه سجد، لكي يتخلص من الحرج.

والسجدة كل ما ورد فيها أحاديث، وهذه الأحاديث تنص على أن من اختار السجود فليسجد ومن اختار عدم السجود فليس عليه شيء، ومن ذلك: حدّثنا إبراهيمُ بنُ موسى قال: أخبرَنا هِشامُ بنُ يوسفَ أنَّ ابنَ جُرَيجٍ أخبرَهم قال: أخبرَني أبو بكرِ بنُ أبي مُلَيكةَ عن عثمانَ بن عبدِ الرحمنِ التَّيميِّ عن ربيعةَ بنِ عبدِ الله بنِ الهُدَيرِ التيميِّ قال أبو بكر: وكان ربيعةُ من خِيارِ الناسِ ـ عمّا حَضرَ ربيعةُ من عمرَ بنِ الخَطّابِ رضيَ الله عنه، قرأ يومَ

---

(١) باب سجود المسلمين مع المشركين.
(٢) باب سجدة إذا السماء انشقت.

الجمعةِ على المنبرِ بسُورةِ النَّحلِ، حتى إذا جاءَ السجدةَ نزلَ فسجدَ وسجدَ الناسُ، حتى إذا كانتِ الجمعةُ القابلةُ قرأ بها حتى إذا جاءَ السجدةَ قال: ياأَيُّها الناسُ، إنا نَمُرُّ بالسجودِ، فمن سجَد فقد أصابَ، ومَن لم يَسجُدْ فلا إِثمَ عليهِ. ولم يَسجدْ عمرُ رضي الله عنه». وزادَ نافعٌ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما: «أنَّ الله لم يَفرِضِ السجودَ إلاّ أنْ نَشاءَ»[1].

بل إن الرسول نفسه لم يسجد، كما جاء في هذا الحديث: حدّثنا سُليمانُ بنُ داودَ أبو الربيعِ قال: حدَّثَنا إسماعيلُ بن جعفرٍ قال: أخبرَنا يزيدُ بنُ خُصَيفةَ عن ابنِ قُسَيطٍ عن عطاءِ بنِ يَسارٍ أنه أخبرَهُ: «أنه سألَ زيدَ بنَ ثابتٍ رضيَ الله عنه فزَعمَ أنه قرأ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم والنجمِ فلم يَسجُدْ فيها»[2].

ولو كان هناك سجدة في الأصل، فهي، حسبما فهم من الأحاديث، خيار لمن يقرأ القرآن، خارج الصلاة، أما في الصلاة فليس لها مكان، لأن الصلاة محددة الحركات والوقوف والركوع والسجود والجلوس، ولأن الصلاة تتضمن السجود، فلا داعي للإخلال بالصلاة بسجدة ليست منها، وليست مطلوبة حتى خارجها.

* * *

هل هناك مسجد في القدس زمن رسول الله؟

حدَّثَنا عليٌّ حدَّثَنا سُفيانُ عنِ الزُّهريِّ عن سعيدٍ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ

---

(١) باب من رأى أن الله لم يوجب السجود.

(٢) باب من قرأ السجدة ولم يسجد.

مَساجِدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى»[1].

لو كان هناك مسجد فضل الصلاة فيه أكثر من غيره، لكان في ذلك ظلم لأصحاب المساجد الأخرى. والله سبحانه وتعالى﴿. . . . لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس٤٤

وتكريم الله للمسجد الحرام ليس بتفضيل الصلاة فيه على غيره، ولكن﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة٩٧

كما جعله قبلة للمصلين: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ البقرة١٥٠

وجعله: ﴿. . . . . مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة١٢٥

وجعله محجاً: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا

(١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ـ متاب فضل الصلاة في مسجد مكة.

مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ. ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحج ٢٦ ـ ٢٩

فإذا كانت الصلاة في بيت الله الحرام لا تفضل الصلاة في أي مكان غيره، فمن باب أولى ألا يكون هناك فضل للصلاة في مسجد المدينة أو كربلاء أو قم أو في إيليا.

أما ما يسمى اليوم بالمسجد الأقصى الموجود في القدس، فلسطين، فقد بني في عهد بني أمية، وسمي بالمسجد الأقصى تيمناً بالذي ذكر في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الإسراء١

ولم يكن هناك مسجد في القدس ولا في كل فلسطين طوال فترة عصر رسول الله وعصر الخلفاء الأربعة وصدر عصر الأمويين[1].

* * *

أساطير إسرائيلية

قال اللَّيثُ: حدَّثني جعفرٌ عن عبدِ الرحمنِ بن هُرمُز قال: قال أبو هريرةَ رضيَ اللّهُ عنه قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم «نادَتِ امرأةٌ ابنَها وهوَ في صومعتِهِ قالت: يا جُرَيجُ، قال: اللّهمَّ أُمِّي وصلاتي. قالت: يا جُرَيجُ، قال اللّهمَّ أُمِّي وصلاتي. قالت: يا جُرَيجُ، قال اللهم أمي

(١) وقد أثبتنا أنه لم يكن هناك مسجد في القدس ليس فقط زمن محمد، بل إن إبراهيم وموسى لم يعرفا فلسطين ولم يكن لهما مساجد هناك، فصل الإسراء والمعراج / كتاب سنة الأولين.

وصلاتي. قالت اللّهمَّ لا يموتُ جُرَيجٌ حتى يَنظُر في وجهِ المَياميسِ. وكانت تأوي إلى صومَعتِه راعيةٌ تَرعى الغَنَم، فوَلَدتْ، فقيل لها: ممَّنْ هذا الولدُ؟ قالت: مِن جُرَيجٍ نزلَ مِن صَومعتِه. قال جُريجٌ: أينَ هذه التي تَزعُمُ أنّ وَلَدَها لي؟ قال: يا بابُوسُ، مَن أبوكَ؟ قال: راعي الغَنَمِ»[1].

مناقشة النص

هذه الخرافة غير مقبولة حتى ولو كتبت في كتاب للأساطير الشعبية، لأنها من الخرافات الإسرائيلية التي نهى الله سبحانه المؤمنين أن يستمعوا لمثلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران١٠٠

وقبل هذه الآية حذرنا القرآن منهم لأن: ﴿. . . مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران ٧٨

ولكن يبدوا أن القاص لم يعر تحذير الله وتهديده أي إهتمام، فتشبه بهم، ولوى لسانه مثلهم بهذه القصة، لنحسبها منسوبة للرسول. ولا ندري إن كان القاص من أهل الكتاب الذين تظاهروا بالإسلام ليبثوا مثل هذه الخزعبلات بين الناس ولم يؤمنوا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة٧٥

---

(١) باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة ـ كتاب العمل في الصلاة.

ونعود للحديث الذي ينسب لله جل وعلى أنه إستجاب لدعاء الأم وحكم على الإبن بالزنى، مع أن هذا يخالف قانوناً إلهياً، يقول: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر١٨

ولو عصى الإبن أمه فسيعاقب في الآخرة، لكن لن يحكم الله عليه بالزنى ومن ثم يعاقبه على شيئ قدره عليه ولا يستطيع دفعه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس٤٤

وهذا حديث مماثل:

حدَّثنا محمودٌ حدَّثَنا عبدُ الرزّاقِ أخبرَنا مَعْمرٌ عنِ ابنِ طاوُسٍ عن أبيهِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال «أُرسِلَ مَلَكُ المَوتِ إلى موسى عليهما السلامُ، فلمَّا جاءَهُ صَكَّهُ، فرجَعَ إلى ربِّهِ فقالَ: أرسلْتَني إلى عبدٍ لا يُريدُ المَوتَ. فرَدَّ اللهُ عليهِ عَينَه وقال: ارجعْ فَقُلْ لهُ يَضَعُ يدَهُ على مَتنِ ثَورٍ، فلهُ بكلِّ ما غَطتْ بهِ يدُهُ بكلِّ شعرةٍ سنةٌ. قال: أي ربِّ، ثمَّ ماذا؟ قال: ثمَّ الموتُ. قال فالآن. فسألَ اللهَ أن يُدنِيَهُ مِنَ الأرض المقدَّسةِ رميةً بحجَرٍ. قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فلو كنتُ ثَمَّ، لأريتُكم قبرَهُ إلى جانبِ الطريق عند الكثيب الأحمر»[١].

وهذا الحديث يصور الله وكأنه يتردد في أحكامه: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ق٢٩

ويصوره سبحانه وكأنه يتعامل مع خلقه البشر تعامل قريب من الند للند. ويصور موسى وكأن له قدرة على رد ما أوجبه الله على الناس،

(١) باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها ـ كتاب الجنائز.

ويصور ملك الموت كأحد جنود السلاطين المكلفين بتصفية أحد المعارضين، ويصور الموت وكأنه يتم بطريقة ميكانيكية يقوم بها مخلوق (ملك الموت) كما يقوم الإنسان بنزع قطعة معدنية من آلة أو سيارة[١].

❋ ❋ ❋

هل يعذب الميت إذا بكاه أهله؟

حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ عن أبيهِ عن عَمرةَ بنتِ عبدِ الرحمن أنها أخبرَتْهُ أنها سمعتْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالت «إنما مرّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على يهوديةٍ يبكي عليها أهلُها فقال إنهم ليبكونَ عليها وإنها لتُعذَّبُ في قبرها»[٢].

ومثله: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ خليلٍ حدَّثَنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ حدَّثَنا أبو إسحاقَ وهو الشيبانيُّ عن أبي بُرْدةَ عن أبيهِ قال «لمَّا أُصيبَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه جَعَل صُهيبٌ يقولُ: واأخاهُ. فقال عمرُ: أما عَلمتَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ ببكاءِ الحيّ»؟[٣].

مناقشة النص

الرد على مثل هذه الأحاديث جاء على لسان أم المؤمنين عائشة: حدّثني عُبَيدُ بن إسماعيلَ حدثنا أبو أسامةَ عن هشام عن أبيهِ قال: «ذُكِرَ

---

(١) لقد فصلنا كيف يتم خروج الروح من الجسد مما استشفيناه من الآيات، في كتابنا سنة الأولين ـ فصل عذاب القبر.

(٢) باب قول النبي يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ـ كتاب الجنائز.

(٣) نفس الباب السابق.

عندَ عائشةَ رضي اللهُ عنها أن ابنَ عمرَ رَفعَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ في قبرِهِ ببكاءِ أهله. فقالت: وَهَلَ ابنُ عُمَرَ رحمه الله، إنَّما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليُعذَّبُ بخطيئته وذَنْبه، وإنَّ أهلَه لَيَبكونَ عليه الآن»[1].

فالله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ المرء بجريرة غيره، وإنما يؤاخذه بخطيئته وذنبه هو كما نسب لأم المؤمنين هنا.

والله سبحانه وتعالى يؤكد أنه لن يُحمّل الإنسان أوزاراً بسبب تصرفات غيره، ولن يَحمل أوزار غيره:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ العنكبوت١٢

وأنه سيحاسب بناءاً على ما اقترفته يداه، لا على ما اقترفه الآخرون، كما جاء في سورة النجم: ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴿٤١﴾

ومثله

حدّثني عمرانُ بن مَيسرةَ محمدُ بن فُضيل عن حُصَين عن عامر عن النعمانِ بن بَشير رضي الله عنهما قال: «أُغميَ على عبدِ الله بن رَواحةَ، فجعلَتْ أختُهُ عَمرةُ تبكي: واجَبَلاه، واكذا واكذا، تُعدِّدُ عليه، فقال حين أفاقَ: ماقلتِ شيئاً إلاّ قيل لي: آنتَ كذلك»[2].

---

(١) كتاب المغازي ـ باب قتل أبي جهل.
(٢) باب غزوة مؤتة ـ كتاب المغازي.

وعبدالله ابن رواحه قتل في مؤته ولم تكن أخته معه، لتشهد موته، ولكن مختلق الحديث يجهل ذلك.

* * *

لمس المرأة من غير المحرم

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدَّثَنا فُلَيحُ بنُ سُليمانَ حدَّثَنا هِلالُ بنُ عليٍّ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «شَهِدْنَا بنتَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ـ ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جالسٌ على القَبرِ ـ فرأيتُ عَينَيهِ تَدمعانِ، فقال: هل فيكم مِن أحَدٍ لم يُقارِفِ الليلةَ؟ فقال أبو طلحةَ: أنا. فقال: فانزِلْ في قبرِها. فنزَلَ في قبرِها فَقَبَرَها» قال ابن مُبارَكٍ قال فُليحٌ: أُراهُ يَعني الذَّنْبَ. قال أبو عبدالله: ﴿ليقترِفوا﴾ (الأنعام: ١١٣) أي ليكتسبوا[١].

مناقشة النص

النص يتطرق إلى نقطتين، هما:

أن أبا طلحة قد حمل ابنة الرسول وأدخلها قبرها، مع أنه ليس بمحرم لها، وهو ما يهدم قواعد فقهية كثيرة تحرم مس المرأة الأجنبية حية أو ميتة.

والنقطة الثانية أن الرسول إشترط على من يدخل ابنته القبر أنه لم يقارف في الليلة السابقة، وكما ورد في الحديث، فالمقارفة هي إقتراف الذنب.

فكيف جزم أبا طلحة أنه لم يقترف ذنباً؟

---

(١) باب من يدخل في قبر المرأة ـ كتاب الجنائز.

لأن التعرف على الذنوب لن يكون قبل يوم الحساب ونشر الأعمال.

وكيف صدق الرسول كلامه دون تمحيص وتأكد، ودون أن يطلب بينة أو شهود؟

والقرآن يخلوا من أي نص يدل على تحريم لمس المرأة الأجنبية حية إذا كان اللمس كالمصافحة، ولم يحرم أن يقبر الرجل إمرأة أجنبية، متوافقاً مع هذا الحديث. وهذا يعني تعارضه مع الأحكام الفقية التي تحرم ذلك.

وما حرمه القرآن هو التصرفات التي تعتبر من الفواحش: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام١٥١

أو المُقرّبة من الزنى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾بني إسرائيل٣٢

* * *

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

حدَّثنا عليٌّ بنُ عبدِ اللَّهِ حدَّثَنا سُفيانُ قال عمروٌ: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنهما قال «أتى رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عبدَ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بعدَ ما أُدخِلَ حُفْرتَه، فأمرَ به فأُخرِجَ، فوَضَعَهُ على رُكبَتيهِ، ونَفَثَ عليه من ريقهِ، وألْبَسَهُ قميصَهُ، فاللّهُ أعلمُ وكانَ كسا عبَّاساً قميصاً. قال سفيانُ وقال أبو هارون: وكان عَلى رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قميصانِ، فقال له ابنُ عبدِ اللَّهِ: يا رسولَ اللَّهِ ألْبِسْ أبي قميصَكَ الّذي يَلي جِلدكَ.

قال سفيانُ: فيُرَوْنَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ألْبَس عبدَ اللَّهِ قميصَهُ مُكافأةً لِما صَنَعَ»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يستدل به على جواز إخراج الميت من قبره لعلة، كما يتضح من اسم الباب، فماهي العلة التي أوجبت إخراج عبدالله ابن أبي من حفرته؟

وكل ما فعله الرسول هو أنه: «وَضَعَهُ على رُكبَتيهِ، ونَفَثَ عليه من ريقهِ، وألْبَسَهُ قميصَهُ».

وفي تلك اللحظة لن يشعر عبدالله ابن أبي بما كرمه به الرسول، لأنه ميت، ولو أنه نفث عليه من ريقه وألبسه قميصه في حياته، لعلم ابن أبي بتقدير الرسول له عملياً. أما بعد موته فكأن القاص يريد أن يقول بأن الرسول ينطبق عليه بيت الشعر المذكور، حاشا عن رسول الله أن يكون كذلك.

وبرغم أن قصة الحديث لم تحدث، إلا أن هذا لم يمنع البخاري والمحدثين الآخرين من إيراده، وجعله دليلاً قاطعاً على جواز إخراج الميت من قبره. مع أنه إذا كان هناك علة لإخراج الميت من قبره فجائز، دون الحاجة للرجوع لمثل هذا الحديث، لأن الله يقول بأن الضرورات لها أحكامها. فعند علة الإضطرار يجوز أكل ما حرم: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة١٧٣

---

(١) باب هل يخرج الميت من القبر أو اللحد لعلة ـ كتاب الجنائز.

وعند علة الضرورة يجوز أن يظهر المسلم الكفر: ﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل١٠٦

فيكون من باب أولى أن نخرج الميت من قبره لعلة.

❊ ❊ ❊

الصدقة تطيل اليد

حدَّثَنا موسى بنُ إسماعيلَ حدَّثَنا أبو عوانة عن فِراسٍ عنِ الشَّعْبِيِّ عن مَسْروقٍ عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها «أنَّ بعضَ أزواجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قلنَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أيُّنا أسرَعُ بكَ لحوقاً؟ قال: أطوَلكُنَّ يداً. فأخذوا قصبةً يَذرعونَها، فكانتْ سَودَةُ أطولهُنَّ يداً. فعلِمنا بعدُ أنَّما كانتْ طولَ يدِها الصَّدقةُ، وكانتْ أسرعَنا لحُوقاً به، وكانت تحبُّ الصدقةَ»[(١)].

مناقشة النص

من اختلق الحديث يقول بأن الصدقة تطيل اليد فعلياً، وأن أم المؤمنين سودة كانت أطول نساء الرسول يداً، لأنها أكثرهن صدقة، ومن صدق بهذا الكلام فلا عقل له.

والصدقة يقبلها الله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة١٠٤

وهي قرض حسن لله يجزي بها يوم القيامة ولا جزاء لها في الدنيا:

---

(١) باب بدون عنوان ورد بعد باب أي الصدقة أفضل ـ كتاب الزكاة.

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد١١

ولكنها لا تجعل ذراع الإنسان أو يده تطول.

❊ ❊ ❊

صور للبعث يوم القيامة

حدَّثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدَّثَنا الليثُ عن عُبيدَ اللّهِ بن أبي جعفرٍ قال سمعتُ حمزةَ بن عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ قال: سمعتُ عبدَ اللّهِ بنَ عمرَ رضي اللّهُ عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم «ما يَزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ حتى يأتيَ يومَ القيامةِ ليسَ في وَجهِهِ مُزْعةَ لحمٍ».

وقال «إنّ الشمسَ تدنو يومَ القيامةِ حتى يَبلُغَ العَرَقُ نِصفَ الأُذُنِ. فبينا هم كذلكَ استغاثوا بآدَمَ، ثمَّ بموسى، ثمَّ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم». وزاد عبدُ اللّهِ: حدَّثَني الليثُ حدَّثني ابنُ أبي جعفرٍ «فيَشفَعُ ليُقْضى بينَ الخلقِ، فيمشي حتَّى يأخُذَ بحَلَقةِ البابِ. فَيومَئذٍ يَبعثهُ اللّهُ مَقاماً محموداً يَحمدُه أهلُ الجَمعِ كلُّهم».

وقال مُعَلَّى حدَّثَنا وُهيبٌ عنِ النعمانِ بنِ راشدٍ عن عبدِ اللّهِ بنِ مسلمٍ أخي الزُّهريِّ عن حمزةَ سمعَ ابن عمرَ رضيَ اللَهُ عنهما عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في المسألةِ[١].

مناقشة النص

أول ملاحظة على هذا الحديث أنه عبارة عن مجموعة من القصص

(١) باب من سأل الناس تكثراً ـ كتاب الزكاة.

أضيفت لبعضها دون أن يكون بينها رابط أو عامل مشترك. فالقصة الأولى تتحدث عن سؤال الناس، والثانية عن دنو الشمس فوق الرؤوس يوم القيامة، والثالثة عن الشفاعة، والرابعة عن «المسألة».

والقصة الأولى تنسب للرسول قوله بأن من يستمر في سؤال الناس «يأتيَ يومَ القيامةِ ليسَ في وَجههِ مُزْعةَ لحمٍ».

والرسول بشر مثل كل البشر، لايعلم كيف ستكون عليه هيئات الناس يوم البعث: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف٩

وهذا الحديث يقول بأن السائل يبعث وقد حكم عليه قبل أن يحاسب، بينما يقول القرآن بأن الناس يبعثون أولاً ثم يحاسبون ثم يحكم عليهم: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ يونس٤

وتقول القصة الثانية: «أن الشمس تدنو يومَ القيامةِ حتى يَبلُغَ العَرَقُ نِصفَ الأُذُنِ» والقاص لم يسمع بقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم٤٨

وإلا لعرف أن هذا الكون سينتهي بشموسه وكواكبه، وسينشأ كون جديد ليوم القيامة، لا أحد يعلم هيئته إلا الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ الزمر٦٨

ولن نتحدث عن الشفاعة لأننا سنكتب عنها كتابة منفصلة بإذن الله، أما المسألة فلم أحط علماً بالمقصود بها.

* * *

سرد غير متماسك وتصنيف عنصري

حدَّثنا سَهلُ بنُ بَكَّارٍ حدَّثَنا وُهَيبٌ عن عمرِو بن يحيى عن عبَّاسٍ الساعِديِّ عن أبي حُميدٍ الساعديِّ قال «غَزَونا معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم غزوةَ تَبُوكَ، فلما جاءَ وادي القُرى إذا امرأة في حَديقةٍ لها، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه: اخْرُصوا، وخَرَصَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عشرةَ أوسُقٍ، فقال لها: أحصِي ما يخرُجُ منها. فلما أتينا تبوكَ قال: أما إنَّها سَتَهُبُّ الليلةَ ريحٌ شديدةٌ، فلا يقوَمَنَّ أحدٌ، ومن كان مَعَهُ بَعيرٌ فلْيعقِلْهُ، فعقَلْناها، وهبَّتْ ريحٌ شديدةٌ فقام رجلٌ فألقَتْهُ بجبَلِ طيىء. وأهدَى ملكُ أيْلةَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم بغلةً بيضاءَ، وكساهُ بُرْداً، وكتبَ له ببحرِهم. فلما أتى واديَ القُرى قال للمرأة: كم جاءَتْ حَديقتُكِ؟ قالت: عشرةَ أوسُقٍ، خَرْصَ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إني مُتعَجِّلٌ إلى المدينة، فَمَن أرادَ منكم أن يتعجَّلَ معي فلْيتعجَّلْ. فلما ـ قال ابنُ بَكَّارٍ كلمةً معناها ـ أشْرَفَ على المدينةِ قال: هذه طابةُ، فلما رأى أُحُداً قال: هذا جُبَيلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه. ألا أُخبرُكم بخَير دُورِ الأنصارِ؟ قالوا: بلى. قال: دُورُ بني النجَّار، ثمَّ دُورُ بني عبدِ الأشهَلِ، ثمَّ دُورُ بني ساعدةَ أو دُورُ بني الحارثِ بنِ الخَزرَجِ، وفي كلِّ دُورِ الأنصار يَعني خيراً»[١].

مناقشة النص

هذا الحديث يشبه الحديث السابق من حيث عدم التماسك في السرد، وتداخل القصص في بعضها دون أن يكون بينها رابط.

(١) باب خرص التمر ـ كتاب الزكاة.

وليس ظاهراً لماذا قام الرسول بخرص تمر المرأة، ولماذا سألها أن تحصي المنتوج، وهل كان فقط ليجرب دقته في الخرص، أم أنه ينوي الإستيلاء عليه؟

والقصة الثانية تخبرنا أن الرسول ليس فقط دقيقاً في خرص التمر، بل وفي التنبوء بالأحوال الجوية.

والقصة الثالثة تقول بأن الريح قد ألقت برجل من جيش المسلمين بجبل طيء، وهذا غير صحيح، لأن حادثة مثل هذه سيتحدث بها التاريخ وسيذكر لنا إسم الصحابي الذي ألقت به الريح من تبوك إلى جبل طيء الذي يبعد مئات الكيلومترات، وهو ما لا يمكن حدوثه على أرض الواقع.

وبعد أن ينسب القاص للرسول أنه قال عن أُحُد بأنه جبل يحبنا ونحبه، يقوم الرسول وبدون مناسبة بتصنيف عنصري للأنصار، يدخل ضمن الحمية الجاهلية التي أبطلها الإسلام: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ الفتح٢٦

والله سبحانه أنزل على رسوله قاعدة إلهية لتصنيف الناس تختلف عن التصنيف البشري، تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

وقد جاءت أحاديث أخرى بتصنيف عنصري مشابه لما جاء في هذا الحديث، ومن ذلك:

حدّثني عبدُ اللّه بن محمدٍ حدثَنا وَهبٌ حدَّثنا شُعبةُ عن محمدِ بن أبي يعقوب عن عبد الرحمن بن أبي بَكرةَ عن أَبيه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «أَرأَيتم إن كان أسلمُ وغفارُ ومُزَينة وجُهَينة خيراً من تميم وعامرِ بن صَعْصعة وغطَفانَ وأسدٍ خابوا وخَسِروا؟ قالوا: نعم. فقال: والذي نفسي بيده، إنهم خيرٌ منهم»[١].

* * *

شراء فرس سبق وتصدق بها

حدَّثنا يحيى بنُ بُكيرٍ حدَّثَنا الليثُ عن عُقَيلٍ عنِ ابنِ شِهابٍ عن سالم أنَّ عبدَ اللّهِ بنَ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهما كان يُحدِّثُ «أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ تَصدَّقَ بفرَسٍ في سبيلِ اللّهِ، فوجدَهُ يُباعُ، فأرادَ أن يَشترِيَهُ، ثمَّ أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فاستأمرَهُ فقال: لا تَعُدْ في صدَقتِكَ. فبذلكَ كان ابنُ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهما لا يَترُكُ أن يبتاعَ شيئاً تَصدَّقَ بِه إلاَّ جَعَلهُ صدقة»[٢].

مناقشة النص

الحديث يقول بأن عمر تصدق بفرس في سبيل الله، وبعد فترة وجدها تباع في السوق فرغب في شرائها، فنهاه الرسول عن ذلك بحجة أن شرائها يعتبر عود في الصدقة «لا تَعُدْ في صدَقتِكَ».

والعود في الصدقة في مثل هذه الحالة، هو أن يقوم عمر باسترجاع الفرس ذاتها بعد أن تصدق بها للحرب، بدون أن يدفع لها مقابل مادي.

---

(١) كتاب الأيمان والنذور ـ باب كيف كانت يمين النبي.

(٢) باب هل يشتري صدقته؟ ولا بأس أن يشتري صدقة غيره ـ كتاب الزكاة.

أما أن يتصدق بها ثم بعد فترة يراها تباع في السوق، فله حق شرائها كغيره، لأنه سيدفع ثمنها الذي يوافق عليه مالكها الجديد، الذي لابد أنه إشتراها بعدما تصدق بها عمر في سبيل الله.

* * *

قدم الرسول أو قدم عمر

حدَّثنا فَروةُ حدَّثَنا عليٌّ عن هِشامِ بنِ عُروةَ عن أبيهِ لمَّا سَقَطَ عليهمُ الحائطُ في زمانِ الوليد بنِ عبدِ الملكِ أخَذوا في بنائهِ، فبَدَتْ لهم قَدَمٌ، فَفَزِعوا وظنُّوا أنها قَدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فما وَجدَوا أحداً يَعلمُ ذلك حتَّى قال لهم عُروةُ: لا واللهِ، ما هيَ قدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ما هي إلاّ قَدَمُ عُمرَ رضيَ اللهُ عنه(١).

مناقشة النص

والتاريخ لا يتحدث عن هذه الحادثة التي يحدثنا بها البخاري، والتي تشير إلى أن الرسول وعمر دفنا في عرض الحائط، وليس في لحد تحت الأرض.

* * *

ختام المجلد الثاني

سنقدم هنا بعض الأحاديث التي جاءت على شكل قصص مبهمة، لا تعالج قضية أو يستدل بها على موقف أو حادثة أو تشريع:

---

(١) كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر

ابن صياد

حدَّثنا عَبدانُ أخبرَنا عبدُ اللَّهِ عن يونُسَ عنِ الزُّهريِّ قال أخبرَني سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللَّهُ عنهما أخبرَهُ «أنّ عمرَ انطلَق معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في رَهطٍ قِبَلَ ابنِ صَيَّادٍ حتى وجَدوهُ يَلعبُ مَع الصِّبيانِ عندَ أُطُمِ بني مَغالة ـ وقد قاربَ ابنُ صَيَّادٍ الحُلُمَ ـ فلم يَشعُرْ حتَّى ضرَبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيدِهِ ثم قال لابنِ صيَّادٍ: تَشهَدُ أنّي رسولُ اللَّهِ؟ فنظرَ إليه ابنُ صَيَّادٍ فقال: أشهَدُ أنَّكَ رسولُ الأُمِّيينَ. فقال ابنُ صَيَّادٍ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أتَشهَدُ أنِّي رسولُ اللَّهِ؟ فرفَضَهُ وقال: آمنتُ باللّهِ وبرُسُلهِ. فقال له: ماذا تَرى؟ قال ابنُ صيَّادٍ: يأتيني صادقٌ وكاذِب. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: خُلِّطَ عليكَ الأمرُ. ثم قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إني قد خَبَأْتُ لكَ خَبيئاً. فقال ابنُ صَيَّادٍ: هو الدُّخُّ. فقال: اخْسأ، فلن تَعْدُوَ قَدْرَكَ. فقال عمرُ رضيَ اللَّهُ عنه: دَعْني يا رسولَ اللَّهِ أضرِبْ عُنُقَه. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنْ يَكُنْهُ فَلنْ تُسَلَّطَ عليه، وان لم يَكُنْهُ فلا خيرَ لكَ في قتله»[1].

فمن هو ابن صياد؟ ولماذا يلاحقه الرسول؟ وهل راود الرسول شك من أن ابن صياد قد يكون رسول؟ ولماذا يريد عمر ضرب عنقه؟ وماذا يقصد الرسول بقوله: «إن يَكُنْهُ فَلنْ تُسَلَّطَ عليه، وان لم يَكُنْهُ فلا خيرَ لكَ في قتله»؟

وما هي علاقة الحديث بالباب الذي جاء تحته وهو «باب إذا أسلم الصبي فمات فهل يصلى عليه»؟

❊ ❊ ❊

(١) باب إذا أسلم الصبي فمان فهل يصلى عليه ـ كتاب الجنائز.

متى تقوم الساعة

حدّثنا عبدُ العزيزِ بن عبدِ اللهِ قال: حدثني سليمانُ بن بِلالٍ عن ثورِ بن زيدٍ عن أبي الغَيثِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَخرجَ رجلٌ من قَحطانَ يَسوقُ الناسَ بعصاهُ»[1].

فمن هو هذا القحطاني؟ ومن أين يخرج؟ وإلى أين يسوق الناس؟ ومن هم الناس؟

* * *

(١) باب ذكر قحطان ـ كتاب المناقب.

المجلد الثالث

كل نفس ليست بما كسبت رهينة

حدّثنا موسى بنُ إسماعيلَ حدَّثنا أبو عَوانةَ عن أبي بِشْرٍ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عنِ ابنِ عبّاس رضيَ اللهُ عنهما: «أنَّ امرأةً من جُهَينَةَ جاءتْ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالت: إنَّ أمِّي نَذَرَتْ أن تحُجَّ فلم تَحجَّ حتّى ماتَتْ، أفأحُجُّ عنها؟ قال: نعم حُجِّي عنها، أرأَيتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ أَكنتِ قاضِيَتَهُ؟ اقْضوا اللهَ، فاللهُ أحقُّ بالوفاء»[1].

ومثله في باب من مات وعليه صوم

حدّثنا محمدُ بنُ خالدٍ حدَّثَنا محمدُ بنُ موسى بنِ أعْيَنَ حدَّثَنا أبي عن عمرِو بنِ الحارثَ عن عُبَيدِ الله بنِ أبي جَعْفرٍ أنَّ محمدَ بنَ جعفرٍ حدثه عن عُروَةَ عن عائشةَ رضيَ الله عنها أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن ماتَ وعليهِ صِيامٌ صامَ عنهُ وليُّه».

مناقشة النص

هذان الحديثان وأحاديث كثيرة غيرهما يقولان بأن أي شخص يموت ولم يحج أو يصوم أو يقضي دينه أو يترك عبادة معينة ويقوم غيره بأدائها

(١) باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ـ كتاب جزاء الصيد.

عنه تقبل وكأنه قام بها بنفسه، وهذا الكلام مردود مما يفهم من كلام الله، الذي ينص على أن الإنسان سيحاسب بناءً على ما تسجله له صحيفة أعماله مما قام به هو من أعمال، وهو بكامل عقله واختياره، وليس ما يقوم به غيره. ومن ذلك ما ورد في سورة بني إسرائيل: وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴿١٣﴾ اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴿١٥﴾

فالإنسان يجب عليه أن يقوم بأوامر الله ونواهيه بنفسه لتسجل له في سجل أعماله﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم٤٤

وأي عمل يقوم به غيره عنه، فلن يسجل في صحيفة أعماله، ثم إنه لو كانت الأعمال التي يقوم بها الغير بالنيابة مقبولة لكان هناك نوع من الظلم، لمن لا يجد من يقوم عنه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فصلت٤٦

فهل نعتمد كلام القصاص الذين نسبوا مثل هذه الأحاديث للرسول، أم نعتمد كلام خالق البشر ومحاسبهم: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر٤٠

وهذا حديث مشابه لما سبق:

حدّثنا أحمدُ بن يونسَ قال: حدثنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن أبيهِ عن حُمَيد بن عبد الرحمنِ: عن عبد الله بن عمرو رضيَ الله عنهما قال: «قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه. قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه فيسب أمَّه»[١].

فمن يلعن شخصاً آخر فسيعاقبه الله على ذلك، ولكن لن يؤاخذ الله والدي الرجل بجريرة إبنهما.

* * *

في الجنة باب للصائمين، والصوم لله دون بقية الأعمال

حدّثنا إبراهيمُ بنُ المُنذِرِ قال: حدَّثَني مَعنٌ قال: حدَّثني مالكٌ عنِ ابنِ شهابِ عن حُميدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن أنْفقَ زَوجَينِ في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنّةِ: يا عَبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاَةِ، ومَن كان مِن أهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، ومَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الصِّيام دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ من أهلِ الصدّقةِ دُعي من بابِ الصدَقة». فقال أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه: بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ اللهِ، ما على من دُعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم[٢].

ومثله في باب هل يقول إني صائم إذا شتم:

حدّثنا إبراهيمُ بنُ موسى أخبرَنا هِشامُ بنُ يوسُفَ عنِ ابنِ جُرَيج قال: أخبَرني عطاءٌ عَن أبي صالحٍ الزَّيّاتِ أنهُ سَمِع أبا هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه

(١) باب لا يسب الرجل والديه ـ كتاب الأدب ـ المجلد الثامن.

(٢) باب الريان للصائمين ـ كتاب الصوم.

يقول: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قال الله: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به، والصِّيامُ جُنَّة، وإذا كانَ يومُ صوم أحدِكم فلا يَرفُثْ ولا يَصخَب، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلهُ فلْيَقُلْ إني امرؤٌ صَائِم. والذي نَفسُ محمدٍ بيدِه لَخُلُوفُ فم الصائم أطْيَبُ عندَ اللهِ من رِيح المِسْكِ. للصائمِ فَرْحَتانِ يَفرَحُهما: إذا أفطَرَ فرِحَ، وإذا لَقِيَ ربَّهُ فَرِحَ بصَوْمهِ».

مناقشة النص

الحديث الأول يقول بأن للصائم باب يدخل منه الجنة إسمه «الريان» وأن للمصلي باب وللمجاهد باب... إلخ. ويبدوا أن القاص فطن في آخر الخبر أن أي شخص يسمع بهذا الحديث سيتساءل من أي الأبواب يدخل المصلي الذي يصوم ويجاهد؟ فأضاف هذه العبارة: «فقال أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه: بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ اللهِ، ما على من دُعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم».

وهذه الإضافة لم تزل الإشكال، لأن المرء إذا دخل الجنة فلن يخرج منها ليجرب الدخول من باب آخر، لأن النتيجة ستكون واحدة، وهي دخول الجنة بغض النظر عن أي باب دخل منه، هذا إذا سلمنا أن الجنة عبارة عن بناء محصن وله أبواب كما يصوره لنا الحديث.

وإلا فالجنة والنار لها مسارات تؤدي إليها لا نستطيع تصور ماهيتها، سماها القرآن أبواب، مثلما سمى مسارات السماء أبواباً: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ النبأ١٩

والحديث الثاني ينسب للرسول أن الله يقول: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به».

ولم يكلف القاص نفسه عناء بيان مالذي سيفعله المرء بصلاته وحجه وامتناعه عن اقتراف المحرمات واتباعه لكل الفضائل التي أمره الله بها، إذا كانت هذه الأعمال للمرء نفسه وليست لله. ومن سيجزي الإنسان عن أعماله تلك، إذا كان الله لايجزي إلا عن الصوم؟

ولماذا نصلي ونحج إذا كان الله لن يجازينا عليها؟

ثم مالذي سيفعله الله جل وعلى بصيام الناس، عندما يقول: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»؟

والقاص هنا فعلاً تكلم بما لايعقل، وإلا فكل العبادات والطاعات يقوم بها المرء طلباً لرضى الله، وسيجزيه الله عنها بالجنة كما وعد سبحانه، ومن ترك شيئاً من أوامر الله، فسيعاقبه الله، سواءاً كان ذلك ترك للصيام أو للصلاة أو للإنفاق، أو إقترفٌ للموبقات.

* * *

هل للتوبة وقت معين

حدّثني يحيى بنُ بُكَيرٍ قال: حدَّثَني اللّيث عن عُقَيلٍ عن ابن شهابٍ قال: أخبرَني ابنُ أبي أنسٍ مَولى التّيمِيِّينَ أنَّ أباهُ حدَّثهُ أنه سمِعَ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقول: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إذا دخَل شهرُ رَمضانَ فُتِحَتْ أبوابْ السَّمَاءِ، وغُلِّقتْ أبوابُ جهنَّمَ، وسُلسِلَتِ الشَّياطينُ»[١].

(١) باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ـ كتاب الصوم.

مناقشة النص

النص يقول بأنه في رمضان تفتح أبواب السماء، كاستعارة لقبول الدعاء والتوبة، وتغلق أبواب جهنم وتسلسل الشياطين، كاستعارة لعدم إقتراف الناس للذنوب. ولو كان الوضع كذلك فلن نجد من يقترف السيئات في رمضان لأن الشياطين التي تغوي الناس مقيدة بالسلاسل، لكن الواقع يقول أن الناس يقترفون المعاصي في رمضان بنفس القدر الذي يقترفونها في الأشهر الأخرى.

والله سبحانه يؤكد أن إغواء الشيطان مستمر بلا انقطاع طوال حياة المرء: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف٢٧

وأن أبواب السماء مشرعة على الدوام ولا تغلق أبداً لمن يرغب في التوبة، ويعمل الأعمال الصالحة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر٦٠

ولذلك أمر الله الرسول بالتسبيح في أي وقت: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ طه١٣٠

ويكون صوم رمضان عبادة من عبادات ثلاث فرضها الله على الناس، هي:

عبادة تؤدى كل يوم خمس مرات، وهي الصلاة.

وعبادة سنوية تؤدى كصوم لشهر رمضان.

وعبادة لمرة واحدة في العمر لمن إستطاع إليها سبيلاً، وهي الحج.

والعبادات جزء من الدين الذي يتكون من أوامر ونواهي الله التي جاءت في القرآن، ولا ميزة لأمر على آخر، أو عبادة على أخرى. كما لا ميزة للعبادات أو أي منها على أوامر الله الأخرى التي يتكون منها الدين، إلا في مخيلة القصاص الذين جعلوا الصلاة عماد الدين، وللصوم باب خاص في الجنة، والحج يكفر الذنوب، أما عند الله فالدين كل لا يتجزأ، ومن رغب في الجنة فعليه أن يلتزم بالإيمان والعمل الصالح، من معاملات وآداب وتشريعات وحدود وعبادات[1].

* * *

الصيام لا ينتهي حكماً بغروب الشمس

حدّثنا عبدُ الله بنُ يوسُفَ حدثَنا الليثُ حدَّثَني ابنُ الهادِ عن عبدِ الله بنِ خَبَّابٍ عن أبي سَعيدٍ رضيَ الله عنهُ أنهُ سمعَ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «لاتُواصِلوا، فأيُّكم إذا أرادَ أن يُواصِلَ فلْيُواصِلْ حتّى السَّحَرِ، قالوا: فإنكَ تُواصِلُ يا رسولَ الله، قال: إني لستُ كهيئتِكم إني أبِيتُ لي مُطعِمٌ يُطعِمُني وساقٍ يَسْقِين»[2].

مناقشة النص

المواصلة هنا تعني أن يستمر بالصوم طوال الليل حتى اليوم التالي. والحديث يشير إلى أن الرسول نهى عنه بينما هو يفعله، بحجة أن هناك مطعم يطعمه وساق يسقيه.

---

(١) وقد فصلنا الحديث عن أن الدين كل لا يتجزأ ولا يقوم على العبادات فقط، في فصل التوبة في كتابنا سنة الأولين.

(٢) باب الوصال ـ كتاب الصوم.

وبطبيعة الحال الرسول ما هو إلا بشر مثلنا، يشعر بالجوع كما نشعر، ويحتاج للطعام ليبقى حياً، ويستخدم فمه ليأكل، ويهظم ما يأكل عبر جهازه الهظمي. فكيف يكون له ساق يسقيه ومطعم يطعمه بطريقة تخالف الطريقة التي خلقها الله للبشر؟

وبالنسبة للمواصلة فيستحيل أن يكون في الصيام مواصلة، ولا نعني إستحالة أن يمتنع إنسان عن الأكل والشرب لمدة يوم وليلة أو يومين وليلة أو أكثر، لأن هذا ممكن. ولكن الإستحالة تكون في إعتبار من يمتنع عن الطعام بعد مغيب الشمس ويستمر حتى اليوم التالي. لأن الصوم حكم شرعي وضعه الله، يبدأ حكماً بظهور أول خيوط الفجر، وينتهي حكماً بمغيب الشمس: ﴿ . . . . . وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ. . . .﴾ البقرة١٨٧

فيحرم الأكل والشرب ما بين الفجر ومغيب الشمس، ويحل ما بين مغيب الشمس وحتى ظهور خيط الفجر، ومن امتنع عن الأكل بعد مغيب الشمس وطوال الليل حتى الفجر، فلا يعتبر صائماً في الليل ولا مواصلاً للصيام، ولكنه امتنع عن ممارسة مباح. إذ لم يأكل ولم يشرب في وقت يحل له فيه الأكل والشرب، مثلما يمتنع أحدنا عن الأكل والشرب أحياناً في غير رمضان.

فالصوم فريضة محددة بوقت معين، أما الإمتناع الطوعي عن الأكل والشرب فخيار شخصي.

❊ ❊ ❊

الإسلام لا يَجُبُّ ما قبله دائماً

حدّثنا مسدّدٌ حدَّثَني يَحيى بنُ سعيدٍ عن عُبيدِ اللهِ أخبرَني نافعٌ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما: «أَنَّ عمرَ سألَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: كنتُ نَذَرْتُ في الجاهيلةِ أن أعتَكِفَ ليلةً في المسجدِ الحرامِ، قال: أوفِ بنَذْرِك»[1].

مناقشة النص

إذا كان عمر ابن الخطاب قد نذر فعلاً، نذرٌ في الجاهلية، فالإحتمال أن يكون نذره لهبل أو اللات أو العزى، وليس لله، وفي هذه الحالة فالنذر باطل.

أو يكون نذر باسم الله، وهو مشرك، فالوفاء بالنذر هنا ليس مطلوباً بعد الإسلام، لأن عمر لم يكن يقصد رضى الله والدار الأخرة التي لا يؤمن بها كفار قريش: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ المؤمنون٨٢

فكيف يطلب الرسول من عمر الوفاء بعمل جاهلي؟

* * *

من وحي الإسرائيليات

حدّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ حدَّثنا زُهَيرٌ حدَّثَنا مَنصورٌ أنَّ رِبْعيَّ بنَ حِراشٍ حدَّثهُ أنَّ حُذَيفةَ رضيَ الله عنهُ حدَّثهُ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «تَلَقَّتِ الملائكةُ رُوحَ رجُلٍ ممَّن كان قبلَكم، فقالوا: أعمِلتَ منَ الخيرِ شيئاً؟ قال: كنتُ آمُرُ فِتياني أن يُنظِروا ويَتجاوَزوا عن الموسِر، قال: فتَجاوَزوا عنه». قال أبو عبدِ الله: وقال أبو مالكٍ عن رِبعِيّ: «كنتُ أيَسِّرُ

(١) باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم ـ كتاب فضل ليلة القدر.

على الموسِرِ، وأُنظِرُ المُعسِر». وتابعهُ شعبةُ عن عبدِ الملكِ عن رِبعيّ. وقال أبو عَوانةَ عن عبدِ الملكِ عن رِبعيّ: «أُنظرُ الموسِرَ، وأتجاوَزُ عنِ المُعسِرِ» وتابعَهُ وقال نُعيمُ بنُ أبي هندٍ عن رِبعيّ: «فأقبَلُ منَ المُوسِرِ، وأتجاوَزُ عنِ المعسِر»[1].

مناقشة النص

الملائكة ليس لهم الحق بمسائلة البشر، ولا محاسبتهم، لأن المحاسب هو الله صاحب الحق في العبادة: ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الأنعام٦٢

والملائكة مخلوقات من مخلوقات الله الحية التي ستموت ثم تبعث: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ الزمر٦٨

ثم سيحاسبهم الله يوم الحساب مثل بقية خلقه سبحانه: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر١٦ ـ ١٧

ولن يفوت على ذهن القارئ أن القاص إخترع هذه القصة، ونسبها للرسول ليكسبها القبول، دون أن يكلف نفسه بيان كيف عرف الرسول، جدلاً، أن الملائكة تلقت روح ذلك الرجل وسألوه؟

❊ ❊ ❊

(١) باب من أنظر موسراً ـ كتاب البيوعْ

تلميع صورة الرسول بالإسرائيليات

حدّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدَّثَنا فُلَيحٌ حدَّثَنا هِلالٌ عن عطاءِ بنِ يَسارٍ قال: لَقِيتُ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما قلت: أخبرني عن صفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التَّوراة، قال: أجَل، والله إنَّه لمَوصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتهِ في القرآن: ياأيُّها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهِداً ومبَشِّراً ونَذيراً وحِرْزاً للأميّين، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكلَ، ليس بفَظّ ولاغليظٍ ولاسَخّابٍ في الأسواقِ، ولايدفعُ بالسَّيِّئةِ السيِّئةَ، ولكن يَعفو ويَغفِرُ، ولن يَقبضَهُ الله حتّى يُقيمَ بهِ الملَّةَ العَوجاءَ بأنَ يقولوا: لا إلهَ إلاّ اللهُ ويُفتحُ بها أعيُنٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غُلْف». تابَعَهُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلمَةَ عن هِلال عن عطاء عن ابن سَلام. غُلفٌ: كلُّ شيءٍ في غِلافٍ، سَيفٌ أغلَفُ، وقوسٌ غَلفاءُ، ورجلٌ أغلَفُ إذا لم يَكنْ مختوناً[1].

مناقشة النص

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف١٥٧

إن كانت صفة الرسول محمد في التوراة التي أنزلت على موسى، فهو حق لأنه كلام رب العالمين. لكن التوراة قد ضاعت قبل محمد بمئات

(١) باب كراهة السخب في الأسواق ـ كتاب البيوع.

السنين، والكتب التي مع اليهود عندما بعث عليه الصلاة والسلام، كتبها أشخاص كتاريخ ولا تمت لتوراة موسى بصلة، وهي مطابقة لكتب اليهود الحالية المسماة بكتب العهد القديم وكتب التلمود، والتي تخلوا من ذكر لمحمد أو صفته.

ويكون كل ما ذكر في هذا الحديث إختلاق يحاكي خرافات وأساطير اليهود، لا يحتاجه رسول الله.

* * *

جهل بقدرة الله وكتابه

حدّثَنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدّثَنا فُلَيحٌ حدّثَنا هلالٌ وحدثني عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ حدّثَنا أبو عامرٍ حدّثَنا فُلَيحٌ عن هلالِ بنِ عليّ عن عَطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يوماً يُحدّثُ ـ وعِنْدَهُ رَجُلٌ من أهلِ الباديةِ ـ أنّ رجُلاً من أهلِ الجَنّةِ استأْذَنَ ربّهُ في الزّرعِ، فقالَ لهُ: ألستَ فيما شِئْتَ؟ قالَ: بلى ولكنْ أُحِبّ أن أزْرَعَ. قالَ فبَذَرَ، فبادرَ الطّرْفَ نباتُهُ واستِواؤهُ واستِحصادُهُ، فكانَ أمثالَ الجِبالِ. فيقولُ اللهُ: دُونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنّهُ لا يُشبِعُكَ شيءٌ. فقال الأعرابيّ: واللهِ لا تَجدُهُ إلاّ قُرَشيّاً أو أنصاريّاً، فإنّهُم أصحابُ زَرعٍ أما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضَحِكَ النبيّ صلى الله عليه وسلم»[1].

مناقشة النص

هذه الحديث يقول أن هناك زراعة وحرث في الجنة، بينما القرآن

---

(١) باب ـ كتاب الحرث والمزارعة.

يقول، بأن الناس في الجنة سيحصلون على كل ما يرغبون من ثمرات: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾ محمد١٥

دون الحاجة لبذل جهد أو عناء ودون أن يصابوا بتعب: ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر٤٨

ولكن يبدوا أن القاص ليس فقط يجهل القرآن، بل ويجهل أن أهل مكة ليسوا مزارعين، لأن أرضهم تفتقر للماء اللازم للزراعة: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم٣٧

وتختم القصة بالتقول على الله: «دُونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنّهُ لا يُشبِعُكَ شيءٌ». وكأن الله جل وعلى قد إستكثر ما طلبه الرجل، وهو ما يناقضه القرآن الكريم، الذي يؤكد أن أصحاب الجنة يرزقون ما يشاؤون بغير حدود (حساب): ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر٤٠

ولكن القاص ومن يصدقه ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج٧٤

* * *

لماذا لم يفعل

حدّثَنا محمدُ بنُ بَشّارٍ حدّثَنا محمدُ بنُ أبي عَدِيّ عن شُعبَةَ عن سعدِ بنِ إبراهيمَ عن حُمَيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ عن أبي هريرةَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لقد همَمْتُ أن آمُرَ بالصلاةِ فتُقامَ، ثمّ أُخالِفَ إلى منازِلِ قومٍ لا يشهدونَ الصلاةَ فأُحرّقَ عليهم»[1].

مناقشة النص

الحديث يقول بأن الرسول عقد العزم على أن يقصد بيوتاً يظن أن فيها أناس لا يصلون، على الإطلاق، أو لايحضرون صلاة الجماعة، فيحرقها عليهم، ولكن لماذا لم يفعل؟

فإن كان هناك تشريع يخوله لذلك ولم يفعل فقد قصر رسول الله في تطبيق شرع الله، وإن لم يكن هناك تشريع فلا يستطيع الرسول أن يتصرف من تلقاء نفسه: . . . . . قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يونس١٥

وليس هناك نص في القرآن يقول بملاحقة الناس وإرغامهم على الصلاة في المساجد، لأن كل العبادات الثلاث المطلوبة من المسلم ـ الصلاة والصوم والحج ـ ليس فيها حد أو عقوبة جسدية، لأنها طقوس يشترط لها إخلاص النية لله ولو تمت تأديتها بدون خشوع فلن تعدوا عن كونها حركات لا معنى لها.

(١) بالله إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت ـ كتاب الخصومات.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام١٦٢

* * *

رضاعة الكبير

حدّثنا آدمُ حدَّثنا شعبةُ أخبرَنا الحَكَمُ عنِ عراكِ بنِ مالكٍ عن عُروةَ بنِ الزُّبَيرِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «استأذَنَ عليَّ أفْلَحُ فلم آذَن له، فقال: أتحْتَجبين مني وأنا عمُّكِ؟ فقلتُ: وكيفَ ذلك؟ فقال: أرضعتْكِ امرأةُ أخي بلَبَنِ أخي. فقالت: سألتُ عن ذلكَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: صدَقَ أفلحُ، ائْذَني له»[1].

وفي الحديث التالي ليس لها عم

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ عن عَمْرةَ بنتِ عبدِ الرحمنِ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوجَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أخبرَتْها أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان عندَها، وأنها سمِعَتْ صوتَ رجُلٍ يَستأْذِنُ في بيتِ حَفصةَ، قالت عائشةُ: فقلتُ يا رسولَ اللهِ أُراهُ فلاناً، لعمِّ حَفصةَ منَ الرَّضاعةِ ـ فقالت عائشةُ: يا رسول الله هذا رجُلٌ يستأذِنُ في بَيتِكَ. قالت: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أُراهُ فلاناً، لعمِّ حفصةَ منَ الرضاعة. فقالت عائشةُ: لو كان فلانٌ حَياً ـ لعمّها منَ الرضاعةِ ـ دَخل عليَّ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: نعم، إنَّ الرَّضاعةَ يَحْرُمُ منها ما يَحْرمُ منَ الولادةِ»[2].

---

(١) باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض. . . ـ كتاب الشهادات.

(٢) نفس الباب السابق.

مناقشة النص

أحاديث الرضاعة بوجه عام نسبت إلى أم المؤمنين عائشة، والحديث الأول يقول بأن لها عم إسمه أفلح، بينما يقول الحديث الثاني أن حفصة هي من لها عم من الرضاعة، وأن عائشة تمنت لو أن عم لها من الرضاعة دون تسمية له، كان حياً، لكانت مثل حفصة.

وبطبيعة الحال فحتى لو سلمنا جدلاً أن النساء يجب أن يغطين وجوههن، فعائشة وحفصة ليس عليهما ذلك، لأنهما أمهات لرجال المسلمين بشهادة القرآن: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ الأحزاب٦

هذا في حال إعتبار غطاء الوجه للمرأة مطلوب، مع أن غطاء المرأة لوجهها لم يطلبه الله في كتابه، لا على نساء المؤمنين ولا على أمهات المؤمنين[١].

وقصة الحديثين لا تستحق التعليق ولا التحليل، لكنها مناسبة للحديث عما يعرف عند الفقهاء برضاعة الكبير، حيث يقول بعضهم أن رضاعة الكبير لها حكم رضاعة الطفل الرضيع، وأن أي إمرأة أرضعت رجلاً بالغاً فسيكون إبناً لها من الرضاعة. وحديث رضاعة الكبير لم يورده البخاري في كتابه، ولكن مسلم ذكره في صحيحه، وكذلك فعل إبن حنبل في مسنده.

---

(١) أنظر المثال الثاني: الحجاب ـ أمثلة على التشريعات الفقهية ومخالفتها للقرآن/ سنة الأولين.

وهو الحديث الوحيد الذي نذكره، وهو لايوجد في صحيح البخاري، لأن رضاعة الكبير موضوع يتندر غير المسلمون به على الإسلام ويسخرون من تشريعاته بسبب أن بعض الفقهاء يصرون على إعتبار رضاعة الكبير يحرم بها ما يحرم من رضاعة الطفل، معتبرين أن حديث رضاعة الكبير ثابت عن الرسول، فيما يرويه عن ربه، أي أنه جزء من تشريع الله في دينه الإسلام.

وهذا نص إحدى روايات حديث رضاعة الكبير: حدّثنا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ: قَالاَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ (وَهُوَ حَلِيفُهُ). فَقَالَ النَّبِيُّ: «أَرْضِعِيهِ» قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ؟ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللّهِ وَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ»[1].

وفي رواية أخرى فَقَالَتْ: إِنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ.

وقد تعارض القول برضاعة الكبير مع محظورات أخرى، مثل كيف يمكن أن يضع رجل حلمة ثدي إمرأة أجنبية في فمه، فقال بعضهم تحلب المرأة، وقال آخرون تغطي المرأة ثديها، وتبرز الحلمة فقط، وأفتوا بأن الحلمة ليست عورة، ولا تثير الشهوة ـ مع أنها كذلك ـ لأنهم لم يجدوا مخرجاً آخر.

ولو أنهم تدبروا كلام الله واكتفوا به، لوجدوا أن الله جل وعلى يقول بأن الرضاعة تكمل مدتها خلال العامين الأولين من عمر الإنسان، وما بعد

(١) باب رضاعة الكبير ـ كتاب الرضاع ـ صحيح مسلم، وحديث السيدة عائشة ـ مسند أحمد.

ذلك فليس من الرضاعة التي يحرم بها ما يحرم من النسب، بل هي شرب إنسان لحليب إنسان آخر: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ......﴾ البقرة٢٣٣

ومن قال برضاعة الكبير لا يلتفت إلى أحاديث أخرى تنفيها، ومن ذلك هذا الحديث: حدّثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرَنا سفيانُ عن أشعثَ بن أبي الشعْثاءِ عن أبيهِ عن مَسروقٍ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «دَخلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وعندي رجُلٌ فقال: يا عائشةُ مَن هذا؟ قلتُ: أخي منَ الرَّضاعةِ قال: يا عائشةُ انظُرْنَ مَن إخوانُكنَّ، فإنما الرضاعةُ مِنَ المجاعة[(١)].

فقوله: «فإنما الرضاعةُ مِنَ المجاعة» تعني أن الرضاعة التي يعتد بها التي تكون الغذاء الوحيد للإنسان، أي عندما كان رضيعاً يعيش فقط على الحليب، وذلك في السنتين الأوليين من عمره.

(١) باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم.

المجلد الرابع

الجهاد أفضل الأعمال أحياناً

حدّثنا يَحيى بنُ صالحٍ حدَّثَنا فُلَيحٌ عن هِلالِ بنِ علّيٍ عن عطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «من آمَنَ باللهِ وبرسولِه وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقّاً على الله أن يُدْخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلَسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أفلا تُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة ـ أَراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ ـ ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة» قال محمدُ بنُ فُلَيحٍ عن أبيهِ «وفوقَهُ عرشُ الرحمن»[1].

والآن أنظر هذا الحديث:

حدّثنا أبو اليمانِ أخبَرَنا شُعَيبٌ عنِ الزُّهريِّ قال: حدَّثني عطاءُ بنُ يزيدَ اللَّيثيُّ أنَّ أبا سعيدٍ الخُدريَّ رضيَ اللهُ عنه حدَّثه قال: قِيل يا رسول اللهِ أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: مُؤمنٌ يُجاهِدُ في

(١) باب درجات المجاهدين في سبيل الله ـ كتاب الجهاد والسير.

سبيلِ اللهِ بنَفسِهِ ومالِهِ. قالوا: ثمَّ مَن؟ قال: مؤمنٌ في شِعبٍ منَ الشعابِ يَتَّقي اللهَ ويَدعُ الناسَ مِن شَرِّه»[1].

وهذا الحديث:

حدّثنا مسدَّدُ حدَّثَنا خالدُ حدَّثَنا حَبيبُ بنُ أبي عَمرةَ عن عائشةَ بنتِ طلحةَ «عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنها قالت: يا رسول اللهِ، نرى الجهادَ أفضلَ العملِ، أفلا نُجاهِدُ؟ قال: لكُنَّ أفضلُ الجهادِ حَجٌّ مَبرور»[2].

مناقشة النص

في بداية الحديث الأول نجد «من آمَنَ باللهِ وبرسولِه وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقّاً على الله أن يُدْخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلَسَ في أرضهِ التي وُلِدَ فيها».

ثم يأتي الحديث بما يناقض ذلك تماماً عندما يقول: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة ـ أَراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ».

وتكون أفضل الجنان يوم القيامة للمجاهدين، فيما سيدخل من يقيم الصلاة ويصوم الدرجات الدنيا من الجنة.

وفي الحديث الثاني نجد أن أفضل الناس «مُؤمنٌ يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ بنَفسِهِ ومالِهِ». ومن ثم «مؤمنٌ في شِعبٍ منَ الشعابِ يَتَّقي اللهَ ويَدعُ الناسَ

(١) باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله ـ كتاب الجهاد والسير.
(٢) باب فضل الجهاد والسير ـ كتاب الجهاد والسير.

مِن شَرِّه». أي أن الحديث أعطى الناس الحق في الإختيار بين الجهاد، وبين إعتزال الناس، وكلا الأمرين يضمنان لمن يقوم بأي منهما الجنة.

وفي الحديث الثالث نجد أن «أفضلُ الجهادِ حَجٌّ مَبرور» مما يعني أنه أفضل من الصلاة والصيام اللتان قال عنهما الحديث الأول أنهما أفضل من الجهاد.

ولن نورد أحاديث أخرى، لأن المهم هنا هو إعطاء أمثلة على ما يحمله لنا الحديث من تناقضات في الموضوع الواحد، يستحيل وجودها في القرآن، الذي يقول أنه في حال وجد المسلمون أنفسهم في معركة مع العدو فإن على الجميع أن يكونوا مستعدين للجهاد وليس لأحد خيار بتركه: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٤)

ويشارك في المعركة العدد الكافي، والباقي يقومون بالأعمال المساندة: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.﴾ التوبة: ١٢٢)

ويكون الجهاد بالمال والنفس معاً، حسب القدرة، وليس بالمال فقط أو بالنفس فقط: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١)

وجزاء من يقتل من المجاهدين هو الجنة: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤)

مثلما أن جزاء كل من يموت في حال السلم، وهو مؤمن ويعمل صالحاً فله الجنة أيضاً، ولو لم يجاهد، لأنه لم يكن هناك جهاد: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة٧٢

فالجنة للمؤمنين والمؤمنات الذين يؤدون واجباتهم لله، والجهاد جزء من الواجبات، مثلما أن الصلاة أو الصيام جزء من تلك الواجبات، كل في وقته. ومن ترك الصلاة أو الصيام أو الجهاد أو أي أمر أو نهي ورد في القرآن فمصيره النار، ولو آمن وقام بالأشياء الأخرى. فالزاني سيدخل النار ولو صلى وجاهد: ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور٣

وآكل الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة٢٧٥

وآكل مال اليتيم، والناقض للعهد: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾بني إسرائيل٣٤

ومن تقول على الله ما لم يقل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود١٨

وظالم الناس: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى٤٢

وغيرها مثل العاق لوالديه، وقاتل ولده، ومقترف الفواحش، وقاتل النفس، والتي كلها لها نفس مصير الشرك بالله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ

إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام١٥١

وهكذا . .

وليس هناك جنة للمصلي لايدخلها المجاهد، وجنة للمجاهد لايدخلها غيره، وليس هناك عمل أفضل من عمل آخر، أو عمل هو أفضل الأعمال، في الإسلام، بل هناك أعمال كلها يجب القيام بها في وقتها.

* * *

قاص يخرف وينسب خرفه للرسول

حدّثنا موسى حدَّثَنا جَريرٌ حدَّثنا أبو رجاءٍ عن سَمُرةَ قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: رأيتُ الليلةَ رجلَين أتياني فصَعِدا بي الشجرةَ وأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضلُ، لم أر قطُّ أحسنَ منها، قال أما هذهِ الدارُ فدارُ الشُّهداءِ»[١].

مناقشة النص

موضوع النص ينطبق عليه ما قلناه في الأحاديث الثلاثة السابقة، ولكننا أوردناه منفصلاً، لأنه يزعم أن الرسول قد إقتاده رجلان وصعدا به شجرة، وأنه وجد في تلك الشجرة داراً لم ير قط أحسن منها معدة للشهداء.

فهل يريد منا القاص الذي اختلق القصة، والبخاري الذي نقلها لنا، أن نصدق أن الرسول يقول مثل هذا الكلام؟

---

(١) باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

ولو صدقنا أن الرسول قاله، أفلا يخالج من يقرأه شعور بأن الرسول يهذي؟

فليس هناك شجرة وعد الله بها المجاهدين، ولهم فيها دار، أي غرفة. ولكن الله وعد الرسل، والمؤمنين بما فيهم المجاهدين، جنة عرضها كعرض السموات والأرض، وليست غرفة واحدة فوق رأس شجرة: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد٢١

ولكن يبدوا أن أحدهم قد رأى حلماً، لأن سرد القصة لا يمكن أن يكون إلا في الأحلام، وقد قص حلمه على معارفه، وتناقله بعض الناس حتى وصل إلى مسامع البخاري، الذي نقله إلينا منسوباً للرسول.

* * *

أمثلة على أحوال الناس في الحشر

هذه أمثلة فقط على ما تزخر به كتب الحديث من تصوير لأوضاع الناس يوم الحشر:

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ: أخبرَنا مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نَفْسي بيدِه، لا يُكْلمُ أحدٌ في سبيلِ الله ـ والله أعلمُ بَمن يُكلَمُ في سبيلهِ ـ إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ»[1].

---

(١) باب من جرح في سبيل الله ـ كتاب الجهاد.

ومثله: حدَّثنا أبو النُّعمانِ حدَّثَنا حَمَّادٌ عن أيوبَ عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهما قال: «بَينما رَجلٌ واقفٌ بعَرَفَةَ إذ وقَع عن راحلتِه فوقَصَتْهُ ـ أو قال: فأوقَصَتْهُ ـ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: اغسِلوهُ بماءٍ وسِدْر، وكفِّنوهُ في ثَوبينِ، ولا تُحنِّطوهُ، ولا تُخمِّروا رأسهُ، فإنه يُبْعَثُ يومَ القِيامةِ مُلَبِّياً»[1].

ومثله: حدّثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ عن مالك عن عبدِ الله بن دينار عن ابن عمرَ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الغادرَ يُنصَبُ له لِواءٌ يوم القيامةِ، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان»[2].

مناقشة النص

هناك أحاديث كثيرة غير هذه، تصور الناس يوم الحشر كأحوالهم في الدنيا، ولو كان الوضع كذلك، فمن يموت مريضاً سيبعث مريضاً، ومن يموت بقطع رأسه، يأتي وهو يحمل رأسه بيديه.. وهكذا.

وإلا مالفائدة لمن يُكْلَمْ في سبيل الله أن يأتي يوم القيامة وجرحه ينزف «واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ». أو أن من يموت في الحج «يُبْعَثُ يومَ القِيامةِ مُلَبِّياً». أو أن الغادر «يُنصَبُ له لِواءٌ يوم القيامةِ، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان». وكأن الناس سيتناظرون وسيتبادلون الحديث عما يرونه حولهم.

ولأن مختلق هذه الأحاديث جاهل بالقرآن الكريم، فلم يفطن أن هناك آيات تصف وقوف الناس يوم الحشر وصفاً دقيقاً، مغايراً لما نسجه خياله.

---

(١) باب الكفن في ثوبين ـ كتاب الجنائز.

(٢) باب ما يدعى الناس بآبائهم ـ كتاب الأدب.

يقول تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

وليس الناس بحال ليلاحظوا إن كان هذا ينزف بلون الدم وريح المسك، أو ذاك حاسر الرأس ويلبي، أو ثالث طويلة عنقه لأنه يؤذن في الدنيا كما ورد في بعض الأحاديث التي لم نذكرها هنا.

فالوضع يوم القيامة مختلف عن كل ما يمكن للإنسان تخيله، وسيقع في كون وعالم مختلف عن عالم الدنيا. وكل ما جاء في القرآن الكريم يتحدث عن يوم القيامة والجنة والنار بصور حسية هو من باب تقريب الصورة للناس بشكل يتلائم مع قدراتهم العقلية البسيطة، ومن ذلك: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ الفرقان٣٤

وليس المقصود هنا أن يحشر الكافر وهو يمشي على وجهه بدل رجليه، كما قال بذلك الحديث التالي: حدَّثنا عبدُ اللّهِ بن محمدٍ حدَّثنا يونسُ بن محمدٍ البَغداديُّ حدَّثنا شَيبانُ عن قَتادةَ حدَّثنا أنسُ بن مالكٍ رضيَ اللّه عنه «أن رجُلاً قال: يا نبيَّ اللّه، كيف يُحشرُ الكافرُ على وَجههِ؟ قال: أليسَ الذي أمشاهُ على الرجلينِ في الدنيا قادراً على أن يُمْشِيَهُ على وَجههِ يومَ القيامة»؟ قال قَتادةُ: بلى وعزَّةِ ربِّنا[2].

(١) الآيتان ١ ـ ٢ من سورة الحج.
(٢) باب الحشر ـ كتاب الرقاق..

لكن المقصود بالوجه هو نفس المعنى الذي تقوله الآية التالية: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾لقمان٢٢

وهذه الآية: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الملك٢٢

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الحج١١

فتسليم الوجه في الآية ٢٢ من سورة لقمان يعني الطاعة، والوجه في الآية ٢٢ من الملك يعني الكفر والإعراض عن الدين، وقريب منه معنى الوجه في الآية ١١ من سورة الحج.

ومثل الوجه، العمى، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً﴾طه١٢٤ ـ ١٢٥

فالمقصود بالعمى هو الضلال، بدليل الآية التالية من نفس السورة التي تقول: قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾طه١٢٦

وبدليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فصلت١٧

ولكن يبدوا أن مختلقي هذه الأحاديث ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج٤٦

فكل من لا يعقل، أي يحكم عقله بما يسمع، فهو أعمى.

* * *

النساء والجهاد

حدَّثَنا محمدُ بن كثيرٍ أخبرَنا سفيانُ عن معاويةَ بنِ إسحاقَ عن عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «استأذَنْتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الجهادِ فقال: جهادكُنَّ الحجُّ»(١).

ومثله: حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ حدَّثَنا معاويةُ بنُ عمرٍو حدَّثَنا أبو إسحاقَ هوَ الفَزارِيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأنصاريِّ قال: سمعتُ أنَساً رضيَ اللهُ عنهُ يقول: «دخَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على ابنةِ مَلحانَ فاتَّكأَ عندَها، ثُمَّ ضحِكَ، فقالت: لِمَ تضحَكُ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: ناسٌ من أمَّتي يركبونَ البحرَ الأخضرَ في سبيلِ اللهِ، مَثَلُهم مثَلُ الملوكِ على الأسِرَّةِ. فقالت: يارسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يجعلَني منهم، فقال: اللهمَّ اجعَلْها منهم. ثُمَّ عادَ فضحِكَ، فقالت لهُ مِثلَ ـ أو مِمَّ ـ ذلك، فقال لها مِثلَ ذلك، فقالت: ادْعُ اللهَ أن يَجعلَني منهم، قال: أنتِ منَ الأوَّلينَ ولستِ من الآخِرينَ. قال: قال أنسٌ: فتزوَّجَتْ عُبادَةَ بنَ الصَّامتِ فرَكبَتِ البحرَ معَ بنتِ قَرَظةَ، فلمّا فقَلَتْ ركبَتْ دابَّتَها، فوقَصَتْ بها، فسقَطَتْ عنها فماتَتْ»(٢).

ومثله: حدّثنا أبو مَعْمرٍ حدَّثنا عبدُ الوارثِ حدَّثنا عبدُ العزيز عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «لمّا كانَ يومُ أُحُدٍ انهزَمَ الناسُ عنِ النبيِّ صلى الله

(١) باب جهاد النساء ـ كتاب الجهاد.

(٢) باب غزو المرأة في البحر.

عليه وسلم. قال: ولقد رأيتُ عائشة بنتَ أبي بكرٍ وأُمَّ سُلَيم وإنهما لمَشمِّرَتان أرَى خَدَمَ سُوقِهنَّ تَنقُزان القِرَب ـ وقال غيرُهُ: تَنقُلانِ القِرَبَ ـ على متونِهما ثمَّ تُفرغانِه في أفواهِ القوم، ثمَّ ترجعانِ فتمْلآنِها ثمَّ تَجيئانِ فتُفْرغانه في أفواهِ القَوم»[١].

مناقشة النص

في الحديث الأول الرسول يمنع إمرأة من الجهاد، ويخبرها أن جهاد النساء الحج. وفي الحديث الثاني الرسول يرى المستقبل، ويدعوا الله لإمرأة أن تكون ممن يركب البحر للجهاد، ويتحقق لها ذلك، مع أن القرآن ينفي معرفة الرسول للغيب.

ومختلق هذا الحديث لم يفطن أن حديثه هذا يتعارض مع أحاديث أخرى تمنع المرأة من السفر ولو لمسافة قصيرة أو حتى للحج بدون محرم، وتمنع إختلاط النساء بالرجال، ولذلك قص هذا الحديث الذي يظهر أن المرأة سافرت من المدينة إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في بلاد الشام البعيدة، وأنها ركبت المركب مع رجال أجانب، وأنها جاهدت مع أن جهاد المرأة حجها، وأن الرسول قد ناقض نفسه عندما قال جهاد المرأة حجها في حديث، ودعى الله أن تجاهد هذه المرأة في البحر في حديث آخر.

وفي الحديث الثالث أم المؤمنين عائشة وأم سليم ليس فقط تشاركان في إحدى معارك المسلمين، وتختلطان مع الرجال الأجانب، وتسقيان الجرحى، الذين بالتأكيد يحتاجون لمن يسندهم ويقعدهم، وفي هذا تماس

(١) باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال.

بين جسد أم المؤمنين وأم سليم وأجساد الرجال الجرحى، وهو ما نهت عنه أحاديث كثيرة أخرى.

بل إن ساقا المرأتان مكشوفتان لأعين رجال المسلمين والمشركين على حد سواء، وهو محرم حسب ما جاء في أحاديث لا حصر لها، تستدل بها عند البعض على تحريم أن تكشف المرأة سوى وجهها وكفيها، ويستدل البعض بأحاديث أخرى بعدم جواز أن تكشف المرأة وجهها وكفيها لا في الصلاة ولا في غيرها إذا كانت بحضرة رجال أجانب.

أما القرآن الكريم فليس فيه ذكر أن جهاد المرأة حجها، وكل ما ذكر عن الحج أنه عبادة من عبادات ثلاث هي الصلاة والصيام بجانب الحج، وأنه مطلوب من الناس الحج لمن يستطيع، ذكراً كان أو أنثى، وليس هناك ذكر للمحرم: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٧

وأن من حج فيجب عليه أن يتقيد بضوابط ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة١٩٧

❊ ❊ ❊

إجبار الناس على الدخول في الإسلام

حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ محمدٍ المُسْنَدِيُّ قال: حدَّثَنا أبو رَوح الْحَرَمِيُّ بنُ عُمَارة قال: حدَّثَنا شُعبةُ عن واقِدِ بنِ محمدٍ قال: سَمِعْتُ أبي يحدِّثُ عنِ ابنِ عُمَرَ: أَنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ

حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه»[١].

مناقشة النص

الرسول صلوات الله وسلامه عليه، دعى الناس للإسلام قرابة ربع قرن، خاض خلالها ثلاث حروب. ثنتان منها ضد قريش، الذين كفروا برسالته، ولما خرج للمدينة لاحقوه هناك. فوقعت المعركة الأولى قرب آبار بدر المجاورة للمدينة، والتي تبعد عن مكة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر، قدم منها القرشيون أملاً بالقضاء على الرسول ورسالته ولكنهم خسروا المعركة بشكل غير متوقع.

وإذا كانت كتب التاريخ تصور معركة بدر على أنها كانت بسبب قيام المسلمين بقطع الطريق على عير قريش التي تحمل تجارتهم القادمة من الشام، فهذا لم يكن صحيحاً، لأن قريش كان لها رحلتين للتجارة في العام، رحلة في الشتاء لليمن، ورحلة في الصيف للشام. ومعركة بدر وقعت في رمضان من السنة الثانية للهجرة، الموافق لشهر مارس من عام ٦٢٤ ميلادية[٢]. وهو ما يدل بداهة على أن عير قريش التي زعم الإخباريون أن المسلمين اعترضوها، وخرجت قريش لحمياتها واشتبكت مع المسلمين قرب بدر بسببها، غير صحيح.

---

(١) باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ـ كتاب الإيمان.

(٢) التقنية الحديثة جعلت من اليسير معرفة أي يوم في التقويم الميلادي يوافق أي يوم بالتقويم الهجري.

لأن تلك الرحلة كانت رحلة الشتاء القادمة من اليمن. والعير المتجهة لليمن أو القادمة لها من مكة تسلك طريقا إلى الجنوب من مكة، بينما تبتعد المدينة أكثر من ٣٠٠ كيلو متر شمال مكة، وبالتالي يستحيل أن تمر العير بالقرب من المدينة في طريقها من اليمن إلى مكة. والقرآن يؤكد أن وضع المسلمين قبل بدر كان ضعيفاً عسكرياً مقارنة بقريش، ولذلك يستحيل أن يبادر المسلمون بالحرب، أو حتى التحرش بقريش، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمرآن: ١٢٣)

لذلك كان الخوف مسيطراً على مجموعتين من المسلمين وكادوا أن يهربوا من القتال: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمرآن: ١٢٢)

والمعركة الثانية كانت عندما هاجمت قريش المدينة في السنة الثالثة للهجرة، بهدف الأخذ بالثأر لقتلاها في بدر، ووقعت المعركة قرب جبل أحد المطل مباشرة على المدينة.

وتكون كلا المعركتين قد فرضتا على المسلمين، ولم يبدأوهما أو يتمنوا وقوعهما.

ثم اجتمعت قريش وعدد من قبائل أخرى وهاجموا المدينة بإيعاز وتشجيع من يهود يثرب، الذين أمدوهم بالسلاح والمؤن، ولكن أولئك الأحزاب لم يستطيعوا اقتحام المدينة لأن المسلمين استطاعوا حفر خندق حولها قبل وصول جيوش المعتدين: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (الأحزاب: ٢٥)

والمعركة الثالثة كانت ضد أهل الطائف، الذين كانوا قد طردوا الرسول في بداية الدعوة من بلادهم عندما جاء يدعوهم للإسلام، وأغروا عليه صبيانهم وسفهائهم. وكان سبب المعركة أن هوازن لما سمعوا بسقوط مكة بيد المسلمين، عقدوا العزم على مهاجمة المدينة والقضاء على المسلمين والإسلام، فاختار الرسول نقل المعركة لأرضهم، والتي انتهت بتحصن هوازن داخل أسوار الطائف وتراجع المسلمين عن الحصار.

إضافة لذلك كان لابد من القضاء على من يهدد بقاء دولة الإسلام، من اليهود الذين خانوا معاهداتهم مع المسلمين التي ابرمها الرسول معهم عندما هاجر للمدينة والتي تنص على عدم معاونتهم لأعداء المسلمين، ولكن يهود يثرب أعانوا الكفار وحرضوا على المسلمين، فأجلوا من يثرب، ولكن خطرهم بقي قائماً لأن أبناء عمومتهم يهود خيبر استضافوهم فيها. فاستمروا في التحريض ضد المسلمين، وشكلوا مع بعض الكفار خطراً على دولة الإسلام، حتى بعد جلائهم إلى خيبر. فخرج الرسول على رأس جيش من المسلمين لخيبر، ولم تقع حرب هناك. وإن زعم كتبة التاريخ أن المسلمين قد حاربوا اليهود ودخلوا خيبر عنوة، ولكن الواقع يثبت أنه لم تقع مواجهات بين المسلمين واليهود في خيبر. وأن يهود خيبر قد وافقوا على إجلاء من لجأ إليهم يهود يثرب، ودفع الجزية للمسلمين نظير خيانتهم للعهد الموقع بين الطرفين، وإيوائهم ليهود يثرب، وهو ما تتحدث عنه الآية الكريمة: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)

لأن الجزية تفرض على من يوقع عهدا مع المسلمين ثم يخون ذلك العهد.

وبعد خيبر نزح يهود يثرب باتجاه الشام، ولكنهم توقفوا في تبوك، فخرج إليهم الرسول بجيش من المسلمين، ولكنهم هربوا إلى بلاد الشام قبل وصول جيش المسلمين.

وما عدا ذلك فلم يشن الرسول حرباً على يهود تيماء أو العلا أو اليمن أو على الوثنيين غيرهم، برغم أن المسلمين أصبحوا أقوياء. لأن الإسلام، وأي دين لله قبل الإسلام، لا يجبر الناس على اعتناقه بالقوة، ولكنه يحارب فقط من يحاول القضاء على دولة الإسلام. لذا كان فتح مكة للقضاء على قدرة كبراء قريش وليس على أشخاصهم، فمن رغب في أن يشهد شهادة التوحيد فله ذلك، ومن رغب في البقاء على دينه فله ذلك طالما أنه لا يمثل خطراً على الدين(١).

وقد أمر الرسول بالدعوة لله بالحسنى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

وأمر صلوات الله عليه بالدعوة بالقول فقط: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الزمر: ٤١)

وجعل القتال ضد من يبدأون قتال المسلمين: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)

وضد من يسعون للقضاء على الدين ودولته: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ

---

(١) وقد توسعنا بالحديث عن هذا الموضوع في فصل الجهاد في كتابنا سنة الأولين ـ تحليل مواقف الناس من الدين وتعليلها.

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣)

وإذا ما وقعت الحرب، فيجب أن يوجه القتال ضد المقاتلين فقط، ولا يجوز قتل الناس لأنهم لم يؤمنوا بدين الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤)

فهل بعد هذا نصدق حديثاً ينسب للرسول أنه أمر بإجبار الناس على الدخول في الإسلام؟

وهل نصدق أن معنى قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ أن يقيد المسلمون الناس بالسلاسل في أعناقهم حتى يسلموا، كما يقول الحديث التالي:

حدَّثَنا محمدُ بن يوسفَ عن سفيانَ عن مَيْسرةَ عن أبي حازمٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه ﴿كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للناس﴾ (آل عمرانَ: ١١٠) قال: خير النَّاس للناس، تأتونَ بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يَدخُلوا في الإِسلام»[١].

❊ ❊ ❊

شدة البرد من حر جهنم

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعيبٌ عن الزُّهريِّ قال: حدَّثنا أبو سلمةَ بن

(١) باب كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ كتاب التفسير.

عبدِ الرحمنِ أنهُ سمعَ أبا هريرةَ رضيَ الله عنه يقول: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اشتَكَتِ النارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ أكلَ بعضي بعضاً، فاذِنَ لها بنَفَسينِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونفَسٍ في الصيف، فأشدُّ ما تجدونَ منَ الحرّ، وأشدُ ما تجدونَ من الزَّمْهَرير»[1].

مناقشة النص

الله سبحانه وتعالى هو من خلق النار، التي يستحيل أن تشتعل بأكل بعضها بعضاً: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة٢٤

ولكي تشتعل النار وتبقى مشتعلة تحتاج إلى وقود على شكل مادة محترقة صلبة كالخشب أو سائلة كالغاز، وحرارة تولد الإشتعال مثل عود ثقاب أو نار سابقة. فهي عبارة عن تفاعل كيميائي يتم بموجبه إتحاد بين الأكسجين الموجود في الهواء وغاز الكربون والهايدروجين المتسرب من المادة المحترقة، ونتيجة لهذا الإتحاد تبدأ الحرارة بالتولد. وهذه الحقيقة العلمية التي خلقها الله سبحانه، يجهلها مختلق الحديث، مثله مثل الناس الذين عاشوا في القرن الأول والثاني والثالث الهجري عندما بدأ اختلاق الأحاديث ونسبتها للرسول. لكن الله سبحانه وتعالى لا يجهل كيف تشتعل النار، لأنه سبحانه هو من خلقها، وجعلها مصدراً للحرارة، ويستحيل أن يصدر منها برد.

ولأن القاص يجهل تماماً كيف يحدث الحر وكيف يحدث البرد، فقد تخيل أسباب حدوثهما، ولكي يقنع الناس نسب ما تخيله للرسول على

(١) باب صفة النار وأنها مخلوقة ـ كتاب بدء الخلق.

شكل حديث. وبما أن البخاري يشارك القاص في الجهل بمسببات الحر والبرد، صدق أن هذا الحديث منسوب للرسول ونقله لنا، كجزء من دين الله، أملاً بثواب الآخرة.

وسبب البرد على الأرض، عموماً، البعد عن حرارة الشمس الناتج من تعامدها فوقنا، فكلما ابتعد المكان عن خط الإستواء كلما تدنت الحرارة، وهناك عوامل أخرى لا مجال لذكرها هنا.

والنار مصدر للحرارة، كما الشمس التي هي عبارة عن كرة عملاقة ملتهبة، ولا يمكن أن يصدر منهما برد، ولذلك فإن أهل الجنة لن يروا الشمس، كمصدر للحرارة، ولن يصيبهم برد برغم عدم وجود الشمس، كمصدر للحرارة، لأن عالم الجنة مختلف عن عالم الدنيا، وهيئات البشر ستكون مختلفة أيضاً: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ الإنسان١٣

كما أنه لايمكن أن تكون الحمى من فيح جهنم، كما يقول هذا الحديث:

حدّثنا عبدُ اللهُ بنُ محمدٍ حدثنا أبو عامرٍ هو العَقَديُّ حدّثنا همامٌ عن أبي جَمرةَ الضُّبَعيِّ قال: «كنتُ أُجالسُ ابن عباسٍ بمكةَ، فأخذتني الحُمى فقال: أبرِدها عنكَ بماءِ زَمزمَ، فإنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: هيَ الحُمى من فَيح جهنَّمَ، فأبرِدوها بالماء، أو قال: بماءِ زمزمَ. شكَّ همّام»[١].

لأن الحمى، تنتج بسبب صراع الكريات الحمراء في الدم مع الجراثيم التي تغزو الجسم.

---

(١) باب صفة النار وأنها مخلوقة ـ كتاب بدء الخلق.

ونار الآخرة، لا نعلم عنها شيئاً لأنها من علم الغيب الذي لم يخلق بعد. وحتى لو افترضنا جدلاً، أنها موجودة الآن كما يقول الحديث، فلماذا يعاقب الله بها أهل المدينة، المسلمين زمن الرسول، ولا يعاقب أهل الطائف الكفار الذين لا يعانون من فيح جهنم، في الصيف، بسبب اعتدال المناخ عندهم، كما يعاني المهاجرون والأنصار في المدينة ذات المناخ الشديد الحرارة صيفاً.

ولماذا يعاقب الله المسلمين بالنار كل صيف، مع أن العذاب لايكون إلا بعد الممات، وخلق عالم الآخرة، ثم قيام الناس من الموت، ثم يكون الحساب، وبعد ذلك الجنة أو النار: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الزمر٦٨ ـ ٧٥

* * *

التثاؤب ونهيق الحمار يصنعهما الشيطان

حدّثنا عاصمُ بن علي حدَّثنا ابنُ أبي ذئبٍ عن سعيدٍ المقبرُيِّ عن أبيه عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «التثاؤبُ منَ الشيطان، فإذا تثاءبَ أحدُكم فلْيرُدَّهُ ما استطاع، فإنَّ أحدَكم إذا قال ها ضحِكَ الشيطان»[1].

ومثله:

حدّثنا آدمُ بن أبي إياس حدَّثنا ابنُ أبي ذِئب حدَّثنا سعيدُ المقبُريُّ عن أبيه عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله يُحبُّ العُطاسَ ويكرهَ التثاؤبَ، فإذا عَطسَ فحمِدَ الله فحقٌّ على كل مسلم سمعَه أن يشمِّتَه. وأما التثاؤب فإنما هو منَ الشيطان. فلْيَرُدَّه ما استطاع، فإذا قال: هاء ضحِكَ منه الشيطان»[2].

ومثله:

حدّثنا إبراهيمُ بنُ حمزةَ قال: حدَّثني ابنُ أبي حازمٍ عن يزيدَ عن محمد بن إبراهيمَ عن عيسى بن طلحةَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «إذا استيقظ ـ أُراهُ أحدُكم ـ من منامهِ فتوضَّأ فلْيستَنِثر ثلاثاً، فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومه»[3].

وقريب منه:

حدَّثنا قتيبة حدّثنا الليثُ عن جَعفرِ بن رَبيعةَ عنِ الأعرج عن أبي هريرةَ

---

(١) باب صفة إبليس وجنوده ـ كتاب بدء الخلق.
(٢) المجلد الثامن ـ كتاب الأدب ـ باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب.
(٣) نفس المصدر السابق.

رضيَ الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سَمعتم صياحَ الدِّيكةِ فاسألوا اللهَ من فضلهِ فإنها رأتْ مَلَكاً، وإذا سمعتم نهيقَ الحمار فتعوَّذوا باللهِ منَ الشيطان فإنه رأى شيطاناً»[١].

وهذا حديث من كتاب الكافي في نفس السياق: عن أَبي عَبْدِ اللَّهِ قال: الدِّيكُ الْأَبْيَضُ صَدِيقِي وَصَدِيقُ كُلِّ مُؤْمِنٍ[٢].

مناقشة النص

مرة أخرى يُنقل لنا جهل القرون الأولى بالحقائق العلمية على شكل أحاديث منسوبة للرسول، حيث تقول الأحاديث الأربعة بأن التثاؤب ونهيق الحمار من الشيطان، وكأن الشيطان قادر على أن يودع في الإنسان أو الحيوان، ما لم يودعه الله فيهما، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر٢٤

وإلا فالتثاؤب عملية تؤدي لاستنشاق كمية أكبر من الأوكسجين لأن الجسم بحاجة لها، أما النهيق فهو صوت خلقه الله جل وعلى للتواصل بين الحمير، كما الكلام للبشر، والصياح للديكة، ولم يخلق النهيق لا إبليس ولا الحمار نفسه. وهو صوت مرتفع وقد يكون مزعجاً لبعض الناس، وهو ما يعنيه قوله تعالى، على لسان لقمان، ولم يقله الله: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾لقمان١٩

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٥٥٠.

فلقمان يطلب من ابنه أن يحافظ على الهدوء عند الحديث ولا يتكلم بصوت عال، يزعج السامع كما هو الحال مع صوت الحمير، الغير مألوف، ولم يقل الله سبحانه وتعالى أن صوت الحمار منكر، بالمعنى السيء للكلمة. إذ لا يمكن أن يخلق الله شيئاً إلا لتناسبه مع ما خلق له، ولا يمكن أن يخلق الله شيئاً منكراً في خلقه، ومن ثم يعيبه على المخلوق.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور٤٥

«فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

* * *

استهجان للرسول

حدّثنا أحمدُ بن صالحٍ حدَّثنا ابن وَهبٍ قال: أخبرَني يونُسُ عن ابنِ شهابٍ عن أبي سَلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ وسعيدِ بن المسيَّبِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحنُ أحقُّ بالشكِّ من إبراهيمَ إذ قال: ﴿ربِّ أرني كيفَ تُحيي الموتى. قال: أوَلَم تُؤْمِنْ؟ قال: بَلى ولكنْ ليَطمَئِنَّ قلبي﴾ البقرة: ٢٦٠، ويَرحمُ الله لوطاً لقد كان يَأوِي إلى رُكنٍ شديد، ولو لبِثتُ في السجنِ طولَ ما لبثَ يوسفُ لأجَبتُ الداعيَ»[(١)].

(١) باب قول الله عز وجل: ونبئهم عن ضيف ابراهيم ـ كتاب الأنبياء.

مناقشة النص

الحديث يقول بأن الرسول صلوات الله عليه، قال بأنه يراوده شك في قدرة الله على إحياء الموتى، وأنه كان سيزني ولا يبقى في السجن كالمدة التي أمضاها يوسف عليه السلام.

أما القرآن فيقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ. قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الأنعام١٤ ـ ١٦

وقد أكد الله سبحانه وتعالى لمحمد، أن ما يلقاه من وحي هو من عند الله، فلا يراوده أدنى شك حول ذلك: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يونس٩٤

ولم يشك الرسول مطلقاً بقدرة الله على الخلق أو إعادة الخلق يوم القيامة، كما أنه صلوات الله عليه أبعد ما يكون عن تفضيل الزنى على السجن، أو حتى إقتراف الزنى، وهو يقرأ على الناس قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ بني إسرائيل٣٢

* * *

أساطير شعبية

حدثنا يحيى بنُ موسى حدَّثَنا عبدُ الرزّاق أخبرَنا مَعمرٌ عنِ ابنِ طاوسٍ عنِ أبيهِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «أُرسِلَ ملكُ الموتِ إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءهُ صَكَّهُ، فرجَعَ إلى ربهِ فقال: أرسلَتني إلى عبدٍ

لا يريدُ الموتَ. قال: ارجِعْ إليهِ فقل له يَضَعُ يدَهُ على مَتنِ ثورٍ، فلهُ بما غطى يدُهُ بكل شعرةٍ سنة. قال: أي ربّ، ثمَّ ماذا؟ قال: ثمَّ الموت. قال: فالآن. قال: فسأَلَ اللهَ أن يُدنِيَهُ منَ الأرض المقدَّسةِ رميةً بحجرٍ. قال أبو هريرةَ: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لو كنتُ ثمَّ لأريتُكم قبرَهُ إلى جانب الطريقِ تحتَ الكثيبِ الأحمر. قال: وأخبرَنا مَعْمرٌ عن هَمامٍ حدَّثنا أبو هريرةَ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم نحوَه[١].

ومثله:

حدّثنا عبدُ العزيزِ بن عبدِ الله حدَّثَنا إبراهيمُ بن سعدٍ عنِ ابنِ شهابٍ عن حُمَيدِ بن عبدِ الرحمن أنَّ أبا هريرةَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: أنتَ آدمُ الذي أخرجَتْكَ خطيئتكَ منَ الجنة. فقال لهُ آدمُ: أنتَ موسى الذي اصطفاكَ اللهُ برسالاتهِ وبكلامهِ ثمَّ تلومُني على أمر قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلَقَ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحجَّ آدمُ موسى مرَّتَين»[٢].

مناقشة النص

هذه حكايات تصلح لكتاب مثل كليلة ودمنة، ويجب أن ينزه عنها دين الله. وإلا فالموت آلية تفارق بموجبها الروح الجسد، عندما يصل الجسم إلى مرحلة من الوهن والضعف لا يستطيع حمل الروح، إما بسبب المرض أو الكبر أو الإصابة.

ولا يأتي مخلوق حي من مخلوقات الله إلى الذي يموت ويستأذنه في

(١) باب وفاة موسى ـ كتاب الأنبياء.
(٢) نفس الباب.

قبض روحه، فإن وافق وإلا عاد من حيث أتى. وإذا ما فارقت الروح الجسد فلا رجعة بعدها للحياة: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون١١

والحديث الثاني يزعم أن موسى وآدم تحاجا، دون أن يفطن القاص أن آدم هو أبو البشر، وقد مات قبل آلاف السنين، ودون أن يعلم أنه سيولد من ذريته نبي اسمه موسى. فكيف يحاج موسى الحي، آدم الذي مات قبله بآلاف السنين؟

إلا إذا كان القاص يقصد أن موسى وآدم سيلتقيان يوم القيامة وسيتجادلان حينها. وهو ما يتعارض مع قول الله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الحجر٤٧

فلن يكون هناك مشاحنات ولا جدال في الجنة.

أما إذا قصد القاص أن المشاحنة بين آدم وموسى حدثت في السماء بعد أن توفي آدم ولحق به موسى، فهو يعارض قول الله سبحانه بأن من مات فلن يعود للحياة إلا يوم القيامة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة١١

❊ ❊ ❊

ختام المجلد الرابع

نختم هذا المجلد بحديث ورد في كتاب بدء الخلق ـ باب ما جاء في قوله: ﴿وهوَ الذي يُرسِلُ الرِّياحَ نُشراً بين يَديْ رحمته﴾، وهذا نصه:

حدّثنا آدَمُ حدَّثنا شُعبةُ عن الحكَم عن مجاهدٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ

عنهما عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبور».

مناقشة النص

يطلق العرب إصطلاح «الصبا» على الريح إذا هبت من الشرق، والدبور إذا هبت من الغرب، ولازال هذان المصطلحان معروفان عند أهل غرب وجنوب غرب جزيرة العرب.

فكيف ومتى نصر الرسول بالصبا؟ وكيف عرف قاص الحديث أن الريح التي أهلكت عاد جاءتهم من الغرب؟

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ النجم٢٣

❊ ❊ ❊

المجلد الخامس

الدين يضعف كل قرن

حدَّثنا إسحاقُ حدَّثنا النَّضْرُ أخبرنَا شُعبة عن أبي جَمرةَ سمعتُ زَهدَم بنَ مضرِّبٍ قال سمعتُ عِمرانَ بنَ حُصَينٍ رضيَ اللَّهُ عنهما يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ أمَّتي قَرني، ثمَّ الذين يَلونهم، ثمَّ الذين يَلونهم. قال عِمرانُ: فلا أدري أذكرَ بعدَ قرنِهِ قَرنين أو ثلاثاً. ثمَّ إنَّ بعدَكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤْتَمَنون، ويَنذرون ولا يَفون، ويَظهر فيهم السِّمَن»[1].

مناقشة النص

نقطتان للمناقشة، هما:

أن الرسول لا يعلم الغيب، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في نقاشات سابقة.

الحديث ينسب للرسول قوله أن خير أمته قرنه ثم الذين يلونهم، لكن الواقع يؤكد خلاف ذلك. فالدولة الإسلامية زمن عمر ابن الخطاب، كانت عبارة عن ندرة نادرة من الصحابة، وسط خضم هائل من سكان البلاد

---

(١) باب فضائل أصحاب النبي ـ كتاب فضائل أصحاب النبي.

المفتوحة، الذين لايعرفون من الإسلام إلا الشهادة والعبادات شكلياً، مع غياب تام للقرآن الذي لم يكن هناك منه سوى نسخة واحدة فقط في المدينة.

وفي عهد علي ابن أبي طالب، حدثت معارك طاحنة بين المسلمين، أودت بحياة ما بين ٧٠ ـ ١٥٠ ألفاً، ممن يشهدون بوحدانية الله، غلبيتهم الساحقة من المسلمين الجدد، حسبما ذكرت كتب التاريخ.

وفي ذاك القرن أصبح الناس تحت حكم ملكي وراثي للأمويين، وأصبحت مدخرات الدولة وبيت المال ملكاً خاصاً للحاكم. وفي القرن الأول والثاني بدأ التحديث على الرسول، ونسب إليه من الأقوال والأفعال ما لم يقل، وظهرت الفرق والمذاهب المختلفة، التي أخذت بأقوال الناس وتركت كتاب الله.

فكيف يكون الناس في القرن الأول والثاني أفضل أمة محمد، مع أنهم عادوا فيهما إلى كل ما حاربه الإسلام من عادات جاهلية، وأدخلوا في الإسلام ما ليس فيه من تراث أمم مختلفة، باسم الحديث.

والقرآن لا يفرق بين قرن أول وقرن لاحق، فالجنة لأصحاب اليمين سواءاً كانوا من السابقين أو اللاحقين: ﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة ٣٨ ـ ٤٠

والميعاد والحساب سيكون للجميع بلا تميز: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الواقعة ٤٩ ـ ٥٠

وتكرر هذا التأكيد في آيات كثيرة، لأن الدين متاح للجميع في كل العصور بشكل متساو، ولاعبرة لقرب القرون من الرسول أو بعدها عنه:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ النحل٩٧

❊ ❊ ❊

عمر ابن الخطاب يوحى إليه

حدَّثنا يحيى بن قَزَعةَ حدثَنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن أبيهِ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيما قبلَكم منَ الأمم ناسٌ محدَّثون، فإن يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر» زادَ زكريّاءُ بن أبي زائدةَ عن سعدٍ عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيمن كان قبلَكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يكلّمونَ من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فعمر»[1].

مناقشة النص

لو أخذنا بهذا الحديث لجعلنا من عمر نبي يوحى إليه، ولما أصبح الرسول كما قال الله عنه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ الأحزاب٤٠

ولكننا نؤمن أن محمداً مات ولن يتلقى بعده أحداً وحياً من أي نوع، سواءاً كان عمر أو من يسميهم الشيعة بالأئمة، الذين يزعمون أنهم يتوارثون علم النبوة بعد الرسول، وكأن هناك علم مخفي للنبوة لايعلمه إلا أناس معينين ويخفى على البقية، ولو كان هذا يحدث فعلاً فالإسلام دين أسرار وغموض، ولن يقبل الله إلا فئة معينة من الناس وليس كلهم، كما

---

(١) باب مناقب عمر ابن الخطاب ـ كتاب مناقب أصحاب النبي.

زعمت اليهود من قبل: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ١١١ ـ ١١٢

ولكن الإسلام يقوم على الإيمان والعمل الصالح المتمثل بأوامر ونواهي القرآن الواضحة لكل من يرغب: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾ الكهف٨٨

وهو نفس الدين الذي دُعيت إليه الأمم السابقة، لا لبس فيه ولا أسرار: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران ٨٤ ـ ٨٥

* * *

السعي بين الصفا والمروة

وقال ابنُ وَهبٍ أخبرَنا عمرٌو عن بُكيرِ بن الأشجِّ أن كُرَيباً مولى ابن عبّاسٍ حَدَّثهُ أنَّ ابنَ عبّاس رضيَ اللّه عنهما قال: «ليسَ السعيُ ببطنِ الوادي بينَ الصَّفا والمروةِ سُنَّة، إنما كان أهلُ الجاهليةِ يَسعَونها ويقولون: لا نُجِيزُ البَطحاءَ إلاّ شَدّاً»[١].

(١) باب القسامة في الجاهلية ـ كتاب مناقب الأنصار.

مناقشة النص

الحديث ينكر السعي بين الصفا والمروة، كشعيرة من شعائر الحج، بينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة١٥٨

* * *

الذي أخبر الرسول بالجن شجرة

حدّثني عبَيدُ اللَّه بن سعيدٍ حدَّثنا أبو أُسامَة حدَّثنا مِسعَرٌ عن مَعنِ بن عبدِ الرحمنِ قال: سمعتُ أبي قال: «سألتُ مَسروقاً: مَن آذَنَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ؟ فقال: حدَّثني أبوك ـ يعني عبدَاللَّه ـ أنه آذنَتْ بهم شجرة»[1].

مناقشة النص

كثير من مختلقي الحديث لا يعرفون القرآن، وهذا واحد منهم. ولو كان يتدبر القرآن، لقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ الجن١ ـ ٢

فالرسول عليه صلوات الله لم يكن يدري أنه في يوم من الأيام عندما كان يتلوا القرآن قد إستمع إليه نفر من الجن، إلا بعد أن نزلت عليه هذه

(١) باب ذكر الجن ـ كتاب مناقب الأنصار.

الآيات، في وقت لاحق، ولو لم ينزل عليه وحي بذلك لما علم أبداً. وقد أكدت أية في سورة أخرى للرسول إستماع الجن له: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ الأحقاف٢٩

ولأن القاص يعيش في مجتمع يؤمن بالخرافات فقد أورد أن من أبلغ الرسول بالجن شجرة، مطمئناً إلى أن أحداً من جيله لن يعترض على كلامه بحجة أن الشجر لا يتحدث بلغات البشر.

وقريب من موضوع الحديث السابق، هذا الحديث:

حدَّثنا موسى بن إسماعيل حدَّثَنا عمرُو بن يحيى بن سعيدٍ قال: أخبرني جَدِّي عن أبي هريرةَ رضي اللّه عنه: «أنه كان يَحملُ معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إداوَةً لِوَضوئِه وحاجته. فبينما هوَ يَتبعهُ بها فقال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة. فقال: ابغِنِي أحجاراً استنفِض بها، ولا تأتِنِي بعظمٍ ولا برَوثةٍ. فأَتيته بأحجار أحملِها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إلى جَنبهِ، ثم انصرَفت، حتى إذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثةِ؟ قال: هُما مِن طَعام الجنّ، وإِنه أتاني وَفدُ جنِّ نَصِيبينَ ـ ونِعمَ الجنُّ ـ فسألوني الزادَ، فدعَوتُ اللَّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً»[١].

والجن لا تأكل لأنها مخلوقات نورانية[٢]، لم يخلق الله لها جهازاً هظمياً كما البشر. والرسول لم يعلم بالجن واستماعهم للقرآن إلا بعد أن نزل عليه الوحي كما أسلفنا، ولم يسبق للرسول أن إجتمع بالجن وجهاً لوجه أبداً.

---

(١) تفس الباب السابق.

(٢) أنظر حديث الجني الذي تفلت على الرسول ـ كتاب الصلاة.

لكن الفهم السيء للقرآن، جعل القاص يسرد هذه القصص الخيالية، لدرجة أنه يقول أن جن نصيبين جاؤا الرسول يسألونه الطعام» فدعَوتُ اللَّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً». وكأنهم لم يكونوا يتزودون ويطعمون حتى بعث محمد، بل حتى أتوه ودعا لهم.

والقاص يناقض نفسه، فهو يقول على لسان الرسول عن العظم والروثة: «قال: هُما مِن طَعام الجنّ»، ثم يعود ويقول على لسان الرسول: «فدعَوتُ اللَّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً». أي أن العظم والروثة ليستا طعام للجن، ولكن الله يضع عليهما طعام للجن.

فلماذا دعى الرسول أن يوضع الطعام على القاذورات كالروثة، مع أن الطعام نعمة من الله يجب إحترامها.

أليس تصديق هذا الحديث فيه قدح بالرسول؟

* * *

وساطة الرسول لإبي طالب في النار

حدَّثنا مسدَّدٌ حدَّثَنا يحيى عن سفيانَ حدَّثَنا عبدُ الملك حدَّثَنا عبدُ الله بنُ الحارث قال حدَّثَنا العباسُ بن عبدِ المطلبِ رضيَ اللهُ عنه: «قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: ما أغنيتَ عن عمِّكَ، فوالله كان يَحوطُكَ ويغضبُ لك، قال: هو في ضَحْضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرَكِ الأسفل منَ النار»[1].

---

(١) باب قصة أبي طالب ـ كتاب مناقب الأنصار.

مناقشة النص

إذا كان الرسول قادر على أن يغير أو يعدل في قوانين الله التي وضعها لحساب البشر يوم القيامة، بحيث يخفف العذاب عن البعض ممن يستحق عذاباً أعظم، فلماذا لم يشفع محمد لعمه بإخراجه من النار؟

وبطبيعة الحال الديان هو الله يوم القيامة: ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الجاثية١٧

والحساب لايكون بالعواطف، ولكن بأقصى درجات العدل، بل بالعدل المطلق: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ يونس٤٧

ولن يكون لا لمحمد ولا لغيره من الرسل أو الملائكة أو أي من المخلوقات الأخرى رأي أو إعتبار في محاسبة البشر: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ النحل١١١

ولن يستطيع محمد أن يشفع في عمه ليخرجه من النار، أو حتى يخفف عنه العذاب، كما لم يستطع نوح أن يشفع بابنه: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود٤٦

فالإنسان ليس جزءاً من والديه أو أقربائه، بل هو روح مستقلة، «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»، ولن يحمل الوالد عن ولده، ولا الولد عن والده شيئاً من الذنوب: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم

بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر١٨

وقد خلق الله المشاعر والعواطف بين الناس لتستمر الحياة، أما يوم القيامة فلا حاجة لها: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾ المؤمنون١٠١

ولو رأت أم ولدها الوحيد يدخل النار فلن تتفطر كبدها حزناً عليه، لأنه في ذلك العالم، ليس ولدها، بل هو روح مستقلة، يواجه ما قدمت يداه: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ النبأ٤٠

* * *

ونختم المجلد الخامس بهذا الحديث: حدّثني إبراهيمُ بن موسى أخبرَنا عبدُ الوهاب حدَّثَنا خالدٌ عن عكرمة عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما «أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريلُ آخِذٌ برأسِ فرَسهِ عليهِ أداةُ الحرب»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يصور جبريل وهو على فرس ويلبس أداة الحرب من دروع وخوذ وسيف، أي أنه مشترك فعلياً في الحرب، بحيث يقتل ويتعرض للقتل. وهو فهم معوج للآيات التي ذكرت نزول الملائكة على المسلمين في معركة بدر، والتي تفيد أن نزولهم كان لتقوية العامل النفسي

(١) باب شهود الملائكة بدر ـ كتاب المغازي.

للمسلمين «لتطمئن قلوبهم» كما أطلق عليها القرآن: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران١٢٦

وقد وردت هذه الآية ضمن آيات تقول: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران١٢٣ ـ ١٢٦

ولم يكن نزول الملائكة للقتال الفعلي والتعرض للقتل، وكل المقتولين من جيش قريش كان لايزيد عن سبعين رجلاً، قتلهم رجال من المسلمين، ولم تقتل الملائكة كافراً واحداً، لأن الملائكة لا تستطيع حمل السلاح، فهم مخلوقات نورانية، وليست لهم أجساد حسية وأيد وأرجل، كما أن الكفار لم يقتلوا ملكاً واحداً من الملائكة، لأنهم ليست لديهم القدرة على رؤيتهم، وحتى لو تمثلوا بهيئة بشرية، وهذا لم يحدث، ولو حدث، فلن يستطيع القرشي قتل خيال الملك، لأنه ليس له جسد حسي ورأس يقطع، ودم ينزف.

ولم يعلم المسلمون بوجود الملائكة لدعمهم نفسياً إلا بعد إنتهاء المعركة ونزول هذه الآيات.

المجلد السادس

السكينة نوع من السحاب

حدّثنا عَمرُو بن خالد حدَّثنا زُهَير حدَّثنا أبو إسحاقَ عن البَراءِ بن عازب قال: «كان رجلٌ يقرأُ سورةَ الكهْفِ، وإلى جانبه حِصانٌ مَرْبوط بِشَطَنَين، فَتَغَشَّتهُ سحابةٌ، فجَعَلَتْ تدنو وتدنو، وجَعَلَ فرسُهُ يَنفِر. فلما أصبح أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السَّكِينَةُ تَنزَّلت بالقرآن»[١].

مناقشة النص

حسبما جاء في هذا الحديث، فالسكينة التي تعني الوداعة والوقار[٢] قد تجسدت على شكل سحابة أصابت الحصان بالذعر، ولم يشعر بها الرجل.

وقد ذكرت السكينة مرتان في كتاب الله كلاهما في سورة الفتح، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ الآية٤

(١) باب فضل سورة الكهف ـ كتاب فضائل القرآن.
(٢) ابن منظور ـ لسان العرب ـ حرف السين.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ الآية١٨

وتكون السكينة شعور نفسي داخلي بالطمأنينة، ولا تتجسد على شكل سحابة، كما ذكر مختلق الحديث.

وهذا حديث مشابه:

وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيمَ عن أُسَيْد بن حُضَير قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورةَ البقَرَة وفَرَسه مَرْبوط عنده إذ جَالَتِ الفَرس، فسَكَتَ فسكَنَت. فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالتِ الفَرس فانصرَف، وكان ابنُهُ يحيى قريباً منها فأشفق أن تُصيبه، فلما اجْتَرَّهُ رفَع رأسَه إلى السماء حتَّى مايراها، فلما أَصبح حدَّث النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال له: اقرأ يا ابنَ حُضَير، اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفَقتُ يارسولَ الله أن تَطَأَ يحيى، وكان منها قريباً. فرفَعتُ رأسي فانصَرَفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السَّماءِ، فإذا مثلُ الظلة فيها أمثالُ المصابيح فخرجْتُ حتى لا أراها، قال: وتَدري ماذاك؟ قال: لا، قال: تلكَ الملائكةُ دَنَت لِصوتك، ولَوْ قَرأتَ لأصبَحَتْ يْنظر الناسُ إليها، لاتتوارَى منهم»[1].

وأول ما يلاحظ على هذا الحديث هو أن عباراته ليست مترابطة، مثل قوله: «فلما اجْتَرَّهُ رفَع رأسَه إلى السماء حتَّى مايراها» إذ ليس واضحاً مالمقصود بهذه العبارة.

---

(١) باب نُزُولِ السكِينَة والملائكة عند قِراءَةِ القرآن ـ كتاب فضائل القرآن.

ومثلها: «فرفَعتُ رأسي فانصَرَفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السَّماءِ، فإذا مثلُ الظلة فيها أمثالُ المصابيح فخرجْتُ حتى لا أراها».

والملاحظة الثانية هي أن الحديث يزعم أن ابن حضير لو استمر في القراءة لأصبحت الملائكة تعيش بين الناس بهيئات يستطيعون رؤيتها.

وبطبيعة الحال هذه أساطير سطرتها مخيلة القاص، وتناقلها الناس في تلك ألأزمنة، لأن الخرافة كانت مسيطرة ومتفشية.

وإلا فالله خلق الملائكة من طاقة ونور ولن نراهم، لأننا لم نخلق بقدرات تستطيع رؤيتهم، ولم تنزل الملائكة ليراها الناس في زمن الرسول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾ الفرقان٢١

ويسرد علينا القرآن أن الملائكة إذا نزلت ورآها الناس فهذا يعني حلول العذاب بهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾ الفرقان٢٢

وبناءاً على هذه القاعدة، فقد نزلت الملائكة بهيئات مرئية للبشر، على قوم لوط، وإن إجتازوا بابراهيم أولاً، ولكنهم لم يأكلوا من وليمته، لأنهم لا يملكون جهازاً هظمياً كالبشر. ولم يستطع قوم لوط الإمساك بهم، لنفس السبب، وهو كونهم نورانيون، وإن بدوا بهيئات بشرية. فكان نزولهم على قوم لوط لإيقاع العذاب بهم، كما تقول القاعدة الإلهية: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ﴾ الحجر٨

❊ ❊ ❊

ختام المجلد السادس

ونختم المجلد بحديث ورد في «باب إثم من راءى بقراءَةِ القرآن، أوْ تأَكَّلَ به، أو فَخَرَ به»، وهذا نصه: حدّثنا محمدُ بن كثير أخبرنا سُفيانُ حدَّثنا الأعمشُ عن خَيثمَةَ عن سُوَيد بن غفلَةَ قال: قال علي رضي الله عنه: «سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي في آخِرِ الزَّمان قَوم حُدَثاءُ الأسنان، سُفَهَاء الأحلام، يقولون من خَيرِ قول البريَّة، يَمرُقون منَ الإسلامِ كما يمرُقُ السَّهْمُ من الرمِية، لايجاوزُ إيمانُهم حَناجرَهم، فأينما لقِيتُموهم فاقتُلُوهُم، فإن قَتلَهم أَجْرٌ لِمن قَتَلَهم يومَ القيامَةِ».

ولا تعليق!

المجلد السابع

إظفر بذات الدين

حدّثنا مُسدَّدٌ حدَّثنا يحيى عن عُبيدِ الله قال: حدثني سعيدُ بن أبي سعيدٍ عن أبيهِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «تُنكَحُ المرأة لأَربع: لمالها، وَلِحَسَبِها، وَجَمالِها، ولدِينها، فاظفَر بذاتِ الدِّينِ ترِبَتْ يَداك»[١].

مناقشة النص

المفترض بالمرأة المسلمة أن تكون ذات دين، وبالتالي فلا داعي للقول فاظفر بذات الدين، ويمكن لذات الدين أن تكون جميلة، ولديها مال.

ويبدوا أن الحديث قد ابتدع بعد أن عاد الناس للتفاخر بالأنساب، تلك العادة التي جاء الإسلام ليقضي عليها، عندما تزوج الموالي السابقين بقرشيات، كما فعل زيد ابن ثابت. ولو كان الرسول قد قال الحديث فلن يذكر النسب كواحد من العوامل المطلوبة للزواج عند المسلمين في عصره.

وإذا كان المقصود بالحديث هو الحث على الزواج بالمسلمات دون

---

(١) باب الأكْفاءِ في الدِّين ـ كتاب النكاح.

غيرهن، فهذا يناقض قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المائدة٥

* * *

المعاشرة الجنسية بدون زواج

وقال ابنُ أبي ذِئبٍ حدثني إياسُ بن سلمةَ بن الأكوع عن أبيهِ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «أيما رجُلٍ وامرأة توافَقا فعِشْرةُ ما بينهما ثلاثُ لَيال، فإن أحبّا أن يَتزايَدا أو يتتاركا تتاركا. فما أدري أشيءٌ كان لنا خاصة، أم للناس عامَّة»[1].

قال أبو عبدالله: وقد بَيَّنهُ عليّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ.

مناقشة النص

هذا الحديث يبيح لأي رجل وامرأة أن يتعاشرا جنسياً لمدة ثلاث ليال أو ثلاثة أيام، ثم يقررا إن كانا يريدان أن يستمرا في المعاشرة أو ينفصلا.

وأهل الحديث يقولون إن المقصود المتعة عندما كانت مباحة، ولكن نص الحديث يدل على أنه لا يتحدث عن المتعة، على الإطلاق.

وموضوع المتعة طويل، وقد ناقشه فرج فودة باستفاضة في كتاب سماه

(١) باب نهي رسول الله عن زواج المتعة أخيراً ـ كتاب النكاح.

المتعة، لمن رغب في الإستزادة. أما هنا فكل ما نود قوله أنه إذا كان الزنى يعني المعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة خارج إطار الزواج الشرعي الذي يكون بعرض وقبول وشهادة شهود، وإذا كانت المتعة إتفاق بين رجل وامرأة على جعل معين مقابل المعاشرة الجنسية لمدة معلومة محدودة، دون شهود أو تطبيق لشروط الزواج الشرعي فهي زنى، وينطبق عليها حكم الزنى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾بني إسرائيل٣٢

أما لو استوفى شروط الزواج الشرعي واشترط الزوجان مدة معينة للزواج، فلا يوجد في كتاب الله ما يمنع ذلك، مثل اشتراط عدم الإنجاب أو أي شرط آخر. ولكن لاوجود في شرع الله إباحة للمعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة خارج إطار الزواج لساعة أو يوم أو أكثر أو أقل.

ويبدوا أن البخاري، أبا عبدالله، قد استهجن هذا النص لتعارضه مع ثوابت قرآنية، فقال في النهاية: «وقد بَيَّنَهُ عليّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ». وكأنه بهذا القول قد حكم على الحديث بالبطلان، إلا أنه مع ذلك كتبه في كتابه.

والحديث لم ينسخ، لأنه أصلاً لم يقله رسول الله.

* * *

أبوهريرة يسأل الناس إلحافاً

عن أبي حازم عن أبي هريرةَ «أصابني جَهدٌ شديدٌ، فَلَقيت عمرَ بن الخطاب، فاستَقرَأْتُهُ آية من كتاب الله، فدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحها عليّ، فمشيت غيرَ بعِيدٍ فَخررتُ لوجهي منَ الجهدِ والجوع، فإذا رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم قائمٌ على رأسي فقال: يا أبا هِرٍّ، فقلت: لبَّيكَ رسولَ الله وسَعدَيك، فأخذَ بيدي فأقامني وعَرَفَ الذي بي، فانطلق بي إلى رَحلِهِ فأمر لي بعُسّ من لبن فشرِبت منه، ثم قال: عُد فاشرب يا أبا هِرّ، فَعُدْتُ فشرِبت، ثم قال: عد فعدت فشربت حتى استوى بَطني فصار كالقِدح. قال: فلقيت عمر وذكرتُ له الذي كان من أمري وقلت له: فَوَلَّى ذلكَ من كان أحقَّ به منك يا عمر، والله لقد استقرَأتكَ الآيةَ ولأنا أقرَأُ لها منك. قال عمر: والله لأن أكونَ أَدخلتُك أحبُّ إليَّ من أَن يكونَ لي مِثلُ حمر النَّعم»[1].

مناقشة النص

هذا النص ليس حديثاً، ولكنه قصة تنسب لإبي هريرة أنه كان يتضور جوعاً، وأنه لحق بعمر ابن الخطاب، بحجة أنه سيقرأ عليه آية، وهو يهدف أن يطعمه، ولكن عمر دخل بيته وأغلقه عليه.

وفي هذا إلحاح من أبي هريرة، لايحبذه الدين: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة٢٧٣

وسواءً حدثت هذه القصة أم لم تحدث، فليس فيها نفع للإسلام ولا تشريع ينتفع به أو يتبعه المسلمون، ولاندري لماذا يحشوا المحدثون كتبهم بمثل هذه القصص.

* * *

(١) باب قوله تعالى وكلوا من طيبات ما رزقناكم ـ كتاب النفقات.

لُحوم الحُمر الإنسيَّةِ حلال أم حرام

حدّثنا محمدُ بن سَلام أخبرَنا عبدُ الوَهَّابِ الثقفيُّ عن أيوبَ عن محمدٍ عن أنس بن مالكٍ رضي اللهُ عنه «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاءَهُ جاءٍ فقال: أُكِلَتِ الحمر. ثم جاءَهُ جاء فقال: أُكلَت الحمر. ثم جاءهُ جاءٍ فقال: أُفْنِيَتِ الحمر. فأمرَ مُنادياً فنادَى في الناس: إن الله ورسولَهُ يَنهَيانكم عن لحوم الحمر الأهلية. فإنها رِجْس. فأُكفِئَتِ القُدُورُ، وإنها لتَفورُ باللحم»[1].

مناقشة النص

السؤال الذي تردد كثيراً عند مناقشة الأحاديث ويسأل هنا، هو: هل لرسول الله صلوات الله عليه الحق بسن تشريعات لم ينزل بها القرآن؟

إن كان الجواب بنعم، فأين الدليل الذي يظهر أن الله أذن له بذلك؟

إذ لايوجد في القرآن أو حتى فيما يسمى بالحديث أي نص يقول بأن الرسول مخول لسن تشريعات دينية وتضمينها لدين الله.

وإن كان الجواب، بنفي أن يكون الرسول لديه الصلاحية لسن التشريعات فإن أي تحريم لم يحرمه القرآن فليس بحرام، وأي تحليل لم يحله القرآن فليس بحلال، وأي تشريع لم يشرعه القرآن فليس من دين الله.

وبناءاً على هذا الإفتراض، فإن صح هذا الخبر، فقد يكون نهي الرسول عن أكل لحوم الحمر الإنسية في خيبر، حتى لا تفنى، وهي تستخدم لأغراض الناس وليس لأنها حرام، وهذا هو الدليل:

(١) باب لحوم الحمر الإنسية ـ كتاب الذبائح والصيد.

حدّثنا عليُّ بن عبدِ الله حدثَنا سُفيان قال عمرُو: قلتُ لجابر بن زيد: يَزعمونَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن حُمرِ الأهلية فقال: قد كان يقولُ ذاك الحكمُ بن عمرو الغفاريُّ عندَنا بالبصرة، ولكنْ أبى ذلكَ البحرُ ابن عبّاس وقرَأ﴿قل لا أجِدُ فيما أُوحيَ إليَّ محرَّماً﴾[1].

وتمام الآية التي نسب لابن عباس الإستشهاد بها هي: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنعام١٤٥

ومثله هذا الحديث:

حدّثنا يوسفُ بن موسى حدثنا محمد بن عبدِ الله أبو أحمدَ الزُّبيري حدَّثنا سُفيان عن منصور عن سالم عن جابر رضيَ الله عنه قال: «نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الظُّروف، فقالتِ الأنصار: إنه لا بُدَّ لنا منها. قال: فلا إذن». وقال لي خَليفة: حدَّثني يحيى بن سعيد حدّثنا سُفيانُ عن منصورٍ عن سالم بن أبي الجعدِ عن جابر بهذا[2].

فإن كان نهي الرسول عن الظروف كتشريع ديني فكيف يتراجع عنه؟

وإن تراجع عنه فكيف يتراجع الله سبحانه وتعالى عنه؟

وهو ما يؤيد عدم قبول أن يكون الرسول قادر على تشريع حكم لم ينزل به القرآن.

❊ ❊ ❊

---

(١) الباب السابق.

(٢) باب تَرخيصِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الأوْعيةِ والظروفِ بعدَ النهي ـ كتاب الأشربة.

إختلاق قصص ونسبتها للرسول لتبرير تصرف

حدّثنا أبو نُعيم حدَّثنا مِسعر عن عبدِ الملك بن مَيسرَةَ عن النزّال قال: «أُتيَ عليٌّ رضي الله عنه على باب الرَّحبةِ بماءٍ فشرب قائماً فقال: إنَّ ناساً يكرَهُ أحدُهم أن يَشربَ وهو قائم، وإني رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتموني فعلتُ»[١].

مناقشة النص

سواءاً شرب الرسول قائماً أو لم يشرب فليس هناك تشريع في الإسلام يحلل أو يحرم الشرب قائماً، لأن هذه تصرفات تخضع للعرف الإجتماعي الذي يختلف حسب المكان والزمان والمجتمع.

لكن الحديث نُسب للرسول، لتبرير تصرف الشرب واقفاً، الذي فعله القاص، في مجتمع لم يعتد ذلك، فاختلق هذا الحديث على لسان علي أنه رأى الرسول يفعله، حتى لا ينتقده من يشاهده.

ومثله هذا الحديث الذي يتحدث عن التنفس في الإناء أثناء الشرب، هل المسموح به مرتين أو ثلاثاً:

حدّثنا أبو عاصم وأبو نُعيم قالا: حدَّثنا عزْرةُ بن ثابتٍ قال: أخبرَني ثُمامة بن عبدِ الله قال: «كان أنسٌ يَتنفّسُ في الإناء مرَّتين أو ثلاثاً، وزعم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يتنفسٌ ثلاثاً»[٢].

ثم نجد حديثاً قال به قاص آخر، في بيئة أخرى، لاتحبذ التنفس في الإناء، وتصرفات أخرى لاعلاقة لها بالدين:

---

(١) باب الشرب قائماً ـ كتاب الأشربة.

(٢) باب الشرب بنفسين أو ثلاثة ـ كتاب الأشربة.

حدّثنا أبو نُعيم حدَّثنا شَيبانُ عن يحيى عن عبد الله بن أبي قَتادة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شَرِبَ أحدُكم فلا يَتنفَّسْ في الإناء، وإذا بال أحدُكم فلا يَمسحْ ذكرَهُ بيمينهِ، وإذا تمسَّحَ أحدُكم فلا يتمسَّحْ بيمينهِ»[1].

* * *

المرض عمل صالح

حدّثني عبدُ الله بن محمدٍ حدثَنا عبدُ الملكِ بن عمرو حدثنا زُهيرُ بن محمدٍ عن محمدِ بن عمرو بن حَلْحَلةَ عن عطاءٍ بن يسار عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولاَحَزَن ولا أذى ولا غَمّ ـ حتى الشَّوكةِ يُشاكها ـ إلاَّ كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه»[2].

مناقشة النص

الإنسان يثاب على العمل الصالح: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ مريم٦٠

والعمل الصالح هو إتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، أما المرض فليس عملاً، وإنما هو ضعف يصيب كل الناس، كافرهم ومسلمهم. ولو كان المرض والتعب والحزن والشوكة إذا أصيب بها الإنسان تكفر الخطايا، فمن المنتظر أن يكون الموت، يكفر كل شيء، ويوجب الجنة ولو لم يعمل الإنسان أي عمل صالح.

(١) باب النهي عن التنفس في الإناء ـ كتاب المرضى.
(٢) باب ما جاء في كفارة المرض ـ كتاب المرضى.

لكن الموت حتم على البشر، كما المرض والحزن والتعب وغيره مما ذكر في الحديث، ولن يكتسب المرء حسنات نتيجة تعرضه لها، كما يصور مختلق الحديث، لكن الحسنات تكتسب بالعمل الصالح والإيمان: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾طه١١٢

وكل ما يقوم به الإنسان بإرادته ووعيه فهو عمل، فإن كان صالحاً أثيب عليه، وإن كان غير ذلك عوقب: ﴿فمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ الزلزلة٧ ـ ٨

أما ما يصيب الإنسان دون إرادته فليس بعمل، ولن يثاب أو يعاقب عليه.

وهناك حديث مشابه، وهو:

حدّثنا أبو الوليد حدثنا شُعبةُ قال: أخبرَني عمرٌو عن خَيثمةَ عن عديٍّ بن حاتم قال: «ذكر النبيُّ صلى الله عليه وسلم النار فتعوَّذَ منها وأشاحَ بوجههِ، ثم ذكر النارَ فتعوَّذ منها وأشاحَ بوجههِ. قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فإن لم يكن فبكلمةٍ طيِّبة»[1].

والفضائل الصغيرة، لها أجرها عند الله، ولكن دخول الجنة يحتاج لأعمال صالحة، كما سبق وذكر مع الإيمان، ولا تكفي الفضائل الصغيرة.

* * *

(١) باب طيب الكلام ـ كتاب الآدب ـ المجلد الثامن.

باب الرقي بالقرآن والمعوذات

حدّثني إبراهيمُ بن موسى أخبرنا هِشامٌ عن مَعْمَر عن الزُّهريِّ عن عروةَ عن عائشةَ رضيَ الله عنها: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يَنْفِثُ على نفسه ـ في المرَضِ الذي مات فيه ـ بالمعوذات، فلما ثقلَ كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ، وأمسحُ بيده نفسهِ لبَرَكتها»[1].

مناقشة النص

الحديث ينسب للرسول أنه «كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه»، مما يعني أن نفثه لم يبرئه من المرض، ولم يخففه عنه، لأنه ثقل ومات، صلوات الله عليه.

ولو كان النفث بالقرآن يشفي، لشفي الرسول أو على أقل تقدير لخفت وطأت المرض عنه، ولكنه اشتد عليه.

وهناك أحاديث كثيرة في نفس الموضوع، ومنها هذا الحديث:

حدّثنا محمدُ بن سَلام حدَّثنا أحمدُ بن بَشِيرٍ أبو بكرٍ أخبرَنا هاشمُ بن هاشم قال: أخبرَني عامرُ بن سعد قال: «سمعتُ أبي يقول: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَن اصْطبح بسبع تمرات عجوةٍ لم يضرَّه ذلك اليومَ سمٌّ ولا سِحر»[2].

وبطبيعة الحال لو كانت العجوة علاجاً للسم، لما هرع المصابون بعضة الأفعى للمستشفيات، ولو عضة أحدهم أفعى من التي يقتل سمها الإنسان،

(١) باب الرقي بالقرآن والمعوذات ـ كتاب الطب.

(٢) باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخبيث ـ كتاب الطب.

ولم يسارع لأقرب مستشفى لتلقي العلاج، لمات ولو أكل سبعين تمرة من النوع المسمى العجوة أو عجوة المدينة، ولذلك فبائع العجوة نفسه، يفضل المستشفى على العجوة في مثل هذه الحالات.

وهناك حديث آخر أكثر واقعية من الحديث السابق، يقول بأن تخفيف الحمى يكون بالماء: حدّثنا مسدَّدٌ حدَّثنا أبو الأحوَصِ حدَّثنا سعيدُ بن مسروقٍ عن عَبايةَ بن رِفاعةَ عن جدهِ رافع بن خَديج قال: «سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: الحمى من فَوْح جَهنم، فأبردُوها بالماء».

وقد يكون قصاص الأحاديث التي تتحدث عن أن القرآن يشفي الأمراض، قد تسامعوا بالآيات التي تقول بأن القرآن شفاء للناس، مثل قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾بني إسرائيل٨٢

فظنوا أن الشفاء يكون من الأمراض، ولكن شفاء القرآن يكون من الكفر، فهو شفاء للعقول والقلوب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس٥٧

ونحن لا نتحدث عن العلاج النفسي، وتأثير سماع القرآن، أو قراءته على المريض نفسياً، ولكننا نتحدث عن العلاج لمرض عضوي بقراءة القرآن، أو بتناول سبع تمرات من نخل المدينة.

المجلد الثامن

يجوز الحلف باللات والعزى بشرط

حدّثني إسحاقُ أخبرَنا أبو المغيرةِ حدَّثنا الأوزاعيُّ حدَّثنا الزُّهريُّ عن حُميدِ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من حَلفَ منكم فقال في حَلِفهِ باللاتِ والعُزَّى فليقُل لا إلهَ إلاّ الله، ومَن قال لصاحبِهِ تعالَ أُقامِرْكَ فلْيَتصدَّق»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يقول بأن المرء إذا حلف باللات والعزى، فليختم حلفه بقول: لاإله إلا الله، ومن دعى صاحبه للقمار فليتصدق.

بينما نذكر بقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة٣

---

(١) باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ـ كتاب الأدب.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة٩٠

وإذا ما أقسم المرء باللات والعزى فقد خالف قول الله، ولن يفيده قول لاإله إلا الله، مثلما لن تفيده الصدقة إذا تعامل بالميسر[١].

ولا ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود١١٤

لأن المقصود بالسيئات هنا هو صغائر الذنوب والزلات، وليس الحلف باللات والعزى ولعب الميسر الموجبة لجهنم، لأنها من الشرك بالله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ النساء٤٨.

* * *

أسهل من دخول الجنة

حدّثنا عَبدانُ أخبرَنا أبي عن شُعبةَ عن عمرو بن مُرَّةَ عن سالم بن أبي الجَعد عن أنس بن مالك «أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: متى الساعة يارسولَ الله؟ قال: ما أعدَدتَ لها؟ قال: ما أعدَدتُ لها من كثير صلاة ولا صَوم ولا صدَقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله. قال: أنتَ معَ من أحبَبْتَ»[٢].

---

(١) كمطعمة الأيتام من كد فرجها ... فليتك لم تزني ولم تتصدقي.

(٢) باب الحب في الله ـ كتاب الأداب.

مناقشة النص

سبق وذكرنا أن الإيمان وحده لايكفي لدخول الجنة، بل لابد من وجود الإيمان مع العمل الصالح. وقلنا بأن العمل الصالح يعني إتباع كل أوامر القرآن وتجنب كل نواهيه، ولو اقترف المسلم كبيرة كالزنى أو الربا أو قذف المحصنات، أو قتل نفساً، ومات فهو في النار ولو كان يقيم العبادات ويحب الله ورسوله(١).

ولذلك فحب الله ورسوله دون عمل صالح لن يدخل الجنة: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ مريم٦٠.

ومثل الحديث السابق، هذا الحديث:

حدَّثنا عبدُ اللهِ بن مَسلمةَ عن مالكٍ عن سُمَيٍّ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهَ عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال سُبحانَ اللهِ وبحمدهِ في يوم مائةَ مرَّة حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبَدِ البحر»(٢).

ومرتكب المعاصي لن يكفيه ترديد كلمات التسبيح ليغفر له، بل لابد له من اجتناب كل نواهي القرآن، والتي منها: قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ

(١) أنظر على سبيل المثال كتاب العلم ـ معاذ يخالف عهده لرسول الله، والله لا يعني ما يقول في القرآن أحياناً.

(٢) باب فضل التسبيح ـ كتاب الدعوات.

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٥٣﴾ الأنعام

ومثل الأحاديث السابقة هذا الحديث:

حدَّثَنا عليُّ بن عبدِاللَّهِ حدثنا سفيانُ قال: حفظناهُ من أبي الزِّنادِ عن الأعرج «عن أبي هريرةَ رواية قال: للّه تسعة وتسعونَ اسماً ـ مائة إلا واحدة ـ لا يَحفظها أحدٌ إلا دَخَلَ الجنة، وهو وِتْرٌ يحبُّ الوِتر»[1].

وحفظ أسماء الله الحسنى لا ينجي من النار ولا يدخل الجنة، ولكن المنجي من النار هو إتباع كل أوامر القرآن، ومنها: لا تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴿٢٢﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء

(١) باب لله مئة إسم غير واحدة ـ كتاب الدعوات.

رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴿٢٨﴾ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴿٣٠﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً﴿٣١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴿٣٣﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴿٣٥﴾ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴿٣٦﴾ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴿٣٩﴾

ومن الأحاديث التي تشبه الأحاديث السابقة:

حدّثني محمدُ بن أبي بكرٍ المقدَّميُّ حدَّثنا عمرُ بن عليٍّ سمعَ أبا حازم عن سَهلِ بن سعدٍ عن رسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «من يَضمَنْ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ وما بين رجليْه أضمَنْ له الجنَّة»[1].

وعفة اللسان أحد أوامر القرآن، والإبتعاد عن الزنى أمر قرآني آخر، ولكنهما وحدهما لا يكفيان لضمان الجنة، فالدين لايتجزأ، ولابد من إتباع

(١) باب حفظ اللسان ـ كتاب الرقاق.

كل أوامر القرآن واجتناب كل نواهيه لينجو المسلم ويستحق المغفرة من الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾طه٨٢

ومثله

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرَنا مالكٌ عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرةَ رضيَ اللّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمامُ سمعَ اللّهُ لمن حَمدَه فقولوا: اللّهمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ، فإنه مَن وافَقَ قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه»[1].

ومثله

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ مَسْلَمةَ عن مالكٍ عن سُميٍّ مَولى أبي بكرٍ عن أبي صالح عن أبي هريرةَ أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمامُ: ﴿غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالِّين﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافقَ قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن ذنبهِ»[2].

وغيره كثير

* * *

آدم شبيه لله في الصورة

حدَّثنا يحيى بنُ جعفر حدَّثنا عبدُ الرزَّاق عن مَعْمر عن همام عن أبي هريرةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «خَلقَ اللّهُ آدمَ على صورته، طولهُ ستون ذراعاً. فلما خَلقَهُ قال: اذهَبْ فسلِّمْ على أُولئكَ نفَرٍ من الملائكةِ جُلوسٍ، فاستمعْ مايُحيُّونَكَ، فإنها تحيَّتُك وتحية ذرِّيتك. فقال:

(١) باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد ـ كتاب الآذان.
(٢) باب جهر المأموم بالتأمين ـ كتاب الآذان.

السلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورَحمةُ اللّه، فزادوه ورحمة اللّه. فكلُّ من يَدخلُ الجنةَ على صورةِ آدم، فلم يزلِ الخلقُ يَنقصُ بعدُ حتى الآن»[١].

مناقشة النص

مختلق هذا الحديث إما ذو خلفية إسرائيلية، أو أنه متأثر بالإسرائيليات، لأنه اقتبس من كتاب اليهود المقدس عبارة: «خَلقَ اللّهُ آدمَ على صورته» وأصل العبارة: «فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وانثى خلقهم» (التكوين: الإصحاح الأول: ٢٧).

والله تبارك وتعالى لم يخلق آدم على صورته سبحانه، ولا قريب من صورته، لأنه تنزه عن ذلك: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الشورى١١

فكل ما في الإنسان ليس في الله سبحانه شبيه له، وكل ما يخطر على بال الإنسان من صفات أو هيئة فليس لله شبيه لها، لأنه سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ».

وآدم خلقه الله بنفس الطول والهيئة التي نحن عليها الآن، وإن كان هناك إختلاف فهو في لون البشرة، وهو ما تؤيده الحفريات الأثرية التي وجد فيها العلماء هياكل عظمية للإنسان القديم.

والقرآن يذكر أن هناك حديث دار بين الملائكة وآدم، ولكن ليس ما ذكره

(١) باب بدء السلام ـ كتاب الإستئذان.

الحديث، بل هو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة٣١ ـ ٣٣

ولم يكن هناك سلام ورد للسلام، كما جاء في الحديث. وكل ما ذكره القرآن بعد ذلك عن آدم والملائكة هو أمره سبحانه لهم بالسجود له، فسجدوا إلا واحداً سماه الله إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة٣٤

* * *

الأرض تتحول إلى خبزة يوم القيامة

حدَّثنا يحيى بن بُكير حدَّثنا الليثُ عن خالدٍ عن سعيد بن أبي هلال عن زَيد بن أسلمَ عن عطاء بن يسارٍ عن أبي سعيد الخُدري قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يومَ القيامةِ خبزةً واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يَكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة. فأتى رجل منَ اليهود فقال: باركَ الرحمن عليكَ يا أبا القاسم ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزةً واحدةً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظرَ النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثمَّ ضحكَ حتى بَدَت نواجذه، ثم قال: ألَا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونُون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثورٌ ونُون، يأكلُ من زائدةِ كبِدهما سبعونَ ألفاً»[1].

(١) باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ـ كتاب الرقاق.

مناقشة النص

الحديث يقول: «تكون الأرض يومَ القيامةِ خبزةً واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يَكفأ أحدكم خبزته في السفر».

أما القرآن فيقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾إبراهيم٤٨

والحديث يقول أن الأرض ستكون نزل أهل الجنة يوم القيامة، بينما يقول القرآن أن الأرض أو ما هو بحجم الأرض والسماوات لن يكون كاف لإستيعاب الجنة: ﴿. . . ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران١٣٣

والحديث يقول بأن كلام الرسول قال بمثله اليهودي، فهل مختلق الحديث يريدنا أن نشك أن الرسول قد اقتبس كلامه من الإسرائيليات؟

ثم يختم الحديث بإيراد عبارات غامضة عن إدام أهل الجنة: «قال: إدامهم بالام ونُون». ولما سئل عما يقصد، قال: «ثورٌ ونُون، يأكلُ من زائدةِ كبِدهما سبعونَ ألفاً».

بينما يورد القرآن صور حسية لملذات الجنة ليقربها من الذهن، ليس فيها هذه الطلاسم التي ترد في الحديث، ومما ذكره القرآن قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ الواقعة١٥ ـ ٢١

وهذا حديث مشابه:

حدَّثنا مُعلَّى بن أسدٍ حدَّثَنا وُهَيبٌ عن ابن طاوسٍ عن أبيهِ عن أبي

هريرةَ رضيَ اللّه عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «يُحشَرُ الناسُ على ثلاثِ طرائقَ راغبينَ وراهبين، واثنان على بعير وثلاثةٌ على بعير وأربعة على بعير وعشرةٌ على بعير، ويَحشُرُ بقيَّتهمُ النارُ تَقيلُ معهم حيث قالوا وتَبِيتُ معهم حيثُ باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسَوا»[1].

ومختلق الحديث يتخيل أن الناس يحشرون «إثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير».

بينما القرآن يقول: ﴿خشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ. مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ القمر٧ ـ ٨

ويكون الوضع رهيباً، لدرجة: ﴿... تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج٢

ولن يحضر الناس على جمال، كما تصور القاص، الذي لم يتصور وسيلة نقل تقل أكثر من راكب إلا الجمال التي يعرفها.

كما أن الناس لن يحشروا النار معهم «تَقيلُ معهم حيث قالوا وتَبِيتُ معهم حيثُ باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسَوا» كما يقول مختلق الحديث، لأن الناس سيحاسبون أولاً، ثم يدخلون النار أو الجنة، ولكنهم لن يحشروا في النار منذ اللحظة التي يبعثون فيها وقبل الحساب.

❊ ❊ ❊

(١) باب الحشر.

حوض رسول الله

حدَّثَنا سعيد بن أبي مريم حدَّثَنا نافعُ بن عمرَ عنِ ابن أَبي مُليكةَ قال: «قال عبدُاللَّهِ بن عمرٍو قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: حَوضي مَسِيرة شهر، ماؤهُ أبيضُ من اللبن، وريحهُ أطيبُ من المِسك، وكِيزانهُ كنجوم السماء، منَ شَرِبَ منها فلا يَظمأُ أبداً»[١].

ومثله:

حدَّثَنا مسدَّدٌ حدَّثنا يحيى عن عُبيدِ اللَّه حدَّثني نافع عن ابن عمرَ رضي اللَّه عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمامكم حَوضٌ كما بين جَرْباءَ وأذرُحَ»[٢].

ومثله:

حدَّثنا سعيدُ بن عفَير قال: حدَّثني ابنُ وَهب عن يونسَ قال ابن شهاب: حدَّثني أنسُ بن مالكٍ رضيَ اللَّه عنه أن رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «إن قَدْرَ حَوضي كما بين أَيْلة وصنعاء من اليَمن، وإن فيه منَ الأباريق كعدَدِ نجوم السماءِ»[٣].

ومثله:

حدَّثَنا علِّي بن عبد اللَّه حدَّثَنا حَرَميُّ بن عمارةَ حدَّثَنا شعبةُ عن مَعْبَد بن خالد أنه سمعَ حارثةَ بن وهبٍ يقول: «سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وذكرَ الحوض فقال: كما بينَ المدينةِ وصنعاءَ»[٤].

---

(١) باب في الحوض ـ كتاب الحوض.
(٢) الباب السابق.
(٣) الباب السابق.
(٤) الباب السابق.

ومثله:

حدَّثني إبراهيمُ بن المنذِر حدَّثَنا أنسُ بن عِياض عن عُبَيدِ اللَّه عن خُبيبٍ عن حَفص بن عاصم عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه أنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنَّةِ، ومِنبري على حَوضي»[1].

مناقشة النص

هذه الأحاديث وكثير غيرها تتحدث عن أن هناك حوض للرسول يوم القيامة، والحوض هو مجمع الماء الذي تشرب منه الماشية.

فهل للرسول محمد حوض، ولكل رسول حوض يسقي منه أمته؟ أم أنه خاص بالرسول يميزه عن الرسل غيره؟

وهل الحوض يشرب منه الناس قبل الحساب أم بعد الحساب؟

فإن كان قبل الحساب فسيشرب منه كل من ينتسب للإسلام، ولو أن مصيره النار، لأن الناس لن يعلموا بمصائرهم إلا بعد الحساب، وهو مخالف لما تقول به هذه الأحاديث من أن الشرب من الحوض خاص بمن سيدخل الجنة.

وإن كان بعد الحساب، فأهل الجنة سيشربون من الجنة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل٣١

ولن يكون هناك داع لوجود الحوض خا رج الجنة في كل الأحوال،

(١) الباب السابق.

وإن كان الحوض في الجنة فسيشرب منه كل أهل الجنة ومن كل الأمم والعصور، لأن الله يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواقعة١٠ ـ ٢٤.

ولأن هذه الأحاديث مختلقة، فقد إختلفت مساحة الحوض المزعوم. فالحديث الأول يقول إنه مسيرة شهر لراكب البعير، والحديث الثاني يقول إنه بحجم المساحة التي بين «جَرْباءَ وأذرُحَ» وهما قريتين من قرى الشام، وبينهما مسير ثلاثة أيام، كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان.

وبطبيعة الحال هناك فارق كبير بين أن يكون طول الحوض بطول المسافة التي يقطعها الراكب بشهر وبين الحوض الذي يقطعه الراكب بثلاثة أيام.

ويبدوا أن مختلق الحديث الثاني لم يسمع بالحديث الأول، وهو من أهل الشام ولذلك قال إن الحوض كما بين أذرح وجرباء، ولو كان الرسول هو من قاله، فسيذكر أسماءً حول المدينة ومعروفة له ولأصحابه، بدل أن يذكر أسماء قرى شامية لا يعرفها.

ثم جاء مختلق الحديث الثالث الذي لم يسمع عن الحديثين السابقين، وقال إن الحوض «كما بين أَيْلة وصنعاء من اليَمن». وهو ـ كمختلق الحديث الثاني ـ من أهل الشام، لأنه يعرف إيلة، ولما ذكر صنعاء عرفها بأنها في اليمن.

ثم يأتي مختلق الحديث الرابع الذي يبدوا أنه سمع بالحديث الثالث، وقام بتعديله من إيلة لصنعاء، إلى من المدينة وصنعاء، لأنه يعلم أن لو كان الرسول قاله لذكر أماكن معروفة لأهل المدينة، ولأن قاص الحديث، ليس من أهل المدينة ولا الحجاز، فهو لا يعرف تلك الأماكن، ولذلك فضل أن يعدل إيلة إلى المدينة ويبقي على صنعاء.

ويأتي بعد ذلك مختلق الحديث الأخير، الذي قد يكون هو أول من إختلق قصة الحوض، لأنه يقول: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنَّةِ، ومِنبري على حَوضي».

ويكون حوض الرسول في مسجد المدينة وليس في الآخرة، والمنطقة التي لا تتجاوز عدة أمتار الفاصلة بين منبر الرسول وبيته الملحق بالمسجد، روضة من رياض الجنة، بمعناها المجازي، أي أنها تقرب من الجنة.

وبطبيعة الحال الجنة لن تكون إلا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾إبراهيم٤٨

حيث سيفنى هذا الكون بكل مجراته وكواكبه، بما في ذلك الأرض ومسجد رسول الله في المدينة، ثم ينشأ كون جديد لعالم القيامة ستكون فيه النار والجنة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ الزمر٦٨

فالنفخة الأولى لفناء هذا الكون، الذي يسميه القرآن «الصور»، والنفخة الثانية لنشأة كون جدسد ليوم القيامة. ووصف فناء الكون بالنفخ، يصور بدقة كيف تتبعثر الكواكب وينفرط نظامها، فتتهاوى كما الفقاعات الهوائية في الماء بلا ضوابط، كما أن نشأة الكون الجديد شبهت بالنفخ أيضاً، لأن العلم الحديث يخبرنا أن هذا الكون قد نشأ من إنفجار عظيم تطايرت

أجزاؤه كالفقاعات، وهي صورة مشابة للصورة التي سيكون عليها هذا الكون عندما تتهاوى كواكبه.

وهذا ما يقوله القرآن عن النفخة الأولى، أو فناء هذا الكون: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَة. وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الحاقة: ١٣ ـ ١٥)

* * *

الفرج بالفرج

حدَّثنا محمد بن عبد الرحِيم حدثَنا داود بن رُشَيْدٍ حدَّثَنا الوليدُ بن مسلم عن أبي غسان محمد بن مُطرِّف عن زيد بن أسْلَم عن عليٍّ بن حُسَين عن سعيد ابن مرْجانةَ عن أبي هريرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضواً من النار حتَّى فَرجَهُ بِفَرجِهِ»[1].

مناقشة النص

ألا يكفي أن يقال: «من أعتق رقبة مسلمة أعتقه الله من النار»؟

لأن إعتاق المرء من النار إعتاق لكل أعضائه وفرجه الذي أصر مختلق الحديث على ذكره.

وإعتاق الرقبة من أكثر الأعمال الصالحة المطلوبة في الإسلام، على الدوام: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ

(١) باب قوله تعالى أو تحرير رقبة ـ كتاب الأيمان والنذور.

آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ البلد١١ ـ ١٨

وذلك لكي يقضى على العقلية الجاهلية التي جعلت البشر طبقات فوق بعض، والعودة للوضع الذي خلق الله عليه البشر ـ متساوين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء١

وجعل التفاضل بينهم بالتقوى وليس باللون أو العرق أو المنصب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

❊ ❊ ❊

المجلد التاسع

الذنوب تورث

حدّثنا قَبيصةُ حدَّثنا سفيانُ عن الأعمش عن عبد الله بن مُرَّةَ عن مسروق عن عبدِ الله رضيَ الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُقتلُ نفسٌ إلا كان على ابن آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ منها»[(١)].

مناقشة النص

الحديث يقول بأن كل إنسان يقتل آخر يكتب جزء من الذنب على ابن آدم الذي قتل أخيه والذي جاء ذكره في سورة المائدة.

وهذا فيه أخذ له بجريرة غيره، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر١٧

وابن آدم الذي قتل أخيه، عليه ذنب قتل أخيه فقط، وحتى لو افترضنا أنه كان أول من قتل إنساناً، مثله مثل أول من سرق، وأول من زنى، وأول من إرتكب أي معصية أخرى، فلن يكون على أي منهم جزء من الذنب كلما ارتكب إنسان آخر نفس المعصية.

وابن آدم الذي قتل أخيه يخبرنا عنه القرآن، ولاندري هل تاب وقبلت

---

(١) باب قوله تعالى: ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ـ كتاب الديات.

توبته، فمآله إلى الله، وهذا ما تقوله سورة المائدة عن قصته: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة٢٧ ـ ٣١

ولعل مختلق الحديث قد سمع بآية في القرآن، وظنها تعني ما قاله في هذا الحديث، والآية تقول: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ النساء٨٥

ومن الواضح أن الآية تقول إن أي إنسان يبتدع خيراً فله أجره، ومن يبتدع شراً فعليه ذنبه، ولكن الآية لا تقول إن له كفل من الذنب كلما عمل إنسان آخر بما ابتدعه.

* * *

قتل المسلم

حدّثنا عمر بن حفصٍ حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ عن عبدِ الله بن مُرَّةَ عن مسروقٍ عن عبدِ الله قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَحلُّ

دمُ امرىءٍ يَشهدُ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله إلا بإحدى ثلاث: النفسُ بالنفس والثيبُ الزاني، والمفارقُ لدِينه التاركُ للجماعة»[1].

مناقشة النص

الحديث يقول يقتل المسلم إذا ارتكب واحدة من ثلاث:

القتل العمد، الزنى بعد الزواج، والإرتداد عن الإسلام.

والقتل العمد لا نحتاج للحديث لكي يذكرنا بحكمه الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة١٧٨

وجاء في التوراة المنزلة على موسى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة٤٥

أما الزنى سواءاً قبل الزواج أو بعده، فقد جاء حكمه في القرآن واضحاً، بيناً، ولا يحتاج لتأويل: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ الإسراء٣٢

وحرم القرآن الزواج بمن يمتهن الزنى: ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور٣

---

(١) باب قوله تعالى: أن النفس بالنفس والعين بالعين ـ كتاب الديات.

كتأكيد على أنه لا رجم للزاني، وإلا كيف يكون هناك إحتمال للزواج بالزاني أو الزانية.

ومن زنى من ذكر أو أنثى، متزوج كان أم لا، فعليه الحد المذكور في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور٢

وقد بينا أن الرجم والتغريب، ليس من الدين، في كتابنا سنة الأولين[١].

أما المرتد فلا يقام عليه حد القتل ولا يعاقب بأي عقوبة بدنية أخرى كالجلد، وهذا بعض ما يقوله القرآن عمن يرتد عن الإسلام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة٥٤

فالخطاب للصحابة زمن رسول الله عن الردة، ولم يذكر لها حداً، وفي آية أخرى يُذكّر القرآن الصحابة بعاقبة المرتد يوم القيامة، دون ذكر لعقوبة دنيوية: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ البقرة١٠٨

ويتحدث القرآن عن بعض الناس ممن أسلم، ثم عاد وكفر، دون أن يأمر الرسول بقتله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران٨٦

(١) الملاحق ـ فصل الزنى.

ويبين القرآن أن المرتد الذي يصر على الكفر لن تقبل توبته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾ آل عمران٩٠

مثلما أن من يصر على كبيرة لن تقبل توبته، ولو لم يعلن الكفر: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ النساء١٧ ـ ١٨

وكل من ارتد وأصر على الكفر، ومات وهو كافر فهو مخلد في النار: ﴿..... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة٢١٧

ولو كان المرتد يقتل لوجب قتال الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، كما جاء في الحديث التالي: حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ محمدٍ المُسْنَدِيُّ قال: حدَّثَنا أبو رَوح الْحَرَمِيُّ بنُ عُمَارة قال: حدَّثَنا شُعبةُ عن واقِدِ بنِ محمدٍ قال: سَمِعْتُ أَبي يحدِّثُ عنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه»[1].

(١) ورد في سبعة مواضع من كتاب البخاري إحداها كتاب الإيمان ـ باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة.

ولكن هذا مخالف لآيات الجهاد، والتي منها قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة١٩٠

فالقتال لمن يقاتل المسلمين، لأنه يريد القضاء على الإسلام ودولته: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِين﴾ البقرة١٩٣

وإذا كان هناك قتال بين الكفار والمسلمين فيحرم قتل من لا يحمل السلاح ولو كان كافرا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء٩٤

وحتى المقاتلين إذا طلبوا الصلح فيجب وقف القتال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الأنفال٦١

ولذلك عندما فتحت مكة والطائف لم يجبر الناس على الدخول في الإسلام، ولم تقم محاكم تفتيش تلاحق الناس وتدخل بيوتهم، لتتأكد من أنهم لا يخفون الأصنام. وكان للناس الخيار بين اعلان الإسلام، أو البقاء على كفرهم، شريطة ألا يحاربوا الإسلام. وقد بقي كثير من القرشيين وأهل الطائف على كفرهم وماتوا بعد الفتح بسنوات على الكفر[١].

ويكون قتل المرتد لا وجود له في القرآن، الذي وردت فيه آيات تقول بوضوح أن المرتد لا يقتل ما دام لا يحارب الله ورسوله ودينه، أما إذا ارتد

---

(١) وقد أسهبنا في الحديث عن الموضوع في سنة الأولين ـ فصل الجهاد.

المرء عن الإسلام، وبدأ يحيك المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، فيقتل لأنه شاق الله ورسوله، وليس لأنه إرتد: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ الأنفال١٢ ـ ١٤

ونفس الحكم نفذ بحق اليهود: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ. وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر٢ ـ ٤

فالقتال للدفاع عن الدين ودولته، ولا يبدأوه المسلمون ضد الناس، إلا من يحيك المؤامرات ضدهم أو يمنع إنتشار الدعوة، أما من لم يقبل الإسلام، ولكنه لم يحاربه ولم يمنع إنتشاره، فحكمه في كتاب الله، يبينه قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة٢٥٦

* * *

القاتل لا يدفع الدية

حدّثنا أحمدُ بن صالح حدَّثنا ابنُ وَهبٍ حدَّثنا يونسُ عن ابن شهابٍ عن ابن المسيَّبِ وأبي سلمةَ بن عبد الرحمن أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه قال: «اقتَتَلتِ المرأَتانِ من هُذَيلٍ فرمت إحداهما الأُخرى بحجر فقتَلتها وما في بطنها، فاختَصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى أنَّ دِيَةَ جَنينها غُرَّةٌ عبدٌ أو وَليدة، وقضى أنَّ دِيةَ المرأةِ على عاقِلتها»[١].

مناقشة النص

العاقلة: العَصَبة، وهم القرابة من قِبَل الأَب[٢].

والحديث يقول أنه إذا قتل شخصٌ شخصاً آخر، خطأ، فعلى عاقلته، أن يجمعوا عنه الدية التي تسلم لأهل المقتول.

ولا ندري كيف يمكن أن يلزم البريء بدفع دية قتيل قتله غيره، بينما القاتل لا يدفع شيئاً عن جناية إقترفتها يداه؟

أما القرآن، فيقول: ﴿. . . . وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى. . . .﴾ فاطر١٨

فكل إنسان يحاسب على ما اقترفته يداه، في الدنيا وفي الآخرة، وهو ما تؤكده آيات كثيرة، منها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ. ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الحج١٠

---

(١) باب جنين المرأة وأَنَّ العقلَ على الوالد وعَصَبة الوالد لا على الولد ـ كتاب الديات

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب ـ حرف العين.

وقريب من موضوع الحديث السابق، هذا الحديث:

حدّثنا عبدُ الله بن محمدٍ حدثنا هشامٌ أخبرنا معمرٌ عن الزُّهريِّ عن أبي سَلمةَ عن أبي سعيدٍ قال: «بينا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَقسم جاء عبدُ الله بن ذي الخُوَيصرة التميمي فقال: اعدِلْ يارسولَ الله، فقال: ويلك، ومن يَعدِلُ إذا لم أَعدِل؟ قال عمر بن الخطاب: دَعني أَضرب عنُقَه. قال: دَعه فإِنَّ له أَصحاباً يَحقر أحدكم صَلاتَه مع صلاته وصيامَه مع صيامه، يَمرُقون من الدِّين كما يمرق السهم منَ الرميَّة، يُنظر في قُذَذِه فلا يوجدَ فيه شيء ثم يُنظر إِلى نَصله فلا يوجدَ فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظر في نَضيِّه فلا يوجَد فيه شيء، قد سَبقَ الفَرثَ والدمَ. آيتهم رجلٌ إحدى يدَيه ـ أو قال ثدييه ـ مثل ثدي المرأة، أو قال: مثلُ البَضْعة تَدَردَرُ. يخرجون على حين فُرقةٍ من الناس». قال أبو سعيد: أَشهدُ سمعتُ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأَشهدُ أن علياً قَتلَهم وأَنا معه، جِيءَ بالرجل عَلَى النعتِ الذي نعتَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم. قال: فنزلَتْ فيه: ﴿ومنهم من يَلمزُكَ في الصدقات﴾[1].

مناقشة النص

الحديث يقول أن رجلاً قال للرسول: «اعدِلْ يارسولَ الله، فقال: ويلك، ومن يَعدِلُ إذا لم أَعدِل» فهب عمر يطلب من الرسول أن يسمح له بقتله.

والرجل لم يقل شيئاً يوجب القتل، فلماذا يطلب عمر قتله، ولماذا لم يجب الرسول بأن الرجل لم يقل ما يستحق عليه القتل؟

---

(١) باب من تركَ قِتالَ الخوارج للتأَلُّفِ ولئلا يَنفرَ الناسُ عنه ـ كتاب استتابة المرتدين.

الرسول يمنعهم من قتله ولكنه يخبر عنه أموراً في علم الغيب التي لا يعلمها إلا الله، واصفاً إياه بأنه سيمرق وجماعة معه من الدين.

وأن ذلك الرجل هو ممن قتلهم علي ابن أبي طالب في النهروان، عندما تخلوا عن نصرته، بعدما ظنوا أنه لا يحكم كتاب الله بينه وبين معاوية، ولكنه يسعى للحصول على ملك لنفسه. وحتى إعتزالهم لعلي لا يوجب قتالهم، ولكن علياً لاحقهم حتى أدركهم في النهروان.

ويبدوا أن كل الحديث إختلق لكي يصور من تخلى عن علي في حربه ضد معاوية أنهم قد خرجوا عن الدين، ولذلك سموا بالخوارج، مع أنهم من حفظة القرآن، ورغبوا أن يُحكّم علياً القرآن، فجاء وصفهم في هذا الحديث وأحاديث كثيرة، بأنهم من حفظة القرآن، ولكنهم خارجون عن الدين، وليس عن طاعة علي ابن أبي طالب.

* * *

الإنسان يزكي نفسه

حدّثنا عبدُ الله بنُ مَسلمةَ عن مالكٍ عن إِسحقَ بن عبد الله بن أبي طلحةَ عن أَنس بن مالكٍ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «الرُّؤيا الحسنةُ منَ الرجُلِ الصالح جُزءٌ من ستةٍ وأَربعينَ جزءاً منَ النبَّوة»[1].

مناقشة النص

الباب إسمه «باب رؤيا الصالحين» فمن حكم بصلاحهم؟

والله سبحانه وتعالى يقول، إن تزكية البشر تكون من الله فقط، ولا

(١) باب رؤيا الصالحين ـ كتاب التعبير.

يستطيع احد أن يزكي نفسه أو غيره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ النساء٤٩

والصلاح في الإنسان لايمكن قياسه بواسطة غيره من البشر، لأن الإنسان عرضة للخطأ واقتراف المعاصي على الدوام، ولا يمكن تزكية أحد من ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور٢١

فإذا كان القرآن ينفي أن يوصف أحد بالصلاح المطلق وهو حي، فلا يقبل من أحد زعمه أنه رأى رؤيا يمكن أن يشرع بموجبها تشريعاً في دين الله، على إعتبار أنها جزء من ستة أربعين جزءاً من النبوة، كما يزعم مختلق هذا الحديث.

والنبوة لا تجزأ، وإلا فكل من إدعى الصلاح، أو وصفه غيره بالصلاح، وزعم رؤيته لرؤيا، فإن نبوة محمد ستنقص جزءاً، وسيصبح هذا الحالم، شريك للرسول بالنبوة، ولو بنسبة: ٤٦/١.

ودين الله اكتمل ومحمد لازال حياً، ولا يحتاج لأحلام تكمله أو تضيف له ما لم يقل به الرسول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة٣

وهذه بعض الأحلام التي تمتلئ بها كتب الحديث:

حدّثنا إسماعيلُ بن عبد الله حدَّثني أخي عبدُ الحميد عن سليمانَ بن بلال عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبدِ الله عن أبيهِ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت كأنَّ امرأةً سوداء ثائرةَ الرأس خرجَت من المدينة حتى قامت بمَهْيَعةَ وهي الجحفة، فأوَّلتُ أَن وباء المدينة نقلَ إليها»[1].

مناقشة النص

يثرب كانت تغطي بعض أراضيها المستقعات الراكدة، التي يعيش فيها البعوض، ولذلك إشتهرت بالملاريا، منذ القدم، وقد بقيت الملاريا حتى بعد هجرة الرسول للمدينة، لأن المستنقعات لم تجفف. والرسول عليه صلوت الله وسلامه قد يكون توفي بسبب حمى الملاريا، حسب وصف بعض المؤرخين والمحدثين للحمى التي أصيب بها.

ثم لو أن الله جل وعلى أرد أن يطهر المدينة من الملاريا، تكريماً للرسول، فلماذا لم يقض عليها في المدينة دون نقلها لمكان آخر يعرض الآخرين للإصابة بها؟

ولماذا تصور الحمى بالمرأة التي خلقها الله ولم تخلق نفسها، سوداء وثائرة الرأس بسبب تجعد الشعر؟

وقريب من هذا الحديث:

حدّثني محمد بن العَلاء حدَّثنا أبو أُسامة عن بُرَيدٍ عن جدِّه أَبي بُردة عن أَبي موسى أُراهُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «رأيتُ في المنام أَني أُهاجرُ من مكةَ إلى أَرض بها نخلٌ، فذهَبَ وَهَلي إِلى أنها اليمامة أَو

---

(١) باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنه موضعاً آخر.

الهَجَر، فإذا هيَ المدينة يثرِبُ، ورأيتُ فيها بقراً والله خير، فإذا هُم المؤمنونَ يومَ أُحُدٍ، وإذا الخيرُ ما جاء الله به من الخير وثوابِ الصِدق الذي آتانا الله به بعد يوم بدر»[1].

مناقشة النص

الرسول هو من إختار الهجرة للمدينة لأن الأوس والخزرج كانوا قد دخلوا الإسلام وأعلنوا ترحيبهم بضيافته والمسلمين، ونصرة دين الله، وليس لأنه رأى حلماً.

ولماذا يصور المسلمون يوم أحد، بالبقر؟

هل في ذلك تشريف ومدح لهم، أم قدح وإذلال؟

وما هو الخير الذي رآه النائم، كما جاء في النص «والله خير»، دون تحديد لماهيته؟

* * *

تكرار إقتراف الذنوب مدعاة للغفران

حدَّثنا أحمد بن إسحاق حدثنا عَمرو بن عاصم حدثنا هَمام حدثنا إسحاق بن عبد الله سمعتُ عبد الرحمن بن أبي عَمرَة قال: سمعتُ أبا هريرةَ قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ عبداً أصابَ ذنباً ـ وربما قال: أذنب ذنباً ـ فقال ربِّ أَذْنَبْتُ ذنباً ـ وربما قال: أصبت ـ فاغفر فقال ربُّه أعلم عبدي أنَّ لهُ ربًّاً يغفرُ الذَّنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ماشاء اللهُ؛ ثم أصابَ ذنباً ـ أو أذنب ذنباً ـ فقال: رب أذنبتُ ـ أو

(١) باب إذا رأى بقراً ينحر.

أصبتُ ـ آخرَ فاغفرهُ، فقال: أعلم عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ماشاء اللهُ ثم أذنب ذنباً ـ وربما قال أصاب ذنباً ـ فقال: ربِّ أصبتُ ـ أو أذنبتُ ـ آخر فاغفره لي، فقال: أعَلمَ عبدي أن له رَبّاً يغفرُ الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثلاثاً فليعملْ ماشاء»[1].

مناقشة النص

الحديث يقول بأن من اقترف معصية وطلب المغفرة من الله، ثم اقترفها مرة ثانية وثالثة، وفي كل مرة يطلب الغفران، فإن الله ليس فقط يغفر له ما تقدم من ذنبه، بل وما تأخر. وليفعل ويقترف من المعاصي ما يشاء، وسيجد الله عفواً غفوراً.

لكن الله يقول إن التوبة تكون لمن يعمل الذنب بجهالة أو في لحظة ضعف، ويسارع بالتوبة، والصلاح: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل١١٩

ولمن لا يصر على الذنب ولم يكرره: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران١٣٥

أما من يكرر المعصية وهو عالم بتحريمها، فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ النساء١٣٧

❊ ❊ ❊

---

(١) باب قوله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ـ كتاب التوحيد.

القسم الثاني

السلاطين بين الحديث والقرآن

في هذا القسم سنقدم مجموعة من الأحاديث التي تدور حول السلاطين والحكام، ونعرضها على ما يقوله كتاب الله العزيز، للتأكد إن كانت طاعة السلطان من طاعة الله، وأن على المسلم الإنقياد له وإن جلد ظهره وأكل حقه. ذلك أن إنتشار التحديث عن الرسول تم بموافقة الحكام ومباركتهم، لأنها تعينهم على ترسيخ حكمهم، وتسلطهم على الناس، باسم الدين.

مالذي تقوله الأحاديث

حدّثنا مسدَّدٌ عنِ عبد الوارث عنِ الجَعد عن أبي رجاءٍ عنِ ابن عباسٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «من كرِهَ من أميره شيئاً فلْيصبر، فإنه من خَرَجَ من السلطانِ شِبراً ماتَ مِيتةً جاهليةً»[1].

هذا الحديث يقول شيئان، هما: الصبر على أذى السلطان وظلمه، وجهنم لمن يخرج عليه.

فهل طاعة السلطان من الدين؟ وهل الخروج على السلطان خروج على دين الله؟ وهل نقد السلطان نقد لله؟ وهل التذمر من ظلم السلطان كفر بالله يوجب النار؟

ومثله:

حدّثنا مسدَّدٌ حدثَنا يحيى بن سعيد حدثنا الأعمشُ حدَّثنا زيدُ بن وَهْبٍ قال: «سمعتُ عبدَ الله قال: قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنكم سَتَرونَ بعدي أثرةً وأموراً تُنكرونها. قالوا: فما تأمرُنا يا رسولَ الله؟ قال: أَدُّوا إليهم حقّهم، وسَلوا اللَّهَ حقكم»[2].

---

(١) باب قول النبي: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ـ كتاب الفتن.

(٢) باب قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «سَترونَ بعدي أموراً تُنكِرونها» ـ كتاب الفتن.

وهذا الحديث يأمر بأن يؤدي الناس الطاعة للسلطان ويعطوه كل ما يسأل، وألا يسألوه حقوقهم التي إغتصبها، بل يسألوا الله أن يعوضها لهم.

فلماذ لا يسأل الحكام الله من فضله دون إغتصاب لحقوق الناس، ولماذا على الله أن يدفع للناس نيابة عن الحكام؟ ولماذا يسأل الناس حقهم من الله، والحكام هم الذين سرقوه؟

ومثله:

حدّثنا إسماعيلُ حدَّثني ابنُ وَهبٍ عن عمرو عن بُكيرٍ عن بسرِ بن سعيدٍ عن جُنادةَ بن أبي أميةَ قال: «دَخلنا على عُبادةَ بن الصامتِ وهو مريضٌ قلنا: أصلحكَ اللَّه، حَدِّثْ بحديث ينفعكَ اللَّهُ به سمعتَه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: دعانا النبيُّ صلى الله عليه وسلم فبايعناه». «فقال فيما أَخَذَ علينا أن بايَعنا على السمع والطاعة في منشَطِنا ومَكْرَهنا وعُسرِنا ويُسرنا وأَثَرة علينا وأن لا نُنازِعَ الأمرَ أهله، إلاّ أن تَرَوا كفراً بَواحاً عندَكم من اللَّهِ فيه بُرهان»[1].

وهذا الحديث يطلب من الناس أن يبايعوا السلطان على السمع والطاعة في منشَطِهم ومَكْرَههم وعُسرهم ويُسرهم وأَثَرته عليهم، فلا ينتقدوه في أي فعل أو قول أو تصرف.

وأن لا ينازعوا الحكام في الحكم، لأنهم أهله، إلا في حالة واحدة، وهي أن يروا منهم كفراً بواحاً يخالف برهاناً قاطعاً من القرآن، وحتى لو حدث ذلك فليس لهم حق الخروج عليه بل مناصحته فقط، كما ورد في أحاديث أخرى لن نتطرق لها حتى لا يطول النقاش، أكثر مما هو عليه الآن.

---

(١) نفس الباب السابق.

مناقشة النصوص

الأحاديث السابقة تطلب من الناس أن يؤدوا للحكام حقهم، أي كل ما يطلبونه منهم، والسمع والطاعة لهم، بمعنى الإذعان لهم، وعدم الخروج عليهم أو إنتقاد سياساتهم، أو المطالبة بحقوقهم إذا اغتصبوها.

وعليهم أن يصبروا على أذاهم، وليسألوا الله أن يرزقهم ـ بدل حقوقهم وأموالهم المغتصبة ـ من عنده.

وهذا له دلالة قبيحة في حق الله والرسول، منها:

أن الرسول يقول شيئاً اليوم ويقول بخلافه غداً، فهو يقول: «مَن ظَلَمَ مِنَ الأرضِ شيئاً طُوِّقَهُ مِن سبعِ أرَضينَ»، حسبما جاء في الحديث الذي رواه أبو اليمان عن شعيب عنِ الزُّهريِّ قال: حدَّثَني طَلحةُ بنُ عبدِ اللهِ أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عمرِو بنِ سَهلٍ أخبرَهُ أنَّ سعيدَ بنَ زيدٍ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ[1]:

والرسول يقول: «الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ». حسبما جاء في الحديث عن أحمدُ بنُ يونُسَ حدَّثَنا عبدُ العزيزِ الماجِشونُ أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ دينارٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم[2].

ومن ثم يساعد الحكام على الظلم، بطلبه من الناس أن يرضوا بظلم الحكام لهم.

والرسول يقول: «مَن قُتِلَ دُونَ مالِه فهو شَهيد»، حسبما جاء في

(١) باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ـ كتاب المظالم ـ المجلد الثالث.
(٢) باب الظلم ظلمات يوم القيامة ـ كتاب المظلم ـ المجلد الثالث.

الحديث عن عبدُ اللهِ بنُ يزيدَ حدّثَنا سعيدٌ ـ هو ابنُ أبي أيوبَ ـ قال: حدّثَني أبو الأسودِ عن عِكرِمةَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهما[1].

ثم يطلب من الناس أن يستكينوا ويحرم عليهم حتى الإعتراض على استيلاء الحكام على أموالهم.

فهل يريد منا المحدثون أن نصدق أن رسول الله كان يقول شيئاً ويأمر بضده؟

أم أن هذه الأحاديث مكذوبة على الرسول، وقيلت في مناسبات مختلفة، وبالتالي فلا حاجة لنا بها، وعلينا تدبر كتاب الله والتعرف على ما يقول سبحانه.

الله يكافئ الحاكم ولو أخطأ

بناءاً على ما جاء في الأحاديث، فإن الله لم يكتف بتحريم معارضة الحاكم ونقده ونهى عن المطالبة بالحقوق التي اغتصبها، وأمر بالصبر على ظلمه، بل كافأه على كل عمل وتصرف وقول يصدر منه، فإن أصاب فله أجران، بينما يعطى الناس أجر واحد، وإن أخطأ فله أجر، في الوقت الذي يكتب على المخطئ من الناس ذنب المعصية، وهذا تبرير ودافع للحكام بالظلم وأكل الحقوق. ومن هذه الأحاديث:

حدَّثَنا عبدُ اللَّه بن يزيدَ المقري المكيّ حدَّثَنا حَيْوَةُ بن شُرَيحٍ. حدَّثني يزيدُ بن عبد اللَّه بن الهاد عن محمد بن إبراهيمَ بن الحارث عن بُسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمعَ

(١) باب من قاتل دون ماله ـ كتاب المظالم ـ المجلد الثالث.

رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهدَ ثم أصابَ فله أجران، وإذا حكمَ فاجتهدَ ثم أخطأ فله أجر». قال: فحدَّثت بهذا الحديث أبا بكرِ بن عمرو بن حَزْم فقال: هكذا حدَّثني أبو سلمة بن عبدِ الرحمن عن أبي هريرةَ. وقال عبد العزيز بن المطلب عن عبدِ اللَّه بن أبي بكر عن أبي سلمةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم مثلَه[1].

فالحكام عند أهل الحديث، لهم منزلة خاصة عند الله ليست لسواهم من البشر، بينما ينفي الله ذلك في كتابه الكريم:

فكل إنسان يقترف إثماً يكتب عليه، ومن يعمل صالحاً يضاعف له الأجر: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام١٦٠

وكل من يسن سنة سيئة أو يأمر بها فعليه إثمها: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ النساء٨٥

وكل من يكسب السيئات ويظلم فسيعاقبه الله بما يستحق: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة٨١

الله ينحاز لقريش

ولكي يستكين الناس ظهرت أحاديث تنص على أن حكام المسلمين يجب أن يكونوا من قريش فقط:

---

(١) باب أجر الحاكم إذا اصاب أو أخطأ.

حدَّثنا أحمدُ بن يونسَ حدَّثنا عاصمُ بن محمد سمعتُ أبي يقول: قال ابنُ عمرَ: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لا يزالُ هذا الأمرُ في قريش ما بقيَ منهمُ اثنان».

وأول من قال الأئمة من قريش هو معاوية، ثم تناقله الناس بروايات مختلفة، وهذا هو أصل الحديث:

حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جُبَير بن مطعم يُحدِّثُ أنه «بلغ معاويةَ ـ وهم عندهُ في وَفدٍ من قريش ـ أنَّ عبدَ اللهَ بن عمرٍو يحدث أنه سيكون مَلك من قحطانَ، فغضبَ فقام فأثنى على اللهِ بما هوَ أهلهُ ثم قال: أما بعدُ فإنه بلَغني أنَّ رجالاً منكم يُحدثونَ أحاديثَ ليست في كتاب اللهَ، ولا تؤثُر عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأُولئكَ جُهالكم، فإياكم والأمانيَّ التي تُضلُّ أهلَها، فإني سمعتُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ هذا الأمرَ في قريش لايعادِيهم أحدٌ إلا كبَّهُ اللهُ في النار على وَجههِ ماأقاموا الدين»[1].

ومعاوية قال ذلك، إن ثبت عنه، من عند نفسه، فلم يحدثه الرسول بهذا، وهو الذي لم يدخل تحت حكم دولة الإسلام، إلا يوم الفتح، كواحد من طلقاء قريش الذين تلفظوا بالشهادة بعد أن لم يكن لهم خيار آخر، سوى قبول الدخول في حمى دولة الإسلام، وفقدانهم القدرة على المقاومة، فهم استسلموا لقوة دولة الإسلام، أما قناعتهم بدين الإسلام فموضوع آخر، لا يعلمه إلا الله. ولكنه لم يكن دافعهم للتلفظ بالشهادة، يوم الفتح، وإلا لدخلوا الإسلام خلال العشرين سنة التي سبقت الفتح،

(١) باب الأمراء من قريش ـ كتاب الأحكام.

والتي واضب الرسول خلالها على دعوتهم لطاعته، ولكنهم أصموا آذانهم عن الحق، وكانت قريش ألد أعداء الإسلام.

فكيف يختارها الله لتحكم دولة الإسلام؟

ومعاوية لم يهاجر للمدينة، إذ لا هجرة بعد الفتح، ولم يخالط الرسول بما يكفي ليسمع منه. ثم إن الرسول لو كان قال بهذا الحديث، لقاله لإبي بكر أو عبدالرحمن ابن عوف أو سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل أو صحابته المقربين الذين صدقوه منذ البداية وبقوا معه حتى توفاه الله، وتمكن الإيمان من قلوبهم، ولماذا يخص به أحد الطلقاء، الذين لم يروه إلا كلمح البصر، والذي كان سيحمل لواء الحرب في قريش، وواحد من أهم مناصب الزعامة في قريش، بعد موت والده، لو لم يأت الإسلام ويقوض سلطة قريش.

وبعد أن تناقل الناس واستكانوا لتلك الأحاديث جاءت أحاديث تقول: حدَّثنا مسدَّد حدَّثَنا يحيى بن سعيد عن شعبةَ عن أبي التيّاح عن أَنس بن مالك رضيَ اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإنِ استعملَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنَّ رأسه زَبيبة»[1].

وإذا نظرنا للأحاديث التي تقول السلطان من قريش عرفنا أن هذا الحديث جاء لتبرير خروج بعض الولاة في الأقاليم البعيدة عن سلطة الخليفة، فهو يقول لايهم من يصل للحكم، ولكن المهم هو طاعته كائناً من كان.

ثم أسبل المحدثون على الحكام نعمة أخرى، عندما جعلوا الظلم وأكل

(١) باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ـ كتاب الأحكام.

الحقوق من سياسات البطانة التي حول الحاكم، وكل خير فهو تكرم من الحكام:

حدَّثنا أَصْبَغُ أخبرَنا ابنُ وَهب أخبَرني يونُسُ عن ابن شهابٍ عن أبي سَلمة عن أبي سعيدٍ الخدرِيّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما بَعثَ اللَّه من نبيٍّ ولا استخلَفَ من خَليفةٍ إلا كانت له بطانَتان: بِطانةٌ تأمرُهُ بالمعروف وتحضهُ عليه، وبطانةٌ تأمرُهُ بالشرِّ وتحضُّهُ عليه، فالمعصومُ من عَصَمَ اللَّه تعالى»(١).

وكأن الحاكم لا يعلم عما يفعله العاملون تحت إمرته، ولم يعينهم هو لذلك؟

أدلة رجال الدين من القرآن

كل ما سبق وذكرناه، يعلمه المحدثون، ويعلمه غيرهم من رجال الدين الذين ينتفعون من السلاطين، ولذلك يحاولون الإستدلال بآيات قرآنية على وجوب طاعة الحكام وعدم الإعتراض عليهم، وهو إستدلال مغلوط، لأنه يؤول الآيات لغير معناها، وهذه هي الآيات وما تدل عليه:

يقول تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران٢٦

فهم يستدلون بها على أن الله سبحانه يختار لتولي السلطة من يشاء من عباده.

(١) باب بطانة الإمام وأهل مشورته ـ كتاب الأحكام.

وهذه الآية لا تتحدث عن ملك دولة وشعب، لأن معنى الملك هنا هو نفس معنى الملك الذي أعطي إبراهيم وذريته في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ. . . . . . (البقرة:٢٥٨)

وهو نفس الملك الذي ورد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء: ٥٤)

فالملك يعني النبوة، لأن ابراهيم وأبناءه لم يكونوا حكاماً بل أنبياءاً ورسل.

ويستدلون بأن الحكام قد ذكرهم الله بكتابه وأمر بطاعتهم، بل وجعل طاعتهم طاعة لله، وعصيانهم عصيان لله، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ٨٣)

وإصطلاح «أولي الأمر» الذي لا مفرد له في لغة الضاد، لا يعني الحكام ولا رجال الدين كما يتوهم البعض، وإنما يعني أهل الدراية والإختصاص في الأمور المدنية. وقد ورد في القرآن في الآية الأولى لمخاطبة الصحابة زمن رسول الله عندما لم يكن هناك حكام، وفي أمور دون أمور تصريف الدولة ولم يأت ذكر لها في القرآن الكريم، وكانت حول إدارة المعارك وتنظيم الجيش ومواجهة العدو.

والآية الثانية التي ورد فيها مصطلح «أولي الأمر» هي الآية رقم ٨٣ من نفس السورة، وبنفس المعنى الذي تحدثت عنه الآية السابقة، ولذلك فمشاورة أولي الأمر تعني الرجوع لأولي الرأي والمشورة والخبرة، أي

أهل الإختصاص والمعرفة، ويمكن أن يقاس على ذلك سن الأنظمة المدنية في الإدارات والهيئات المحلية، ولكنها لا تعني الحكام الذين سيأتون بعد عصر الرسول.

أما الإصطلاح السائد حالياً وهو «ولاة الأمر» فمفرده ولي الأمر، ويمكن لأي أحد أن يكون ولياً لأي أمر يتحكم فيه، وهذا الإصطلاح لا علاقة له بالإصطلاح الذي ورد في القرآن وهو «أولي الأمر» لا من قريب ولا من بعيد[١].

موقف القرآن من ظلم الناس

يقول تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران١٠٨

فإذا كان الله جل وعلى لا يريد ولا يقر ظلم عباده، فكيف نصدق أن يرضى لعباده أن يسومهم الحكام سوء العذاب ويطلب منهم الصبر على الظلم؟

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ النساء١٠

فكيف يتوعد الله جل وعلى من ظلم يتيماً واحداً بالنار ويرضى أن يظلم الحاكم أمة بكاملها؟

ولذلك فهو سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ

(١) الفقرة السابقة اقتبسناها من الباب الثامن ـ دولة الإسلام في كتابنا سنة الأولين.

بِكُمْ رَحِيماً. وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرا﴾ النساء٢٩ ـ ٣٠

فالنار مثوى من يظلم الناس، ويأكل حقوقهم.

وقد توعد القرآن كل من يساعد الحكام على ظلم الناس: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة١٨٨

والقرآن حذر الرسول صلوات الله عليه ومن آمن معه من الظلم والطغيان: ﴿فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ١١٣﴾ هود١١٢ ـ ١١٣

لأن من أهم صفات المؤمن البعد عن الظلم: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام٨٢

ومن يظلم فلن يدخل الجنة، ولو كان من أصحاب محمد ونطق بالشهادتين وأدى الواجبات الدينية، كما جاء في هذا الآية التي تخاطب الصحابة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ الفرقان١٩

بل لو كان الظالم داوود، أحد أنبياء الله، لدخل النار إن لم يتب: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ ص٢٤

ولن يقبل من الظالم إعتذار يوم القيامة: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر٤٧

فالظلم ليس مقبولاً من أحد، ولو بنزر يسير لايزيد عن ظلم نعجة من تسعة وتسعين، وليس في القرآن الكريم آية واحدة، تطلب من الناس أن يصبروا على الظالم.

وهذا ما يقوله القرآن عن وجوب دفع الظلم:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء٢٢٧

وكان من أهم أسباب فرض الجهاد دفع الظلم الذي وقع على المسلمين، عندما أخرجهم كفار قريش من ديارهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج٣٩

وأكل أموال الناس وهظم حقوقهم ظلم مشابه أو أشد، من الظلم الذي تعرض له الرسول وأصحابه من قريش

وهذه آيات تلخص أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرء ليكتب من المتقين، ومنها إنتصاره على من ظلمه وعدم الإستكانة للظالم، يقول تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ. وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ. وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ. إِنَّمَا

السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى٣٦ ـ ٤٢

وظلم الناس مخالف لقوانين إلهية نزل بها القرآن ومن ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

فكيف يخلق الله الناس متساوين، ويجعل المفاضلة بينهم بالتقوى ثم يجعل منهم حكاماً لهم ميزات إجتماعية وتفاضل على الناس؟

ويقول تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ السجدة٧ ـ ٩

فكل الناس خلقوا من نفس التركيبات التي يتكون منها تراب الأرض، وكلهم خلقوا بواسطة ماء مهين، وكلهم شرفهم الله بأن نفخ في كل واحد منهم من روحه سبحانه. وكل إهانة لبشر، فهي إهانة لله سبحانه وتعالى، لأن روح ذلك البشر أوجدها الخالق، ولذلك حرم التميز بين الناس أو أن يطغى أحد على أحد.

ويقول سبحانه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون٨

ولو ظلم المسلم وسلبت حقوقه وأهينت كرامته فقد فقد العزة التي كفلها الله له.

البيعة في القرآن

وردت البيعة في القرآن بهذه الصور:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الممتحنة١٢

وهي تبين كيف بايع الرسول المؤمنات على القيام بالواجبات الدينية المطلوبة من المسلمين، ولم يكن هناك سمع وطاعة للرسول كحاكم، فهو تعهد منهن لله بحضرة الرسول على الوفاء بحقوق الله، وقبول للرسول بهذا التعهد.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ الفتح١٨

والذي حدث هو تعهد المسلمين بالصبر على قتال كفار قريش لو حدث ووقع بينهم قتال يوم الحديبية، فهو مبايعة على نصرة دين الله، وليس على طاعة محمد كحاكم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح١٠

وهو ما تتحدث عنه الآية التالية: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة١١١

فقد كانت على شكل بيع وشراء بين الله والمجاهدين، ويكون المسلمون قد باعوا أنفسهم في سبيل الله، والله إشترى أنفسهم بالجنة.

ولم يرد في القرآن لفظ بيعة أو مبايعة على الإطلاق، ولم يرد في القرآن أي مبايعة من الناس للرسول على الحكم، ولا على طاعته كحاكم.

ولم يرد في القرآن أن الرسول لو أخطأ فله أجر ولو أصاب فله أجران، أو أن خطأه يتحمله الناس الذين اتخذهم بطانة، بل إن القرآن يقول إن مسئولية تبليغ الرسالة تقع عليك وحدك يا محمد، وتوعد الرسول أن يستمع لغيره من الناس: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾بني إسرائيل: ٧٣ ـ ٧٥

وحمّل القرآن محمداً أكثر من ذلك، فقد جاء التوبيخ له صلوات الله وسلامه عليه لأنه عبس وجهه وأعرض عن الأعمى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءهُ الْأَعْمَى. . . .﴾

لأنه بمجرد أن يكون المرء مسلماً، يوجب الله له العزة، ويحفظ له الكرامة والحقوق ويعامل بكل إحترام وتقدير: ﴿إِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤)

ومع كل ما تلقاه الرسول من توبيخ إلهي على عدم مقابلته لرجل مقابلة تليق به كمسلم، إلا أن الطبع الإنساني تغلب على الرسول فتصرف مرة أخرى بتصرف فيه غلظة أكثر مما بدر منه تجاه الرجل الأعمى، حيث قام بطرد رجل مسلم: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢)

فجاءه التوبيخ السماوي يبين له بكل وضوح أن الإسلام ليس ملكاً لمحمد، وأن محمداً يجب عليه أن يقابل كل فرد مسلم بما يليق به من حسن استقبال وبشاشة، ليس تفضلاً ومجاملة، ولكنه واجب ديني، إن لم يؤده فسيعاقبه الله عليه. هذا وهو رسول الله، ومؤسس دولة الإسلام.

فكيف يعطي الله للحكام والسلاطين، الحق المطلق بظلم الناس، وهظم حقوقهم، وأكل أموالهم، ويحرم على الناس حق الإعتراض أو النقد، ويكافئ مصيبهم بأجرين ومخطئهم بأجر، مع قلة البار منهم، وغالبية الفاجر.

الرسول والمستقبل

والرسول بطبيعة الحال بشر لايعلم الغيب ولا يعلم ماذا سيحل بأمته بعده، أوأن هناك سلاطيناً ستحكمهم بالسوط والنار: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف٩

وإن كان القرآن قد ذكر الملوك والحكام بشيئ فقد ذكرهم بالويل والثبور، وعظائم الأمور، فوصف الملوك بوصف ينطبق عليهم في كل العصور: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل٣٤

ووصف الحكام بالظلم، وتوعد من يساعدهم: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم

بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة١٨٨

هذا ما يقوله القرآن عن الحكام والسلاطين، وهو على طرف نقيض مع ما يقوله الحديث عنهم، فمن شاء فليتبع كلام الله، ومن شاء فليستمع للبشر: «﴿. . . . . وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الأنعام١٦٤

القسم الثالث

الرسول في كتب الأحاديث

لقد رسمت الأحاديث صوراً لتصرفات الرسول وصفاته وأقواله وتشريعاته تختلف عما تحدث به القرآن عنه، وما كان عليه فعلاً. ولو أن قارئاً ـ غير مسلم ـ رغب في التعرف على دين الإسلام من خلال ما تقوله كتب الحديث، فسيخرج بتصور عن الرسول على أنه يفسد في الأرض بحرق المزروعات والنخيل، ويعذب ويحرق الناس أحياءاً، ويمثل بهم. ولا يعدل، وينهى عن الشيء ويأتي مثله، ويقول شيئاً ويعمل أو يقول بخلافه. ويتعصب لقبيلته، ويحابي أقربائه. ولا يفهم بعض معاني الآيات، ويصلي بدون وضوء، ولا يهتم بقضاء صلاة الفجر، ويغتصب ماء الوضوء. ويباشر زوجاته وهو صائم، ويرفث في الحج. ويبارك سبي النساء ويفعله بنفسه. ويؤمن بالخرافات، ويتشاءم. ويخفي بعض ما يوحى إليه، أو يعمل بخلافه أحياناً. كما أنه يستقي بعض معلوماته التي يبني عليها الدين من اليهود والمسيحيين، ومن العادات الجاهلية، ومن عند نفسه. وغير ذلك الكثير.

وفي هذا القسم سنتعرض لبعض تلك الأحاديث، لنبين أنه لا صلة لها بالرسول ولم تصدرعنه، وعملنا هذا إثبات لصدق دعوته صلوات الله عليه، التي يمثلها القرآن ـ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وتنزيه لها من هذه القصص والأساطير.

من أخلاقه

عصبي المزاج

حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ قال: حدَّثنا أبو أُسامَةَ عن بُرَيدٍ عن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى قال: «سُئلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن أشياءَ كِرهَها، فلمَّا أُكثِر عليهِ غَضِبَ ثمَّ قال للناسِ: سَلُوني عمّا شِئْتُم، قال رَجُلٌ: مَن أبي؟ قال: أبوكَ حُذافَةُ. فقام آخرُ فقال: مَن أبي يا رسول اللهِ؟ فقال: أبوكَ سالمٌ مولى شَيْبةَ. فلمّا رأى عُمرُ ما في وَجههِ قال: يا رسول اللهِ إنَا نَتُوبُ إلى اللهِ عَزَّوَجلَّ[1].

وفي رواية أخرى، جاءت في باب «ما يكرَهُ من كثرةِ السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه»:

حدَّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شعيب عنِ الزُّهريِّ ح. وحدَّثني محمودٌ حدَّثنا عبد الرزاق أخبرَنا معْمرٌ عن الزُّهريِّ أخبرَني أنس بن مالكٍ رضيَ اللهَ عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم «خرجَ حينَ زاغتِ الشمسُ فصلى الظهرَ، فلما سلم قام على المنبرِ فذكرَ الساعةَ وذكر أن بين يدَيها أُموراً عظاماً، ثم قال: من أحبَّ أن يَسألَ عن شيءٍ فلْيَسأل عنه، فواللهَّ لاتسالوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم به مادمتُ في مقامي هذا. قال أنسٌ فأكثرَ الناسُ البكاءَ، وأكثرَ

---

(١) باب الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره.

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: سَلوني. فقال أنسٌ: فقام إليه رجلٌ فقال: أينَ مدخلي يا رسولَ اللهَ؟ قال: النارُ. فقام عبدُ اللهَ بن حذافةَ فقال: من أبي يا رسولَ الله؟ قال: أبوك حذافة. قال: ثم أكثرَ أن يقول: سلوني سلوني. فبرَكَ عمرُ على ركبتيهِ فقال: رَضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً. قال: فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ قال عمرُ ذلك. ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أولى! والذي نفسي بيده لقد عُرِضَتْ عليَّ الجنة والنارُ آنفاً في عرضِ هذا الحائط وأنا أُصلي، فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ».

وفي رواية أخرى وردت في «باب التعوذ من الفتن»:

حدَّثنا مُعاذ بن فَضالةَ حدَّثَنا هِشامٌ عن قتادةَ عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «سَأَلوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى أحفَوْه بالمسألة، فصَعِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم المنبرَ فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بَيَّنتُ لكم، فجعلتُ أنظرُ يميناً وشمالاً فإذا كلُّ رجلٍ رأسُهُ في ثوبه يَبكي، فأنشأ رجلٌ كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبيَّ اللَّه، من أبي؟ فقال: أبوكَ حُذافة. . . . إلى آخر الحديث.

مناقشة النص

يزعم الحديث أن الرسول طلب من الناس أن يسألوه، وعندما بدأوا بسؤاله تملكه الغضب «فلمَّا أُكِثَر عليهِ غَضِبَ» وقال وهو في حاله العصبية تلك: «سَلُوني عمّا شِئْتُم»، فسأله رجل: «أينَ مدخلي يا رسولَ اللهَ؟» فكان جواب الرسول: «النارُ»

فهل كان جوابه يعكس حالة غضبه؟ وهل يملك الرسول الحق في الحكم على الناس بجنة أو نار؟

في الوقت الذي يتلوا الرسول على الناس القرآن الكريم الذي ينص على أن الحكم على الناس بالجنة أو النار حق لله تعالى وحده، لا يملكه ولا يعرفه الرسول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٨)

وكيف يستطيع الرسول الإجابة عن سؤال لم ينزل به الوحي؟

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩)

وفي مواقف معينة نزل الوحي على الرسول يبلغه عن بعض المنتسبين للإسلام بأنهم لم يؤمنوا، ومن هؤلاء نفر سمح لهم الرسول بالتخلف عن غزوة تبوك ظناً منه أن الأعذار التي قدموها صحيحة، ولم يكن الرسول يعلم ما تخفي صدورهم، يقول تعالى: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: ٤٣ ـ ٥٤) وحتى قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ. وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٣ ـ ٨٤)

أما الرجل الذي سأل الرسول في الحديث عن مكانه يوم القيامة، فلم ينزل به آية تبلغ الرسول بمصيره يوم القيامة، فكيف جزم الرسول بكفره؟

ويزعم الحديث أعظم من ذلك، حيث يقول: «فأنشأ رجلٌ كان إذا لاحى[1] يُدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبيَّ اللَّه، من أبي؟ فقال: أبوكَ حُذافة».

فالرسول حسب زعم هذا الحديث أكد الإشاعة التي تحوم حول الرجل في أنه ابن زنا، بل وذكر إسم الرجل الذي زنا بأمه، واسمه حذافة.

وفعل نفس الشيئ مع رجل آخر لم تكن الشكوك تحوم حول صحة نسبه، ولكن الرسول فضح أمر أمه وأكد للرجل أنه ولد زنا من رجل إسمه «سالمٌ مولى شَيْبةَ».

وهذا فحش من القول، والرسول بعيد عن الفحش الذي نهى عنه القرآن: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)

كما أنها قذف بلا بينة.

فكيف يقترف الرسول إثم القذف، وهو يتلوا على الناس قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤)

ولكن صدق الله العظيم في وصف رسوله الكريم، وتبرئته مما تنعته به كتب الحديث: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

* * *

يبطن ما لا يظهر

حدّثنا قُتيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا سفيانُ عن ابن المنكدِر حدَّثه عن عروة بن

---

(١) أي إذا تخاصم مع غيره.

الزُّبير أن عائشة أخبرَته «أنه استأذَنَ على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال: ائذَنوا له، فبئسَ ابن العَشِيرة ـ أو بئسَ أخو العشيرة ـ فلما دخلَ ألانَ له الكلام. فقلتُ له: يارسولَ الله، قلتَ ما قلتَ، ثم ألنتَ له في القول. فقال: أي عائشة، إن شر الناسِ مَنزِلةً عندَ الله من ترَكهُ ـ أو وَدَعه ـ الناسُ اتِّقاءَ فُحشِه»[1].

مناقشة النص

الحديث يتكلم عن الرسول الذي وصفه القرآن قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم٤

والرسول الذي يتلوا على الناس قوله تعالى: ﴿. . . . . وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة٢٣٥

والرسول الذي يعلم أن المنافق هو ما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

والرسول الذي يعلم أن من يقول ما لا يفعل هو من تنزل عليه الشياطين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ. وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ الشعراء٢٢١ ـ ٢٢٦

فكيف يُطلب منا أن نتبنى الصورة التي يريد مختلق الحديث أن يرسمها لرسول الله؟

---

(١) باب المداراة مع الناس.

ونترك صورة محمد في القرآن الكريم والتي تخبرنا أنه عليه الصلاة والسلام عندما كان في بداية الدعوة، ومحاط بألد أعدائه من قريش، والقادرين على الإضرار به، ولم يكن حوله من الأنصار ما يكفي لحمايته، لم يتردد في أن يقف أمام أبو لهب ويقرأ عليه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

فكيف يخشى رجلاً وحيداً وهو وسط أنصاره، كما يزعم الحديث؟

وكيف يقول عن الرجل: «بئسَ أخو العشيرة»، فلما دخلَ ألانَ له الكلام؟

إلا إذا كان مختلق الحديث يرنوا لتقريب صورة التقية من النفوس، وأنها تقليد لما كان يفعله الرسول صلوات الله عليه.

* * *

إفساد في الأرض

حدّثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرَنا سفيانُ عن موسى بنِ عقبةَ عن نافعٍ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «حَرَّق النبيُّ صلى الله عليه وسلم نخلَ بني النَّضير»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث ينقل صورة قبيحة عن رسول الله باختصار، لكن كتب السير توسعت في نقل هذه الصورة، وفيما يلي وصف لما حدث بين بني

(١) باب حرق الدور والنخيل ـ كتاب الجهاد والسير.

النضير والمسلمين بقلم ابن هشام كما ورد في سيرته، يقول: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتلا عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما. ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم. فانتدب اليهود أحدهم ليلقي حجراً على الرسول من فوق الجدار الذي كان يستند عليه.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء؛ بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم. فحاصرهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهي عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها. وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أَّن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة. ففعل[1].

ولنن نناقش مصداقية سبب حصار المسلمين لهم، والذي يزعم ابن هشام أنه جاء بسبب محاولتهم إسقاط حجر على الرسول، لكننا سنتعرض لحرق الرسول للنخيل.

فالخبر يقول أن اليهود قد تحصنوا في قلاعهم بينما النخيل تقع خارج القلاع، ولن يستفيد منها اليهود، ولذلك فلا داعي لأن تحرق، خاصة أن

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص ١٠٨.

الرسول عازم على إجلاء بني النضير أسوة ببني قينقاع الذين أجلاهم قبل ذلك وغنم المسلمون نخيلهم من بعدهم.

فكيف يحرق الرسول النخيل، حتى ولو لم تكن ستعود للمسلمين بعد إجلاء أصحابها؟

والحرق نوع من الإفساد في الأرض، لدرجة أن اليهود المحاصرين ذكروا الرسول بذلك: «فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهي عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها».

وهل يعقل أن يجرؤ الرسول على الإفساد في الأرض وقد نزل عليه القرآن يحذر الناس من الفساد وإهلاك الحرث والزرع: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦

* * *

يعذب ويحرق ويصلب

حدّثنا مُعلَّى بنُ أسَدٍ حدَّثَنا وُهَيبٌ عن أيوبَ عن أبي قِلابةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رَهْطاً مِن عُكلٍ ثمانيةً قدِموا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فاجْتَوَوُا المدينة، فقالوا: يا رسول اللهِ أبغِنا رِسْلاً، قال: ما أجِدُ لكم إلا أن تَلحَقوا بالذَّودَ، فانَطلَقوا فشربوا من أبوالِها وألبانها حتى صَحُّوا وسَمِنوا، وقَتَلوا الرَّاعيَ واستاقوا الذَّودَ، وكفَروا بعدَ إسلامِهم. فأتى الصريخُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فبعَثَ الطلب، فما تَرَجَّلَ النهارُ

حتى أُتيَ بهم فقطعَ أيديهم وأرجُلَهم، ثم أمرَ بمسامِيرَ فأَحميَتْ فكَحَلَهم بها وطرَحهم بالحرَّة يَسْتَسقون فما يُسقَونَ حتى ماتوا»[١].

مناقشة النص

يقول الحديث أن الرسول قد حرق ومثل برهط عكل المذكورين، ولو سلمنا بهذا فإننا نقول بأن الرسول يُصَيّر أحكام الشرع بناءاً على رغباته الشخصية. فهو مثل بمن سرق إبله وقتل راعيه، دون أن يستند في حكمه على حكم قرآني، لأن القرآن يخلوا من أي حكم على البشر بالحرق والتكحيل والتمثيل لمن يقتل الراعي. في الوقت الذي يورد المحدثون أحاديث تنسب للرسول نهيه الحرق بالنار، ومنها:

حدّثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ حدَّثنا الليثُ عن بُكيرٍ عن سليمانَ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنهُ قال: «بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بعثٍ فقال: إن وجَدْتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار. ثمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ أردْنا الخروجَ: إني أمَرتُكم أن تُحرقوا فلاناً وفلاناً، وإنَّ النارَ لا يُعذِّبُ بها إلا اللهُ، فإن وجَدْتموهما فاقتُلوهما»[٢].

ليأتي بعد ذلك المفسرون ويضيفوا أن الآية (٣٣) من سورة المائدة نزلت بعد تلك الحادثة على الرسول كموافقة من الله على ما فعله رسوله برهط عكل. وهذا نص الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة٣٣

(١) باب لا يعذب بعذاب الله ـ كتاب الجهاد والسير.
(٢) باب لا يعذب بعذاب الله ـ كتاب الجهاد والسير.

ورهط عكل إن كانوا قتلوا راعي الرسول فيحكم عليهم بحد القتل الوارد في الآية (١٧٨) من سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ويكون حد القاتل القتل فقط، سواءً قتل راعي رسول الله أو قتل راعي حيي ابن أخطب اليهودي، أو أبو جهل الوثني.

ولو أن القارئ لم يتوقف عند الآية (٣٣) من سورة المائدة واستمر في قراءة الآية التالية (٣٤) لتأكد أن الآيتين لم تنزلا تأييداً لرسول الله فيما ينسب له الحديث أنه فعله بمن قتل راعيه وسرق ماشيته، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

فرهط عكل إن كانوا قتلوا الراعي وسرقوا الماشية فالحكم عليهم هو القتل، حتى لو أعلنوا توبتهم، لأن القتل العمد لا تعفي فيه التوبة من الحد، ولابد من قتل القاتل حتى لو تاب.

وتكون الآيتان (٣٤، ٣٣) من سورة المائدة لم تنزلا تأييداً لما فعله الرسول برهط عكل، ولكنهما نزلاتا بحق اليهود، كما بينا ذلك بالتفصيل في كتابنا سنة الأولين[١].

(١) الجلاء الثالث ـ فصل اليهود ـ الباب الخامس موعد الناس من دعوة محمد.

ويكون الرسول لم يعمل برأيه ويصلب أو يحرق أو يمثل، والإحتمال الغالب أن قصة من سرق إبل الرسول وقتل راعيه مختلقة لا أساس لها من الصحة.

ومثل ذلك ما ورد في الحديث التالي:

حدّثنا أبو مَعْمَرٍ حدَّثَنا عبدُ الوارثِ عن أبي التَّيَّاحِ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: «قَدِمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلمالمدينةَ، وأَمَرَ بِبناءِ المسجدِ فقال: يا بني النَّجّارِ ثامِنوني. فقالوا: لا نَطلُبُ ثمنَهُ إلاّ إلى الله. فأمرَ بقُبورِ المشرِكينَ فنُبِشَتْ، ثمَّ بالخِرَبِ فسُوِّيَتْ، وبالنَّخلِ فقُطِعَ، فصَفوا النخلَ قِبلةَ المسجدِ»[1].

* * *

لا يعدل

حدّثنا إبراهيمُ بن موسى أخبرنا هشامُ بن يوسُفَ أنَّ ابن جُرَيج أخبرَهَم قال: أخبرني عطاءٌ قال: «حضرنا مع ابن عباس جِنازة ميمونةَ بسرِفَ، فقال ابنُ عباس: هذه زَوجَةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإذا رفعتم نعشَها فلا تُزَعزعُوها ولا تُزَلْزلوها وارفُقُوا، فإنه كان عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم تِسعٌ كان يَقِسم لثَمَانٍ ولا يَقسِمُ لواحِدَة»[2].

مناقشة النص

الرفق بجثمان الميت مطلوب، سواءاً كان لأحدى أمهات المؤمنين أو

(١) باب حرم المدينة ـ كتاب فضائل المدينة.

(٢) باب كثرة النساء.

لغيرها، ولكن أن يختم النص بالقول بأن رسول الله كان عنده تسع نسوة، «وكان يقسم لثمان، ولا يقسم لواحدة» لا مناسبة له ولا عبرة لسرده إلا إذا كان القاص أراد إظهار أن الرسول لم يكن يعدل في المبيت عند نسائه، بحيث أنه لم يكن يبيت عند واحدة منهن أبداً، وبالتالي الإستدلال على جواز عدم العدل بين النساء.

ولا يمكن تصور أن يفعل الرسول وذلك، وهو يتلوا على الناس قوله تعالى: ﴿. . . . . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ النساء٣

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ النساء١٣٥

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل٩٠

والقول بأن الرسول لم يكن يعدل بين نسائه قالته أحاديث كثيرة منها:

حدّثنا مالكُ بن إسماعيلَ حدَّثنا زُهَيرٌ عن هِشام عن أبيه عن عائشةَ «أن سَوْدَة بنت زَمْعة وَهَبَتْ يومها لعائشةَ، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَقسِمُ لعائشةَ بيومها ويوم سَوْدَةَ»[1].

بل إن الأحاديث تصور لنا أن الناس كانوا يعلمون أن الرسول لا يعدل بين نسائه في المعاملة، ومن ذلك:

(١) باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها ـ كتاب النكاح.

حدثنا عبدُ العزيز بن عبد الله حدَّثنا سليمان عن يحيى عن عُبَيدِ بن حُنَين سمع ابنَ عباسٍ «عن عمرَ رضي الله عنهم دخلَ على حَفصَةَ فقال: يا بُنيَّة، لا يَغُرَّنكِ هذِهِ التي أعجبها حُسنُهَا حبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إيّاها ـ يُرِيدُ عائشةَ رضي الله عنها ـ فَقَصصتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فَتَبَسَّم»[1].

ولا تقف الأحاديث عند هذا الحد بل تقول لنا أن الرسول لايعدل بين الناس في الحياة العامة، وفيما يلي مثالين على ذلك:

حدّثنا مسدَّدٌ حدَّثنا يوسفُ بن الماجشونِ عن صالح بنِ إبراهيمَ بن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ عن أبيهِ عن جدِّهِ قال: بَينا أنا واقفٌ في الصفِّ يومَ بَدرٍ، فنظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامَين من الأنصارِ حَديثةٍ أسنانُهما تَمنيت أن أكونَ بينَ أضلَعَ منهما، فغمزَني أحدُهما فقال: يا عمّ هل تعرفُ أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لَئن رأيته لا يُفارقُ سَوادي سوادَهُ حتى يَموتَ الأعجلُ منّا. فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخرُ فقال لي مثلَها، فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يَجولُ في الناس فقلت: ألا إنَّ هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتَدَراهُ بسيفيهما فضرَباهُ حتى قَتلاه. ثمَّ انصرَفا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرَاهُ. فقال: أيُّكما قتله؟ قال كلُّ واحدٍ منهما: أنا قتلته. فقال: هل مسحتما سيفَيكما؟ قالا: لا. فنظرَ في السيفَين فقال: كلاكما قتله، سَلَبهُ

(١) باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض ـ كتاب النكاح.

لمعاذِ بنِ عمرِو بن الجَموح. وكانا مُعاذَ بنَ عفراءَ ومُعاذَ بن عمرو بن الجَموح»[1].

فإذا كان كلا الرجلين قتلا أبا جهل، وبناءاً على قاعدة «من قتل قتيلاً فله سلبه» وتأكد الرسول من كلاهما قتله، فكان يجب أن يقتسما الأسلاب، لكن الرسول أمر بالسلب ليكون من نصيب أحدهما دون الأخر.

والمثال الثاني:

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شعيبٌ حدَّثَنا الزُّهريُّ قال: أخبرَني أنسُ بن مالكٍ أنَّ ناساً منَ الأنصارِ قالوا لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أفاءَ اللهُ على رسولهِ صلى الله عليه وسلم من أموالِ هَوازِنَ ما أفاءَ، فطفِقَ يُعطي رجالاً من قُريشٍ المائةَ منَ الإبل، فقالوا: يَغفِرُ اللهُ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يُعطي قُريشاً ويَدَعُنا، وسُيوفنا تقطرُ من دِمائهم. قال أنسٌ: فحُدِّثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بمقالَتهم، فأرسلَ إلى الأنصارِ فجمَعَهم في قُبَّةٍ مِن أدَم، ولم يَدْعُ معَهم أحَداً غيرَهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: ما كانَ حديثٌ بَلغني عنكم؟ قال له فُقَهاؤهم أمّا ذوو آرائنا يا رسولَ اللهِ فلم يقولوا شيئاً، وأمّا أناسٌ منّا حَديثه أسنانُهم فقالوا: يَغْفِرُ اللهُ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُعطي قريشاً ويتركُ الأنصارَ، وسُيوفنا تَقطرُ من دِمائهم. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إني لأعطي رجالاً حديثٌ عهدُهم بكفر، أما تَرضونَ أن يَذهبَ الناسُ بالأموالِ، وتَرجعوا إلى رِحالكم برَسولِ اللهِ

(١) باب من لم يُخمّسِ الأسلابَ ومَن قتلَ قتيلاً فلهُ سَلَبُه ـ كتاب الخمس.

(صلى الله عليه وسلم)، فوَاللهِ ما تَنقَلِبونَ بهِ خيرٌ مما يَنقلِبونَ به. قالوا: بَلى يا رسولَ اللهِ، قد رضينا. فقال لهم: إنكم سترَونَ بعدي أثرةً شديدة، فاصبروا حتّى تَلْقَوُا الله ورسولهُ (صلى الله عليه وسلم) على الحَوض. قال أنسٌ: فلم نَصبِر»[1].

وتبرير عدم إعطاء الأنصار من الغنائم ـ الذي يقوله الحديث على لسان الرسول ـ غير مقنع، لأن حديثاً آخر يظهر أن الرسول قد أعطى بعض أصحابه ولم يعط البعض وكلهم من قريش، يقول الحديث: حدّثنا يحيى بنُ بكَير حدَّثنا الليثُ عن عُقيلٍ عنِ ابنِ شهابٍ عن ابنِ المسيّب عن جُبَير بن مُطْعم قال: مشَيتُ أنا وعثمانُ بن عفّانَ فقال: «يا رسولَ اللهِ أعطيتَ بني المطّلبِ وتركتَنا، وإنما نحنُ وهم منكَ بمنزلةٍ واحدة. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيءٌ واحد»[2].

ولا يمكن أن يكون قد صدر من الرسول ما تقوله هذه الأحاديث، لأنه صلوات الله وسلامه عليه يعلم أن المال والماديات تأسر القلوب، فكيف يقنعهم بالسكوت والرضى وهو الذي يتلوا عليهم قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آل عمران١٤

ولكنها من شطحات المحدثين، فمن كان يعتقد بصحة هذه الأحاديث فلابد أن يقر بأن رسول الله لايعدل، ومن كان يؤمن بالقرآن فسيعتقد بأن

(١) باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس. . . ـ كتاب الخمس.
(٢) باب قوله تعالى يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوبا وقبائل ـ كتاب المناقب.

رسول الله خُلُقه القرآن الذي يقوم على العدل، وأنه صلوات الله عليه «على خلق عظيم»[١] لأنه يتصرف في حياته بناءاً على تعاليم القرآن الذي يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل٩٠

* * *

لا يعرف جيرانه

حدَّثني محمدُ بنُ بَشَّارٍ حدَّثَنا محمدُ بنُ جَعفَرٍ حدَّثَنا شُعبةُ عن أبي عِمرانَ الجَوْنيِّ عن طلحةَ بنِ عبدِ اللهِ ـ رجلٍ من بني تَيمِ بنِ مُرَّةَ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: «قلتُ يارسول الله، إنَّ لي جارَينِ، فإلى أيّهما أُهدي؟ قال: إلى أقرَبِهما منكِ باباً»[٢].

مناقشة النص

الرسول لما قدم المدينة بقي في ضيافة أبي أيوب الأنصاري حتى بني المسجد والغرف الملحقة به كسكن للرسول وزوجاته، ولم يغادر ذلك السكن حتى توفاه الله بعد عشر سنوات ـ كما يقول التاريخ. فهل يعقل أن الرسول لا يعرف جيرانه كما يوحي هذا الحديث، الذي تظهر صياغته أن أم المؤمنين عائشة تخبر الرسول بأن لها جارين، وكأن الرسول لا يقيم معها في نفس المنزل وجيرانها جيران له. ويأتي الجواب على لسان الرسول ليؤكد أنه لا يعرف أي الجارين بابه أقرب لباب بيت رسول الله.

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم٤.
(٢) باب بمن يبدأ بالهدية ـ كتاب الهبة وفضلها.

ولكن يبدوا أن مختلق الحديث أراد أن يأتي بدليل على من يُبدأ بالهدية فاختلق هذا النص ونسبه للرسول، دون أن يعي ما قد يثيره من تساؤلات.

والهدية والهبة تدخل ضمن ما سماه القرآن «الإحسان» الذي يشمل العون المادي والهدايا العينية والتعامل الحسن، وهو واجب لكل أحد بناءاً على ما جاء في الآية الكريمة التالية، إذا أخذت بمعناها دون الأخذ بتأويل المفسرين ورجال الدين: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ النساء٣٦

فالآية توضح أن الإحسان يكون لكل الناس تقريباً، كل بما يحتاج. فالغني يحتاج الإحسان بالتعامل الإنساني، والفقير يحتاج التعامل الإنساني والدعم المادي. فهو للوالدين، ولكل من للشخص به قرابة ولو من بعيد، ولليتامى نعرفهم أو لانعرفهم، وللمساكين نعرفهم أو لانعرفهم، والجار ذي القربى أي الملاصق، والجار بالجنب أي الجار الذي يحيط بنا من كل الجهات ولو لم يكن ملاصقاً، والصاحب بالجنب، قد تعني بلغة العصر أهل الحي. والإحسان يكون لابن السبيل حتى ولو لم نعرفه، والإحسان يجب للرقيق، بالمعاملة الإنسانية والمادية، عندما كان هناك رقيق.

وإذا نحن أحسنا لهؤلاء نكون قد أحسنا لكل الناس بلا استثناء، لأنه لن يتبقى أحد من الناس لا يدخل ضمن من ذكر في هذه الآية[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من فصل الركيزة الثالثة ـ الإنفاق ـ الباب الثامن ـ دولة الإسلام ـ كتاب سنة الأولين.

عندما لاتعجبه الصدقة لا يأكل بدعوى التحريم

حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ المُنذرِ حدَّثَنا معنٌ قال: حدَّثَني إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ عن محمدِ بنِ زيادٍ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام سأل عنه: أهديةٌ أم صدَقةٌ؟ فإن قيل صدقةٌ قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. وإن قيلَ: هديةٌ، ضَرَبَ بيدهِ صلى الله عليه وسلم فأكلَ معَهم»[(١)].

وعندما تعجبه يجد مبرراً

حدّثنا عبدُ الله بن يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن القاسم بن محمد عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كانت في بَريرةَ ثلاثُ سُنَن: عتقت فخُيِّرَت، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: الوَلاءُ لمن أعتق، ودخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبُرمَةٌ على النار فقُرِّبَ إليه خبزٌ وأُدْم من أُدم البيت فقال: ألم أرَ البُرمَة؟ فقيل: لحم تُصُدِّق به على بريرةَ وأنت لا تأكلُ الصدَقة، قال: هو عليها صَدَقة ولنا هَدية»[(٢)].

مناقشة النص

النقطة الأولى: الحديثان السابقان يظهران الرسول وهو يحرم شيئاً، ولكن عندما تشتهيه نفسه يأكله، بعد أن يقول كلاماً لتبرير فعله.

ولو سلمنا بهذا فالرسول يمكنه أن يبرر كل ما ترغبه نفسه مما سبق وحرمه على الناس، وكأنه لا يجري عليه ما يجري على الناس، بخلاف ما

---

(١) باب قبول الهدية ـ كتاب الهبة وفضلها.

(٢) باب الحرة تحت العبد ـ كتاب النكاح.

يقوله القرآن من أنه صلوات الله وسلامه عليه مكلف كغيره من الناس: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ﴾ الأنعام١٤

وأنه لا يستطيع أن يحيد عما أنزل عليه، وإلا لتعرض لغضب الله: وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴿٧٣﴾ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴿٧٤﴾ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴿٧٥﴾

النقطة الثانية، هي: تحريم الصدقة على الرسول، وأهله.

فمن الذي حرمها؟

وإن كان الرسول حرمها فعلى ماذا اعتمد؟

لأن القرآن يخلوا من أي دليل يدل على أن الصدقة تحرم على الرسول وأهله. لأن الصدقة المتعارف عليها الآن، والتي تعني أن يمن الغني على الفقير بفتات الطعام أو بدراهم معدودة لا وجود لها في القرآن.

وسبق وتحدثنا عن هذا الموضوع بتوسع في كتابنا سنة الأولين[(١)]، فلن نكرره هنا.

* * *

ينهى عن شيء وعندما لا يوافقه الناس يتراجع

حدثنا محمدُ بنُ المثنّى حدَّثَنا عبدُ الوهّابِ حدَّثَنا خالدٌ عن عِكرِمةَ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مكةَ، فلم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي، وإنما أُحِلَّتْ لي

(١) الركيزة الثالثة: الإنفاق ـ الباب الثامن ـ دولة الإسلام.

ساعةً من نهارٍ، لا يُختلى خَلاها، ولا يُعضَدُ شجرُها، ولا يُنَفَّرُ صَيدُها، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُها إلاّ لمعرِّف. وقال العبّاسُ: يا رسولَ اللهِ إلاّ الإذخرَ لِصاغَتِنا وقُبورِنا؟ فقال: إلاّ الإذخِرَ»[1].

ومثله

حدّثَنا مُعاذُ بنُ فَضالَةَ حدّثَنا أبو عمرَ حفصُ بنُ مَيْسَرةَ عن زيدِ بنِ أسْلَمَ عن عطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريّ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكم والجلوسَ على الطّرُقاتِ. فقالوا: ما لَنا بُدّ، إنما هي مَجالسُنا نتحدّثُ فيها. قال: فإذا أتيتُم إلى المجالسِ فأعْطوا الطريقَ حقّها. قالوا: وما حقّ الطريقِ؟ قال: غَضّ البَصرِ، وكَفّ الأذَى، وردّ السلامِ، وأمرٌ بالمعروفِ ونهيٌ عن المنكر»[2].

مناقشة النص

الحديثان يظهران الرسول وهو يقرر بعض التشريعات، وعندما يعترض الناس على تشريعاته يتراجع. وهو ما يؤكد أن الرسول لم يقل ما نسب إليه هنا. فهو صلوات الله عليه لا يشرع من عند نفسه، ولو كان التشريع نقلاً عن الله سبحانه وتعالى، فسيتلوه على شكل قرآن أولاً، ولن يكون باستطاعته التنازل عن بعضه ثانياً، لأنه ليس له من أمر الدين شيء، فهو مجرد رسول ناقل لرسالة ربه إلى الناس، ومكلف مثلهم: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف٩

❊ ❊ ❊

---

(١) باب لا ينفر صيد الحرم ـ كتاب جزاء الصيد.

(٢) باب أقنية الدور والحلوس فيها ـ كتاب المظالم.

لايقيم وزناً لحرمة مكة

حدّثنا إسماعيلُ قال: حدَّثني مالكُ عنِ ابنِ شِهابٍ عن أَنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم دخلَ عامَ الفتحِ وعلى رأسه المِغْفَر، فلما نزَعه جاءَ رجُلٌ فقال: إنَّ ابنَ خَطَلٍ مُتعلِّقٌ بأستارِ الكعبة، فقال: اقتُلوه»[١].

مناقشة النص

عبدالله ابن خطل واحد من أربعة أهدر الرسول دمهم، كما تزعم كتب الأخبار، من تاريخ وحديث، وهم عكرمة ابن أبي جهل وعبدالله ابن خطل ومقيس لبن صبابة وعبدالله لبن سعد بن أبي سرح.

ولم أستطع معرفة السبب الذي تزعمه كتب الأخبار عن إهدار دم عكرمة، أما عبدالله ابن خطل فيقول ابن إسحاق عنه: «وعبدالله بن خطل، رجل من بني تيم بن غالب: إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً»[٢].

وفي مكان آخر يقول ابن هشام إنه كان له جاريتان تؤذيان الرسول في بداية الدعوة في مكة، فقتلت إحداهما يوم الفتح، وعفى الرسول عن الأخرى[٣].

(١) باب قتل الأسير وقتل الصبر ـ كتاب الجهاد والسير
(٢) فصل سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه ـ سيرة ابن هشام
(٣) فصل أسماء من أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك ـ سيرة ابن هشام

فيكون الإحتمال أن ذنبه أن له جاريتان تؤذيان الرسول في بداية الدعوة.

بينما يعفوا الرسول عن عبدالله ابن سعد ابن أبي سرح الذي أسلم وكان يكتب الوحي للرسول، ثم إرتد لأنه زعم أن الرسول يأمره بكتابة جملة فيغيرها ويخبر الرسول أنه غيرها فيوافق الرسول على ذلك. وهذا نص ما ورد في تفسير الطبري: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ قال: نزلت في مسيلمة أخي بني عديّ بن حنيفة فيما كان يسجّع ويتكهن به. وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ الله نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، أخي بني عامر بن لؤي، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان فيما يُملِي «عزيز حكيم»، فيكتب «غفور رحيم»، فيغيره، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل، فيقول: «نَعَمْ سواء» فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم: لقد كان ينزل عليه «عزيز حكيم»، فأحوّله ثم أقول لما أكتب، فيقول نعم سواء[١].

ولو صدقنا هذه الأخبار فإما أن يكون ابن أبي سرح صادقاً، ويكون الرسول يملي القرآن بصياغته هو واختياره للكلمات، وهذا إتهام عظيم للرسول وتشكيك بكل رسالته، لا يقبله إلا من يؤمن بصدق مثل هذه الأحاديث. أو أن يكون ابن أبي سرح كاذباً، فكيف يعفوا الرسول عن ابن أبي سرح، ويقتل ابن خطل، مع أن ذنب ابن أبي سرح أعظم؟

وكيف يعفوا الرسول عن عكرمة ابن أبي جهل ويقتل مقيس ابن صبابة،

---

(١) نفسير سورة الأنعام.

مع أن ذنبه كان مجرد قتله قاتل أخيه خطأ بعدما أخذ الديّة، ثم ارتدّ مشركاً.

ولو صدقنا هذه الأخبار فلابد أن نصدق أن الرسول قد قتل، جارية إسمها سارة مولاة لبني عبد المُطَّلب، لأنها كانت تؤذي الرسول في بداية الدعوة في مكة[1].

ولو صدقنا هذه الحكايات فيجب أن نصدق أن الرسول جاء لفتح مكة وفي ذهنه أخذ الثأر ممن آذاه، وتصرف بناءاً على هذا، فقتل من قتل وعفى عمن عفا، وكأن الأمر يعود إلى تقديره الشخصي. ولو كان الأمر كذلك فلماذا لم يقتل الرسول هند بنت عتبة التي قتل حمزة بأمرها ومضغت كبده؟

ولماذا لم يقتل أبو سفيان ابن حرب حامل لواء الحرب في قريش والعدو اللدود للإسلام؟

لكن الرسول فتح مكة للقضاء على قوة قريش المحاربة للإسلام والتي سعت لمنع إنتشاره، ولم يأت فتح مكة للقضاء على أشخاص كبراء قريش. فكان الثأر ليس في برنامج محمد عليه الصلاة والسلام، لذا كان شعاره يوم الفتح: من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ـ بغض النظر عما اقترفته يداه قبل الفتح ضد الإسلام والمسلمين.

فكيف نصدق أن الرسول قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، وقتل أشخاصاً غيره في مكة الحرام، ولم يحمل أحداً منهم السلاح ضد المسلمين؟

---

(١) فصل صفة دخوله عليه السلام مكة ـ البداية والنهاية.

والله سبحانه وتعالى ينهى أن يتجاوز المسلمون حرمة الحرم، وينهى عن الإعتداء ولو على القرشيين الذين ناصبوهم العداء واعتدوا عليهم من قبل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة٢

ويبين الله سبحانه وتعالى أن القتل والقتال في الحرم، حرام، إلا إذا بدأهم الكفار بالقتال فيه، وهو ما لم يصدر من ابن خطل: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ البقرة١٩١

ونحن هنا لا ندافع عن ابن خطل، بل نشك في أن هناك شخص بهذا الإسم، ولكننا لا نصدق أن رسول الله، لايقيم وزناً لحرمة بيت الله الحرام وأنه اقترف في مكة يوم الفتح القتل صبراً لأناس لم يرفعوا عليه السيف، وإن كانوا قد آذوه في السابق، وإلا لسحق الرسول كل رجال قريش وكثير من نسائها لأنهم اقترفوا ضده وضد الإسلام والمسلمين أعظم مما اقترفه ابن خطل وجاريته.

* * *

ينهى عن الشيء ويأتي مثله

الإتجاه عند الغائط

حدَّثنا آدمُ قال: حدَّثنا ابنُ أبي ذِئبٍ قال: حدَّثنا الزُّهريُّ عن عَطاءِ بنِ يَزيدَ اللَّيثيِّ عن أبي أيُوبَ الأنصاريِّ قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدُكُم الغائطَ فلا يَسْتقبِلِ القِبلةَ ولا يُوليها ظَهره، شَرِّقوا أو غَرِّبوا»[(١)].

وفي حديث آخر في نفس كتاب الوضوء: حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرَنا مالكٌ عن يَحيى بنِ سَعيدٍ عن محمد بنِ يَحيى بنِ حَبَان عنْ عمهِ واسِعِ بنِ حَبّان عن عبداللهِ بنِ عُمَرَ أنه كان يقولُ: إنَّ ناساً يقولون إذا قَعدْتَ على حاجَتِكَ فلا تستقبلِ القِبلةَ ولا بيتَ المَقْدِسِ. فقال عبدُ اللهِ بنُ عُمَر: لقدِ ارتَقيتُ يوماً على ظهرِ بيتٍ لنا، فرأيتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم على لَبِنَتينِ مستقبلاً بيتَ المقدِس لحاجتِه. وقال: لَعلَّكَ منَ الذينَ يُصلُّونَ على أوراكهِمْ، فقلتُ: لا أدري واللهِ.

قال مالكٌ: يَعني الذي يُصلِّي ولايرتَفِعُ عن الأرض، يَسْجُدُ وهوَ لاصِقٌ بالأرض[(٢)].

---

(١) باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول.

(٢) باب من تبرز على لبنتين.

مناقشة النص

الحديث ينهى على لسان الرسول عن استقبال أو إستدبار القبلة عند قضاء الحاجة، لكن الحديث الآخر المروي على لسان ابن عمر يقول أنه رأى النبي يقضي حاجته مستقبلاً بيت المقدس ومستدبراً القبلة، بحكم أن المدينة تقع إلى الشمال من مكة وإلى الجنوب من بيت المقدس.

فهل كذب ابن عمر أو كان الكاذب أبو أيوب الأنصاري؟

نحن نظن أن الكاذب هو مخترع الحديثين، لأنه لم يبين ما هي الحكمة من عدم استقبال القبلة أو إستدبارها. ولأن التوجه باتجاه القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة لا يعني عدم احترام القبلة. فالكعبة مشرفة بذاتها، كونها أول بيت لله وضع للناس، لذا جاء اتجاه المسلمين نحوها في صلاتهم. ولن يشرفها أو يحط من قدرها، الإتجاه لها بأعمال أخرى، ويفصلهم عنها المسافات.

والحديث الثاني يسرد على لسان ابن عمر أنه شاهد الرسول يقضي حاجته، ولم يتوقف ويتساءل: كيف سمح ابن عمر لنفسه النظر لعورة الرسول؟

وإذا كان حدث ذلك بالصدفة، ألم يكن من الواجب على ابن عمر أن يغض الطرف حالاً، بدل أن يعطي لنفسه الوقت الكافي بالتمعن في وضعية الرسول، والتأكد من أنه كان يجلس على لبنتين، ويقضي حاجته باتجاه الشمال.

وبطبيعة الحال من الواضح أن مختلق القصة أراد المساس بشخص ابن

عمر ووصفه بتجاوز آداب إتيان البيوت من أبوابها، والتي نص عليها القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)

ومختلق القصة لم يتوقف عند ابن عمر بل مس الرسول عليه صلوات الله وسلامه، عندما نسب إليه أنه يقضي حاجته فوق سطح بيوت أزواجه اللاتي يقطن في غرف ملحقة بالمسجد.

وهو ما يتعارض مع أخبار أخرى تؤكد أن نساء النبي أنفسهن كن يخرجن للخلاء كعادة بعض العرب ومنهم أهل مكة في ذلك الوقت، تطهراً وتنزهاً من القاذورات. والرسول نفسه كان يخرج للخلاء، حسبما جاء في هذا الخبر: حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ قال: حدَّثَنا هاشمُ بنُ القاسِمِ قال: حدَّثَنا وَرْقاءُ عن عُبَيدِ اللهِ بنِ أبي يَزِيدَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الخَلاءَ فوَضَعْتُ له وَضوءاً. . . . إلى آخر الحديث[١].

ونخلص للقول أن إيراد روايات متفاوتة ومختلفة لموضوع واحد، هنا وفي مواقع كثيرة من كتب الحديث، يؤيد القول بأن الحديث يوضع لكي يستدل به على المناسبة التي يود مخترع الحديث أن يؤكدها في مجلسه، دون أن يعير تناسق القصة أو مخالفتها لموضوع آخر أي إهتمام، كدليل على النقص البشري.

❊ ❊ ❊

(١) باب وضع الماء عند الخلاء.

الله ينهى عن الإستماع لبني إسرائيل والرسول يأمر به

حدّثنا أبو عاصم الضحاكُ بن مَخْلَدٍ أخبرنا الأوزاعيُّ حدَّثنا حسانُ بنُ عَطَّيةَ عن أبي كَبشةً عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار»[1].

مناقشة النص

كيف يأمر الرسول بالتحديث عن بني إسرائيل والله يقول عنهم: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ المائدة٤٩

وقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه والمؤمنون عن الإستماع لبني إسرائيل: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران٧٣

لأن ما سيقوله بنو إسرائيل للمسلمين خرافات يحاولون بها إفساد الدين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة١٠٩

فليس لديهم من دين الله الحق شيئاً، لأنهم فقدوا التوراة التي نزلت

(١) باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

على موسى، ويتبعون تشريعات خطتها أيديهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران٧٨

ولذلك أمر الرسول بأن يكون القرآن حكماً بينه وبين بني إسرائيل، وألا يستمع لهم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة٤٨

وكيف يأمر الرسول بالتحديث عن اليهود وقد كفروا بدين الله الإسلام: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة٧٥

فإن كانوا لا يؤمنون بدين الله فقد أمرنا الله بعدم الركون لهم: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ هود١١٣

وقد روي عن ابن عباس أنه كان ينهى عن الإستماع لليهود، وهذا نص الحديث: حدّثنا يحيى بنُ بُكَيرٍ حدَّثنا الليثُ عن يونسَ عنِ ابنِ شهابٍ عن عُبَيد اللهِ بنِ عُتْبَةَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباس رضي الله عنهما قال: «يا مَعشرَ المسلمينَ، كيف تَسألونَ أهل الكتابِ وكتابُكم الذي أُنزِلَ على نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم أحْدَثُ الأخبارِ باللهِ تَقرَؤُونَهُ لم يُشَبْ؟ وقد حدّثكمُ اللهُ أنَّ أهلَ الكتاب بدَّلوا ما كتَبَ اللهُ وغيَّروا بأيديهمُ الكتابَ فقالوا: هو من عِنْدِ

اللهِ لِيَشتَروا به ثمناً قليلاً أفلا يَنهاكم بما جاءَكم منَ العِلمِ عن مُساءَلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجُلاً قطُّ يَسألكم عنِ الذي أُنزِلَ عليكم»[1].

فهل يعقل أن يفطن ابن عباس لما لم يفطن له الرسول من أمور الدين؟

* * *

يحرم الحرير ويهديه لعمر

حدّثنا موسى بن إسماعيلَ قال: حدثني جُوَيريةُ عن نافع عن عبد اللّه بن عمرَ أنَّ عمرَ رضيَ اللّه عنه «رأى حُلةً سِيَراءَ تباعُ فقال: يا رسولَ اللّه؛ لو ابتعتَها تَلبَسُها للوَفد إذا أتوْكَ والجمعة. قال: إنما يَلبَس هذهِ من لا خَلاق له. وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعثَ بعدَ ذلكَ إلى عمرَ حلةً سِيَراءَ حريراً كساها إياه، فقال عمرُ: كسوتَنِيها، وقد سمعتكَ تقول فيها ما قلتَ، فقال: إنما بَعثتُ بها إليك لتبيعَها أَو تكسوَها»[2].

وفي رواية حدّثنا أبو اليمانِ قال: أخبرنا شُعيبٌ عنِ الزُّهريِّ قال: أخبرَني سالمُ بنُ عبدِ اللهِ أن عبدَ اللهِ بنَ عمرَ قال: «أخذَ عمرُ جُبَّةً من إسْتَبرَقٍ تُباعُ في السُّوقِ فأخذها، فأَتى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، ابْتَعْ هذهِ، تَجَمَّلْ بها للعيدِ وَالوُفودِ، فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إنما هذه لباسُ مَن لا خَلاقَ له. فلَبِثَ عمرُ ما شاءَ اللهُ أَن يَلبَثَ، ثمَّ أرسلَ إليه رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم بجُبَّةِ دِيباجٍ، فأَقبلَ بها عمرُ فأَتى بها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، إنكَ قلتَ إنما هذه لِباسُ مَن لا خَلاقَ له، وأرسلْتَ إِليَّ بهذهِ

---

(١) باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ـ كتاب الشهادة.

(٢) باب الحرير للنساء ـ كتاب اللباس.

الجُبَّةِ. فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: تبيعُها أَو تُصيبُ بها حاجتَك»[1].

مناقشة النص

في البداية الرسول ينهى عن لبس الحرير، ويصفه «بلباسُ مَن لا خَلاقَ له»، وبعد فترة يهدي الرسولُ عمرَ جبة من حرير، مناقضاً نهيه السابق.

وعندما يُذكّر عمر الرسول بأنه وصف الحرير بلباس من لا خلاق له، ومع ذلك أرسل له الجبة، يجيبه الرسول بأن يبيعها ويستفيد من ثمنها. وكأن بيع المحرم والإستفادة من ثمنه حلال.

ثم لمن يباع الحرام؟ هل يجوز بيعه للمسلمين أو غيرهم؟ أو هل يجوز بيعه البتة؟

تساؤلات كثيرة لم يفطن لها القاص عندما اختلق قصته، لأن تفكيره كان منصباً على إيصال فكرة أن الإستبرق والديباج حرام.

أما القرآن فقد جاء على ذكر الإستبرق والسندس والذهب على أنها من لباس الجنة: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف٣١

وكلها من لباس الدنيا، كما أن الذهب من حلي الدنيا، وقد ذكرها القرآن على أنها في الجنة مثلما ذكر اللبن والخمر والآرائك وغيرها مما هو معروف في الدنيا لتقريب صور النعيم لعقول كفار قريش، لأن السور التي ذكرت فيها هذه الصور الحسية لما في الجنة كلها مكية.

---

(١) باب في العيدين والتجمل فيهما ـ كتاب العيدين.

وقد جاء تحريم الحرير والذهب على الرجال في الأحاديث فقط، ومن ذلك هذا الحديث: حدّثنا آدمُ حدثنا شعبة حدَّثنا أشعثُ بن سُليم قال: سمعتُ معاويةَ بن سُوَيد بن بنُ مَقرّن قال: سمعتُ البراءَ بن عازب رضيَ اللهُ عنهما يقول: «نهانا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن سبع: نهى عن خاتم الذَّهب ـ أو قال: حَلْقة الذهب ـ وعنِ الحرير والإستبرَق والديباج والميثرةِ الحمراء والقسيِّ وآنية الفِضة. وأمرنا بسبع: بعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وتَشميتِ العاطس، وردِّ السلام، وإجابة الداعي، وإبرارِ المقْسِم، ونصر المظلوم»[1].

ولم تذكر الأحاديث سبب التحريم، إلا أن رجال الدين يرجعون ذلك إلى أن لبس الحرير والذهب يدل على الخيلاء ويدعوا للفخر.

والقرآن حرم كل ما يدل على الخيلاء من لباس، ليس كنوع القماش، ولكن كطريقة لبس: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ النساء٣٦

وحرم كل تصرف يدل على الخيلاء: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾لقمان١٨

وهذا حديث يماثل الحديث السابق:

حدّثنا سليمانُ بن حربٍ حدَّثنا شُعبة ح. وحدثني محمدُ بن بشارٍ حدَّثنا غُندَر حدَّثنا شعبة عن عبد الملك بن مَيسَرةَ عن زيدِ بن وَهبٍ عن علي بن

(١) باب خواتيم الذهب ـ كتاب اللباس.

أبي طالب رضيَ اللّه عنه قال: «كساني النبيُّ صلى الله عليه وسلم حُلةً سِيَراءَ، فخرجتُ فيها، فرأيتُ الغضب في وَجهه، فشقَقْتُها بين نسائي»[١].

وقد يكون هذا القاص سمع بالحديث السابق المنسوب لعمر ابن الخطاب، وهو ممن يقدسون علي ابن أبي طالب ويكرهون عمر، فأراد أن يحول هذه القصة إلى فضيلة من الفضائل المنسوبة لعلي.

ومثله

حدّثنا أحمدُ بن يونسَ حدَّثنا زُهَيرٌ حدثنا موسى بن عقبةَ عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضيَ الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ لم يَنظرِ الله إليه يومَ القيامة، قال أبو بكر: يارسول الله، إنَّ أحدَ شِقيْ إزاري يَسترخي إلا أن أتعاهَدَ ذلكَ منه. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لستَ ممن يَصنَعهُ خُيَلاء»[٢].

فإن كان الحرير والذهب لبس للخيلاء أو دليل على الخيلاء، فهو مثل جر المئزر والثوب للخيلاء وكل هذا حرمته الآيات، وإن لبس دون خيلاء ولم يدل على خيلاء، فلم يحرمه القرآن، كما لم يحرم جر المئزر أو الثوب.

ويكون التحريم ليس للجواهر والمعادن النفيسة أو نوع القماش، ولكن لأي تصرف فيه خيلاء، ولكل لبس فيه خيلاء، على الإطلاق. ومن يرى رجال الدين في هذا العصر ولباسهم ومراكبهم فهي بلا شك ملابس ومراكب وتصرفات خيلاء، سواءاً كانت موشحة بالذهب والحرير أم لا.

* * *

---

(١) باب الحرير للنساء ـ كتاب اللباس.

(٢) باب من جر إزاره من غير خيلاء.

الخلوة، ينهى عنها ويأتيها

حدّثنا عليُّ بن عبد الله حدَّثَنا سفيانُ حدَّثنا عمرٌو عن أبي مَعبَدٍ عنِ ابن عباسٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاّ مع ذي مَحْرَم. فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، امرأتي خَرجَت حاجَّة واكتَتَبتُ في غزوةِ كذا وكذا. قال: ارجع فحُجَّ مع امرأتِك»[1].

مناقشة النص

الحديث يستدل به رجال الدين على تحريم إختلاء المرأة برجل ليس من محارمها.

ومثله: حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ قال: قلتُ لأبي أُسامةَ: حدَّثَكم عُبيدُ اللهِ عن نافعٍ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُسافِرِ المرأةُ ثلاثةَ أيّامٍ إلاّ معَ ذي مَحْرَم»[2].

لكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، حسب ما تفيد كتب السير، قد بعث زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار لإصطحاب ابنته زينب من مكة للمدينة[3].

فإن قال قائل إن هذا كان لابنة الرسول، فنقول، إن التحريم يكون على ابنة الرسول وغيرها من النساء على حد سواء، كما أن الرجلين كانا من غير محارمها، والمسافة بين مكة والمدينة تستغرق أياماً طويلة في تلك الأيام، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما يقول الحديث الذي

(١) باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم.

(٢) باب في كم يقصر الصلاة.

(٣) فصل خروج زينب إلى المدينة ـ سيرة ابن هشام.

أورده البخاري في أربع مواضع في كتابه، أحدها باب صفة ابليس وجنوده ـ كتاب بدء الخلق، ويعني بذلك أن أي رجل اختلى بامرأة فسيقعان في الزنى أو يقتربان منه.

لكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ في أوقات رخاء وسلام، ولم يكن في حالات إضطرار ولا ضروة ـ كان يختلي بالنساء الأجنبيات، حسبما أورد البخاري وغيره من كتب الحديث. ومن ذلك هذا الحديث الذي جاء في باب ما يجوز أن يَخلوَ الرجلُ بالمرأةِ عندَ الناس:

حدّثنا محمدُ بن بشّارٍ حدَّثنا غُندَرٌ حدَّثنا شعبةُ عن هشام قال: سمعتُ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: جاءتِ امرأةٌ منَ الأنصار إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فخلا بها، فقال: والله إنكم لأحبُّ الناس إليّ».

ومثله:

حدّثنا عبدُ الله بنُ يوسُفَ عن مالكٍ عن إسحاقَ بن عبدِ اللهِ بنِ أبي طلحةَ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه أنه سمعَهُ يقول: «كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدخلُ على أُمِّ حَرامٍ بنت مِلْحانَ فُتطعِمهُ وكانت أمُّ حَرامٍ تحتَ عُبادةَ بنِ الصامتِ، فدخَلَ عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأطعَمَتْه وجعلَتْ تَفْلِي رأسَهُ، فنامَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثم اسْتَيقظَ وهو يَضحَكُ، قالت: فقلت: وما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ناسٌ من أمَّتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللهِ، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ مُلوكاً على الأسِرَّة ـ أو مِثلَ الملوكِ على الأسرَّة، شكَّ إسحاق ـ قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. ثمَّ وضعَ رأسَهُ، ثمَّ اسْتيقَظَ وهو يَضحكُ. فقلت: وما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ناسٌ مِن أمَّتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً

في سبيلِ الله ـ كما قال في الأوَّل ـ قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أن يجعلني منهم، قال: أنتِ منَ الأولين. فرَكِبَتِ البحرَ في زمنِ مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ فصُرِعَتْ عن دابَّتِها حِينَ خَرجَتْ منَ البَحرِ فهلَكَتْ»[1].

ومثله:

حدّثنا موسى بنُ إسماعيلَ حدَّثنا هَمّامٌ عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ عن أنسٍ رضي اللهُ عنه: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يَكُن يدخلُ بيتاً بالمدينةِ غيرَ بيتِ أمِّ سُليم، إلاّ على أزواجهِ، فقيل له، فقال: إني أرحَمُها، قُتِلَ أخوها معي»[2].

فهل يعقل أن ينهى الرسول عن خلق ويأتي مثله؟

أما القرآن فيخلوا تماماً من النهي عن سفر المرأة للحج بدون محرم، كما يذكر الحديث.

وهذا ما يقوله القرآن عن خلوة الرجل بالمرأة: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)

وكما هو واضح فالقرآن لا يحرم الخلوة مع الإحتراز عن الحرام، وحتى النهي عن مواعدة النساء سراً لا يكون لمن ليس في قلبه مرض، ويرغب في التحدث بالمعروف وسليم القول.

---

(١) باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء.

(٢) باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير.

والقول بأن الرسول ينهى عن شيئ ويأمر بعكسه، تزخر به كتب الحديث، ومن ذلك:

الأكل مما يلي الآكل

حدّثنا عبدُ الله بن يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن وَهبِ بن كيسان أبي نُعيم قال: «أُتيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بطعامٍ ومعهُ رَبيبهُ عَمرُ بن أبي سلمةَ، فقال: سَمِّ الله، وكل مما يَليك»[١].

وهذا حديث آخر يظهر الرسول لا يتقيد بالأكل مما يليه: حدّثنا قُتَيبةُ عن مالكٍ عن إسحاقَ بن أبي طَلحَةَ أنه سمعَ أنسَ بن مالكٍ يقول: «إنَّ خيّاطاً دَعا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لطعامٍ صَنَعَهُ. قال أنسٌ: فذهبتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فرأَيتُهُ يَتَتَبَّعُ الدُبّاءَ من حوالَي القَصْعة. قال: فلم أَزَلْ أُحبُّ الدبّاء من يَومئذٍ»[٢].

طرق العائد من السفر أهله ليلاً

حدَّثنا مُسلمُ بنُ إبراهيمَ حدَّثَنا شعبةُ عن محاربٍ عن جابرٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قال «نَهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يطرُقَ أهلَهُ ليلاً»[٣].

وهذا حديث آخر يروى على لسان جابر، نفس القاص للحديث السابق، يقول بأن الرسول أمرهم بالتمهل في دخول المدينة حتى يخيم الليل: حدّثنا مسدَّدٌ عن هُشَيمٍ عن سَيّارٍ عن الشَّعبي عن جابرٍ قال: «كنتُ

(١) باب الأكل مما يليه ـ كتاب الأطعمة.
(٢) باب من تتبع حوالي القصعة ـ كتاب الأطعمة.
(٣) باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة ـ كتاب العمرة.

مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ، فلما قَفَلنا تَعَجَّلتُ على بَعيرٍ قَطوفٍ، فلَحِقني راكبٌ من خَلْفي، فالتفتُّ فإذا أنا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: ما يُعجلُك؟ قلتُ: إني حَديثُ عهدٍ بعُرس. قال: فبِكراً تزوجتَ أم ثيِّباً قلت: بل ثيِّباً. قال: فهلاّ جاريةً تُلاعبُها وتلاعبُك. قال: فلما قدِمنا ذَهَبنا لندخُلَ فقال: أمهِلوا حتى تدخلوا ليلاً ـ أي عشاءً ـ لكي تمتَشِطَ الشَّعِثة، وتَستَحدَّ المُغِيبة». قال: وحدَّثني الثِّقةُ أنه قالَ في هذا الحديث: «الكَيسَ الكَيس يا جابر» يعني الوَلَدَ[1].

المبايعة على ماذا؟

حدّثنا موسى بنُ إسماعيلَ حدَّثَنا جُوَيريةُ عن نافعٍ قال: قال ابنُ عمرَ رضيَ الله عنهما «رجَعْنا منَ العام المقبل، فما اجتمعَ منّا اثنانِ على الشجرةِ التي بايَعْنا تحتَها، كانت رحمةً منَ الله. فسألنا نافعاً: على أيِّ شيءٍ بايَعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايَعهم على الصبر»[2].

هنا البيعة على الصبر وليست على الموت، بينما هناك حديث آخر يقول أن البيعة كانت على الموت، وهذا نص الحديث:

حدّثنا المكيُّ بنُ إبراهيمَ حدَّثَنا يَزيدُ بنُ أبي عُبيدٍ عن سَلمةَ رضي الله عنه قال: «بايعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ثم عَدَلتُ إلى ظِلِّ شجرةٍ، فلما خفَّ الناسُ قال: يا ابنَ الأكوع ألا تُبايعُ؟ قال: قلت: قد بايعتُ يا رسولَ اللهِ، قال: وأيضاً. فبايعتهُ الثانية. فقلتُ له: يا أبا مُسلمٍ، على أيِّ شيءٍ، كنتم تُبايعون يومَئذٍ؟ قال: على الموت».

---

(١) باب طلب الولد ـ كتاب النكاح.

(٢) باب البيعة.

يأمر بالوصية ولا يوصي

حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن نافعٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما حَقُّ امرىءٍ مُسلمٍ لهُ شيءٌ يُوصِي، فيه يَبِيتُ لَيلَتَينِ إلا ووَصيَّتُهُ مكتوبةٌ عندَه»[1].

حدّثنا خَلاّدُ بنُ يحيى حدَّثنا مالكٌ هوَ ابنُ مِغْوَلٍ حدَّثَنا طلْحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ قال: «سألتُ عبدَ اللهِ بنَ أبي أوفى رضيَ اللهُ عنهما: هل كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا. فقُلتُ: كيفَ كُتِبَ على الناسِ الوَصيَّةُ أو أمِروا بالوصيَّة؟ قال: أوصى بكتابِ اللهِ»[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) باب الوصايا ـ كتاب الوصايا.

(٢) الباب السابق.

من آدابه وسلوكياته

يغسل يديه ورجليه في ماء ويمج فيه ثم يطلب من الناس شربه

حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يونُسَ قال: حدَّثَنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ عنِ الجَّعْدِ قال: سمعتُ السائبَ بنَ يَزيدَ يقولُ: ذَهَبتْ بي خالَتي إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ ابنَ أُختي وَجِعٌ، فمسحَ رأسي وَدَعا لي بالبرَكةِ. ثمَّ تَوَضَّأ فشَرِبتُ مِن وَضوئه، ثمَّ قمتُ خَلفَ ظَهرِه فنَظَرتُ إلى خاتمِ النبوَّةِ بينَ كَتِفَيهِ مِثلَ زِرِّ الحَجَلةِ[1].

وفي رواية سابقة قال أبو موسى: دَعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقَدَحٍ فيهِ ماءٌ فغَسَلَ يدَيهِ وَوَجهَهُ فيه، ومَجَّ فيه، ثم قال لهما: «اشْرَبا منهُ، وأفرِغا على وَجُوهِكما ونُحورِكما»[2].

وفي حديث آخر: حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدَاللَّهِ قال: حدَّثَنا يَعقوبُ بن إبراهيمَ بنِ سَعدٍ قال: حدَّثَنا أبي عن صالحٍ عنِ ابنِ شِهابٍ قال: أخبرَني محمودُ بنُ الرَّبيعِ قال: وهُوَ الذي مجَّ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في وجهِهِ وهُوَ غُلامٌ من بئرِهم. وقال عُروَةُ عنِ المِسْوَرِ وغيرِه يُصدِّقُ كلُّ

(١) باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٢) نفس الباب السابق.

واحدٍ منهما صاحبَه: وإِذا تَوَضَّأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم كادُوا يَقتَتِلونَ على وَضوئه[1].

مناقشة النص

الرواية الأولى تقول بأن السائب ابن زيد شرب من فضلة وضوء الرسول، طلباً للعلاج.

والرواية الثانية تقول: «دَعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقَدَحٍ فيهِ ماءٌ فغَسَلَ يدَيهِ وَوَجهَهُ فيه، ومَجَّ فيه، ثم قال لهما: «اشْرَبا منهُ، وأفرِغا على وَجُوهِكما ونُحورِكما».

والرواية الثالثة تقول: «وإِذا تَوَضَّأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم كادُوا يَقتَتِلونَ على وَضوئه».

والروايات الثلاث تشير إلى أن الماء الفضلة من وضوء الرسول فيه بركة وعلاج، وكأن الرسول خلق من طينة غير طينة البشر لدرجة أن الماء الذي يتوضأ منه ويغتسل به من الأوساخ يكون علاجاً لمن شربه.

ولو كان كذلك فإن الرسول لا تصيبه الأمراض التي تصيب الناس، ولا يتسخ جسده كبقية البشر، وهذا تعظيم وغلو ينفيه عنه القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ فصلت٦

فهو بشر يصح ويمرض ويتسخ جلده وينظف ولا يختلف جسده عن أجساد الناس، وفضلة وضوئه لا تصلح للشرب ولا للتداوي، بل قد تسبب الأمراض لشاربها.

---

(١) نفس الباب السابق.

كما تتحدث الرواية الأولى عن أن السائب قد نظر إِلى خاتمِ النبوَّةِ بينَ كَتِفَي الرسول مِثْلَ زِرِّ الحَجَلةِ. دون أن يبين هل كان رسول الله عاري الكتفين والظهر عندما دخل السائب وخالته عليه، وبقي عاري الظهر حتى مع وجود إمرأة «أجنبية»؟ أم أن الرسول قد تنبأ برغبة الطفل في التحقق من حمله لخاتم النبوة، فأزاح لباسه وكشف عن ظهره حتى رأى الخاتم؟

وما هي الحكمة من أن يتحقق طفل من وجود خاتم النبوة مرسوماً بين كتفي الرسول؟

ولو كان وجود ما يشبه «زِرِّ الحَجَلةِ» بين كتفي الرسول دليل حسي على صدق دعوته، لأمره الله سبحانه وتعالى أن يظهره لكفار قريش وغيرهم ممن كذبه صلوات الله عليه كمهجزة حسية تقوم عليهم بموجبه الحجة فإن آمنوا وإلا وقع عليهم العذاب، كما هي سنة الله في الذين خلوا. إذ أن تحقق المعجزة الحسية يتبع بنزول العذاب إذا لم يؤمن بالمعجزة من رآها، ولذلك عندما طلبت قريش نزول الملائكة كمعجزة ودليل حسي لصدق دعوة محمد، لم ينزل الله الملائكة لأنه لو نزلت الملائكة ولم تؤمن قريش فسيحل بهم الهلاك: ﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾ (الأنعام: ٨)

ولكن يبدوا أن قول الله «وخاتم النبيين» في الآية (٤٠) من سورة الأحزاب[١] إلتبس على البعض ممن ابتلي بهم التراث الإسلامي فظن أنه يعني أن هناك خاتم، أي رسم وشكل للنبوة، وتخير أو تخيل أنه موجود بين كتفي الرسول على شكل نتوء.

---

(١) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً.

ولو كان للرسول خاتم نبوة فهذه معجزة حسية ينفي القرآن الكريم في كثير من الآيات، وقوعها لمحمد، ومنها: ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء٥

* * *

يدخل المسواك في فيه لدرجة التجشؤ

حدَّثنا أبو النُّعمانِ قال: حدَّثَنا حمّادُ بنُ زَيدٍ عن غَيلانَ بنِ جَرِير عن أبي بُردَة عن أبيهِ قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوجَدْتُه يَسْتَن بسِواكٍ بيدِه يقولُ: «أُعْ، أُعْ» والسواكُ في فِيهِ كأنَّه يَتهوَّعُ[1].

وهذا حديث ورد في باب البزاق والمخاط، ونصه: حدَّثنا محمدُ بنُ يوسُفَ قال: حدَّثَنا سُفيانُ عن حُمَيدٍ عن أنَسٍ قال: بَزَقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في ثَوبهِ[2].

مناقشة النص

هذان الحديثان وغيرهما الكثير لو أخذنا بهما لتصورنا أن الرسول شخص بعيد عن الذوق والآداب العامة، وهو هنا يدخل المسواك في فيه حتى يصل لحلقه فيسبب لمعدته الهيجان فيسمع له صوت التجشؤ «أُعْ، أُعْ»، وفي وضع آخر نجده يبزق في طرف ثوبه. فهل هذه هي الصورة التي يريد المحدثون أن نتصورها عن شخص رسول الله؟

---

(١) باب السواك ـ كتاب الوضوء.

(٢) كتاب الوضوء.

وإذا وجد من يريد أن يصور الرسول بهذه الصورة فلماذا ينقلها لنا كتبة الحديث؟

وعندما نقلها لنا كتبة الحديث، لماذا لم يقم أحد بحذفها من كتب الحديث؟

لأنها لا تحمل تشريعاً، ولا حكمة، ولا موعظة، ولكنها تنال من شخص الرسول وترسم له صورة غير محببة.

وإلا فمحمد صلوات الله عليه كان رسول دين الطهر، لدرجة أنه حرم معاشرة المرأة جنسياً أثناء الحيض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة٢٢٢

فكيف يتلوا علينا الرسول القرآن الذي يأمر بالنظافة والتطهر، ويصدر من الرسول ما يتناقض مع ذلك؟

❊ ❊ ❊

تعصب لقبيلته وتميز لأقاربه

الناس تبع لقريش

حدّثنا قتَيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا المغيرةُ عن أبي الزِّنادِ عنِ الأعرجِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «النـاسُ تَبعٌ لقُريشٍ في هذا الشأنِ: مُسلِمُهم تبعٌ لمسلمِهم، وكافِرُهم تبعٌ لكافِرهم»[1].

مناقشة النص

الحديث يصور قريش على أنهم سادة خلق الله، كما قال اليهود عن أنفسهم بأنهم شعب الله المختار. أما القرآن فقد صور قريش بأقبح صور الكفر في سور كثيرة من القرآن، ومنها سورة التوبة، التي تنص على أن قريش كفار مشركون لا يحفظون العهد ولا يراعون ذمة، وأئمة للكفر. ومن يؤمن منهم فهم إخوان للمسلمين بلا زيادة أو نقصان، يقول تعالى: اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٩﴾ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ

(١) باب يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوبا. . . ـ كتاب المناقب.

فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴿١٢﴾ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ﴿١٣﴾

ومن أسلم منهم فليس له ميزة خاصة عند الله، ولكنه أنقذ نفسه من النار، مثله مثل بقية الخلق، دون أن يمن على الله بإسلامه، ودون أن يكون للناس إماماً لأنه من قريش.

الحكم من بعده لقبيلته

حدَّثنا أحمدُ بن يونسَ حدَّثنا عاصمُ بن محمد سمعتُ أبي يقول: قال ابنُ عمرَ: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لا يزالُ هذا الأمرُ في قريش ما بقيَ منهمُ اثنان»[1].

مناقشة النص

الأمر المذكور في الحديث يعني حكم دولة الإسلام، ولو كان هذا ما أراده الله، فلماذا لم يتم الله أمره؟ ولماذا سيطر على دول المسلمين غير قريش؟

ومن ناحية أخرى فإننا لو استثنينا الخلفاء الأربعة، لوجدنا أن من تولى حكم المسلمين طوال قرون، وإن كانوا من قريش فقد كانوا حكاما مغتصبين، لم يقيموا لله حكماً، عدا محاولات لم تنجح من واحد أو إثنين منهم، أشهرهم عمر ابن عبدالعزيز.

(١) باب مناقب قريش ـ كتاب المناقب.

فكيف يقرر الله أن يحكم دولة دينه شرار الخلق، فقط لأنهم من قريش؟

ولو كان هذا صحيح فهو يؤكد مقولة اليهود أن الله يختار بعض خلقه البشر ليكونوا شعبه المختار.

والواقع أن دولة الإسلام لم يأمر لها الله ولا رسوله بحاكم، لأنها تحكم بكتاب الله وشرعه. وقد تحدثنا بإسهاب في هذا الموضوع في كتابنا سنة الأولين ـ الباب الثامن ـ دولة الإسلام.

نساء قبيلته أفضل من ركب الإبل

وقال ابنُ وهبٍ أخبرَني يونُسُ عنِ ابنِ شهابٍ قال: حدَّثني سعيدُ بن المسيبِ أنَّ أبا هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «نساء قريشٍ خيرُ نساءٍ ركِبنَ الإبل: أحناهُ على طِفلٍ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يدِه»[١].

وهذا الحديث ينطبق عليه ما ينطبق على الحديث السابق.

زوجته عائشة أفضل النساء

حدّثنا يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَملَ منَ الرجالِ كثيرٌ، ولم يَكمُلْ منَ النساء إلاَّ آسيةُ امرأةُ فرعونَ ومريمُ بنتُ عِمرانَ، وإنَّ فضلَ عائشةَ على النساء كفضلِ الثَّريدِ على سائر الطعام»[٢].

---

(١) باب واذ قالت الملائكة ـ كتاب الأنبياء.

(٢) باب قول الله تعالى وضرب الله مثلاً للذين آمنوا. . . ـ كتاب الأنبياء.

وقبلها زوجته خديجة

حدّثني أحمدُ بنُ رجاءٍ حدَّثَنا النَّضرُ عن هِشام قال: أخبرَني أبي قال: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ قال: سمعتُ علياً رضيَ اللهُ عنه يقول: «سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: خيرُ نسائها مريم ابنةُ عِمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ»[1].

ابنه له مرضع في الجنة

حدّثنا حَجّاجُ بنُ منهالٍ حدَّثنا شُعبةُ قال: عديُّ بن ثابتٍ أخبرَني قال: «سمعت البراءَ رضي الله عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: لما مات إبراهيمُ قال: إنَّ له مُرضعاً في الجنَّة»[2].

ابنته سيدة نساء الجنة أو المؤمنين

حدّثنا أبو نُعَيم حدَّثنا زكريا عن فراسٍ عن عامرٍ الشعبيِّ عن مَسروقٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أقبلت فاطمةُ تمشي كأنَّ مشيتها مشيُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فقال النبيُ صلى الله عليه وسلم: مَرحباً يا ابنتي، ثمَّ أجلسها عن يمينه ـ أو عن شمالهِ ـ ثمَّ أسرَّ إليها حَديثاً فبكت، فقلتُ لها: لم تبكين؟ ثمَّ أسرَّ إليها حديثاً فضحكتْ، فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال. فقالت: ما كنتُ لأفشيَ سرَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبيُّ صلى الله عليه وسلم فسألتها». «فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريلَ كان يُعارضني القرآنَ كلَّ سنةٍ مرةً، وإنه

---

(١) باب وإذ قالت الملائكة يا مريم ـ كتاب الأنبياء.
(٢) باب ما جاء في صفة الجنة ـ كتاب بدء الخلق.

عارَضني العام مرَّتين ولا أراهُ إلا حضَرَأجلي، وإنك أولُ أهلِ بيتي لحاقاً بي، فبكيت. فقال: أما ترضَين أن تكوني سيدة نساء أهل الجّنَّة! أو نساءِ المؤمنين ـ فضحكت لذلك»[1].

وذكرت أحاديث أخرى، ليست في البخاري، أن حفيداه الحسن والحسين سيدا شباب الجنة.

مناقشة النص

لم يأت ذكر أحد من الرجال والنساء والغلمان والبنات والأطفال ممن عاش زمن رسول الله في القرآن الكريم، بينما ذكر القرآن إمرأة واحدة بالإسم هي مريم ابنة عمرآن: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ التحريم١٢

وجاء عدد من النساء بدون ذكر أسمائهن، بعضهن كافرات، مثل إمرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ التحريم١٠

وقد تكون منهن إمرأة العزيز: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف٣٠

وملكة مملكة سبأ، التي كانت كافرة وأسلمت: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل٢٣

---

(١) باب علامات النبوة في الإسلام ـ كتاب المناقب.

وبعضهن مؤمنات، مثل: إمرأة فرعون: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿١١﴾

وامرأة عمرآن: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران٣٥

وامرأة زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.﴾ آل عمرآن٤٠

ولم يذكر القرآن أن هناك سيدة للجنة ولا سيد، ولم يذكر أن هناك سيدة لنساء الدنيا ولا سادات لرجالها، وإن وصف مريم بأن الله إصطفاها (إختارها) من بين نساء زمانها (العالمين) لمهمة خاصة وفريدة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٤٢

وهذه المهمة الفريدة من نوعها هي الحمل بدون إتصال جنسي: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ آل عمران٤٥

والعالمين هنا تعني نفس معنى «العالمين» في الآية التالية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة٤٧

والتي معناها العالم المحيط، وليس كل الأرض، في وقت وزمن محدد، وليس في كل الأزمنة. فبنوا إسرائيل فضلوا على الأقوام حولهم لأنه بعث فيهم رسول منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم للصراط المستقيم، بينما بقيت الأقوام حولهم على وثنيتها وكفرها.

أو أنها تعني نفس معنى «العالمين» في الآية التالية: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٧

والتي معناها العالم بالمعنى المتعارف عليه حالياً، أي سكان الكرة الأرضية في كل زمان ومكان، فتكون مريم تميزت عن كل نساء الأرض بأن الله اختارها لتحبل برسول الله عيسى بدون أن يمسسها بشر.

ومع ذلك لم تلقب بسيدة نساء الدنيا لأن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

ولم تسمى سيدة نساء الجنة، لأنه لن يكون في الجنة سادة وعبيد وطبقيات إجتماعية، بل إخوان متقابلين متساوين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴿٤٧﴾ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴿٤٨﴾ الحجر

عمه أقل المشركين عذاباً

حدّثنا موسى بن إسماعيلَ حدَّثنا أبو عَوانةَ حدثَنا عبدُ الملكِ عن عبد الله بن الْحارثِ بن نوفلَ عن عباس بن عبد المطلب قال: «يارسول الله، هل نفعتَ أبا طالبٍ بشيء؟ فإنه كان يَحوطكَ ويَغضبُ لك. قال: نعم، هو في ضَحْضاحٍ من نار، لولا أنا لكان في الدرَك الأسفلِ منَ النار»[1].

(١) باب كنية المشرك ـ كتاب الآداب.

مناقشة النص

لو كان الرسول محمد يستطيع التوسط عند ربه لأحد لفعل لجده عبدالمطلب الذي حماه وحضنه ورباه. ولو كان محمد يستطيع التوسط عند ربه لعمه، أبو طالب، كما يقول الحديث، فلماذا لم يطلب من الله أن يخرجه من النار، لأنه إن كانت شفاعة محمد في أبي طالب قبلها الله، فإن محمداً كان بإمكانه أن يطلب من الله أن يخرج أبا طالب من النار، لا أن يخفف عنه العذاب، إذ أن البقاء في النار يعني الخلود في الجحيم، سواءاً كان في أسفل النار أو أعلاها.

ثم إن الحديث غير منطقي لأنه يقول: «هو في ضحضاح من نار». فهل مجيء كلمة «نار» نكرة، بدون أل التعريف، للإيحاء إلى أن أبا طلب في نار ليست جهنم وأقل حدة منها؟

ولأن مختلق الحديث يعلم أنه ليس هناك إلا نار واحدة، فلم يملك القدرة على التصريح بأن أبا طلب خارجها في نار خاصة.

ويبدوا أن مختلق الحديث لا يعلم أن عبارة «الدرك الأسفل من النار» لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة وبحق المنافقين، وليس بحق المشركين الذين منهم أبو طالب. وهذه هي الآية: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ النساء١٤٥

وعذاب جهنم واحد، وإنما يصف القرآن المنافقين بأنهم في الدرك الأسفل من النار، كنوع من تصوير هول العذاب الذي سيلقونه يوم القيامة.

ومهما فعل أبو طلب لمحمد ودافع عنه فلن يحسب له من الحسنات التي يثاب عليها يوم القيامه، مثله مثل كل من يعمل أعمالاً جليلة فيها

خدمة للإنسان والإنسانية والبيئة، كالمخترعين العظام، لأن الله يقول: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴿٢٣﴾ لأن العمل الصالح يجب أن يكون معه الإيمان لكي يلقى القبول عند الله، ولا يقبل أحدهما بدون الأخر.

* * *

الرسول وأمور الدين

لا يفهم معاني الآيات

حدّثني عبد الله بن محمدٍ حَّدثنا عبدُ الرزّاق أخبرَنا معمر عنِ الزُّهريِّ عن سعيدِ بن المسيَّبِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ما مِن مَولودٍ يولدُ إلاَّ والشيطانُ يَمسُّهُ حينَ يولدُ، فيَستهلُّ صارخاً مِن مَسِّ الشيطان إياه، إلاَّ مريمَ وابنها». ثم يقول أبو هريرةَ: واقرَؤُوا إن شئتم ﴿وإني أعيذُها بك وذريتَها منَ الشيطانِ الرجيم﴾(آل عمران: ٣٦)[١].

ومثله

حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بن محمدٍ حدَّثنا يونُسُ بن محمدٍ البغداديُّ حدَّثَنا شَيبانُ عن قَتادةَ حدَّثنا أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه «أنَّ رجلاً قال: يا نبيَّ الله يُحشَرُ الكافرُ على وَجهِهِ يومَ القيامةِ؟ قال: أليسَ الذي أمشاهُ على الرِّجلَين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيهِ على وجهِهِ يومَ القيامة. قال قَتادةُ: بلى وعزَّةِ ربِّنا»[٢].

(١) باب قوله وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ـ كتاب التفسير.
(٢) باب قوله الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ... ـ كتاب التفسير.

ومثله

حدّثنا إِسحاقُ بن إِبراهيمَ حدَّثنا رَوحُ بن عُبادةَ حدَّثنا عَوفٌ عن الحسَنِ ومحمدٍ وخِلاسٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ موسى كان رجلاً حَيِيّاً سِتِّيراً لا يُرَى من جِلدِهِ شيء استحياءً منه، فآذاهُ مَن آذاه من بني إِسرائيلَ فقالوا: ما يَستَتِرُ هذا التستُّرَ إلاّ من عَيبٍ بجِلدِه: إمّا بَرص وإما أدْرَة، وإما آفة. وإنَّ الله أرادَ أن يُبَرِّئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وَحدَهُ فوضَعَ ثيابهُ على الحَجرِ ثمَّ اغتسَلَ، فلما فرَغَ أقبلَ إلى ثيابهِ ليأخُذَها، وإنَّ الحجرَ عَدا بثوبهِ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر. فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إِسرائيل فرأوه عرياناً أَحسنَ ما خلقَ الله وأَبرأَه مما يقولون وقام الحجر فأخذَ ثوبَهُ فلَبِسهُ وطفق بالحجرِ ضرباً بعصاهُ فوا لله إن بالحجر لندباً من أثر ضربهِ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قولهُ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذَوا موسى فبَّراه الله مما قولوا، وكان عند الله وجيها﴾ (الأحزاب: ٦٩)[١].

مناقشة النص

هذه الأحاديث الثلاثة جاءت لتبين معنى آيات قرآنية وتفسرها، بالإعتماد على فهم القاص لمعاني الأيات. فهي تبين مفهوم قائلها لمعنى الآية وليس معنى الآية الحقيقي أو سبب نزولها أو الموضوع الذي تتحدث عنه.

فالآية التي وردت في الحديث الأول لا تتحدث عن أن مريم وابنها

(١) باب حديث الخضر مع موسى ـ كتاب الأنبياء.

الوحيدان اللذان لم يمسهما الشيطان حين ولادتهما، ولكنها جاءت ضمن آيات تتحدث عن ولادة مريم وكيف نشأت ومن ثم كيف حبلت وهي عذراء وولدت المسيح. والموضوع يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾ وتستمر الآيات.

ولو سألنا أي طبيب أطفال عن سبب بكاء الطفل حديث الولاة فسيجيب بأن مرده ليس مس الشيطان كما تخيل القاص، ولكنه من صنع الرحمن الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، ذلك أن الطفل عندما يخرج من رحم امه، تكون رئتيه فارغتين من الهواء تماماً، فتدخل كمية كبيرة من الهواء إليهما عن طريق التنفس دفعة واحدة، لأول مرة، فيحدث صدى عالياً في رئتي الطفل تدفعه للصراخ بصوت مرتفع، والملاحظ أن الاطفال في الايام العشرة الاولى من حياتهم يبكون بدون دموع، لأن القناة الدمعية لم تبدأ بتأدية وظائفها بعد، وليس لأنها من مس الشيطان.

والقاص الثاني يصور الرسول وكأنه يفهم أن الكفار يحشرون وهم يمشون على وجوههم بدل أرجلهم، كمعنى لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ الفرقان٣٤ وليس إستعارة للدلالة على سوء المصير.

والقاص الثالث يصور الرسول وكأنه يفهم أذى بني إسرائيل لموسى يتلخص بمحاولتهم معرفة سبب ستر جسده عنهم أثناء الإستحمام، مما يعني انه يعاني من عيب خلقي في مناطقه الحساسة، وساق ذلك على شكل قصة خرافية.

* * *

ينسى بعض الآيات

حدّثنا بِشرُ بن آدَمَ أخبرَنا عليُّ بن مسهِر أخبرنا هشامٌ عن أبيهِ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم قارئاً يقرَأ من الليل في المسجد، فقال: يَرحمهُ الله، لقد أذكرَني كذا وكذا آيةً أسقطتُها من سورةِ كذا وكذا»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يتهم الرسول بأنه نسي بعض الآيات، ولولا هذا القارئ المجهول في الليل لما تذكرها. وهذا إتهام بشع لرسول الله، لو صدقناه فلابد أن نصدق إحتمال أنه قد نسي آيات أخرى، ومات قبل أن يتذكرها، وبناءاً على ذلك فالقرآن قد لايكون كاملاً.

ولو تركنا كلام الذي قص الحديث، لوجدنا القرآن يؤكد أن الله سينسخ القرآن في ذاكرة محمد بطريقة لن ينساها أبداً: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ الأعلى٦

---

(١) باب مَن لم يَرَ بأساً أَن يقولَ سورة البَقَرة وسورة كذا وكذا.

ولذلك طمأن الله رسوله بألا يستعجل في ترديد ما ينسخ في ذاكرته ليحفظه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾طه١١٤

لأنه لن ينساه: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة ١٦ ـ ١٩

* * *

لا يعرف كيف يتلوا سورة الإخلاص

حدّثنا عُمرُ بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ حدثنا إبراهيمُ والضَّحَّاك المشرقيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحابِهِ: أَيعجِزُ أحدُكم أن يقرَأَ ثلثَ القرآن في ليلة؟ فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أَيُّنا يطيقُ ذلك يارسول الله؟ فقال: اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ ثلث القرآنِ»[١].

مناقشة النص

قوله: «أَيعجِزُ أحدُكم أن يقرَأَ ثلثَ القرآن في ليلة؟» يعني ظاهر المعنى حرفياً. أي أن الرسول طلب أن يقرأ كل واحد ثلث القرآن في ليلة واحدة.

وبطبيعة الحال لم يكن هناك أمر لله بقراءة هذا الكم من القرآن كل ليلة، بل إن هناك آية من آخر الآيات التي نزلت على محمد تقول للناس بقراءة ما تيسر من القرآن ولو قل في أي وقت من الليل أو النهار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ

---

(١) باب فضل قل هو الله أحد ـ كتاب فضائل القرآن.

مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المزمل٢٠

وهذه الآية تقول بكل وضوح ليس مطلوباً من الناس السهر في أول الليل أو القيام آخره لقراءة القرآن، وأن قراءة قليل من القرآن خيار متاح للجميع في أي لحظة فراغ من الليل أو النهار، ومن لم يفعل فلا ذنب عليه.

ولو صدقنا الحديث فالرسول إن كان طلب من الناس قراءة ثلث القرآن في الليلة كأمر من الله فكيف أمكنه أن يتراجع عن أمر الله؟

وعندما تراجع الرسول عن طلبه للناس بقراءة ثلث القرآن قال إن تلاوة «اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ» تعادل قراءة ثلث القرآن. وهنا يريد منا مختلق الحديث أن نصدق أن الرسول لا يحفظ سورة الإخلاص، فبدل أن يتلوا قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد﴾. قال: «اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ».

ويصور القاص رسول الله بأنه ليس فقط تراجع عن أمر يفترض أن يكون أمراً دينياً لا رجوع فيه لمراعاة رغبة الناس، وأنه لايحفظ سورة الإخلاص، بل إنه برر تراجعه بأن قراءة سورة الإخلاص تعدل في الأجر قراءة ثلث القرآن

فهل يعني ذلك أن السور المتبقية من القرآن مجتمعة لا تعدل إلا الثلثين، وهذا يعني تفاضل بعض كلام الله على البعض الآخر، ولا أظن

أن الرسول يقوى على قول ذلك. فكل كلام الله فضله واحد، وقدره واحد، لكن مصيبتنا في تصورات القصاص، الذين يسردون القصص بمناسبة وبدون مناسبة.

* * *

أم المؤمنين توافق القرآن والرسول يخالفه

حدَّثنا سَعيدُ بنُ أبي مَرْيمَ قال: أخبرَنا نافعُ بنُ عُمرَ قال: حدَّثني ابنُ أبي مُلَيكةَ أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: كانتْ لاتَسمَعُ شيئاً لاتَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ، وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قالتْ عائشةُ فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً﴾ (الانشقاق: ٨) قالت: فقال: «إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ»[١].

مناقشة النص

ابن أبي مليكة الذي ولد في خلافة علي ابن أبي طالب، وتوفي في العام ١١٧ للهجرة، يقول بأن أم المؤمنين عائشة «كانتْ لاتَسمَعُ شيئاً لاتَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ» وكلامه هذا ذكره كتوطئة لتبرير مناقشة عائشة للرسول في هذا الحديث.

والحديث يزعم أن الرسول قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» أي أن كل من يخضع للحساب يوم القيامة فسيدخل النار. ولما تساءلت أم المؤمنين إن

(١) باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه.

كان هذا القول يتعارض مع قول الله تعالى» فسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً» أصر الرسول على أن «من نوقش الحساب يهلك» أي أن كل من يسأل ويحاسب يوم القيامة يهلك أي يدخل النار، وأن الآية تتحدث عن العرض وليس الحساب.

والآية التي وردت في النص هي جزء من قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً. وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً. وَيَصْلَى سَعِيراً. إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ (الإنشقاق: ٨ ـ ١٣)

وهي دلالة على أن هناك حساب لكل البشر، وبناءً على نتيجته يكون المصير للجنة أو للنار، ولا تتحدث الآيات عن العرض، أي عرض الناس على ربهم قبل الحساب.

وهو ما يتوافق مع آيات لا حصر لها يتبينها المتدبر للقرآن الكريم، بوضوح لا لبس فيه.

فالله سبحانه وتعالى سيجمع الناس كلهم يوم القيامه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمرآن: ٩)

وفي ذلك اليوم يكون الحساب: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

وبعد ذلك يتقرر المصير: ﴿. . .فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمرآن: ١٨٥)

وهذه صورة متكاملة عن البعث وتقرير مصائر الناس بناء على حسابهم

يوم القيامة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ. وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ. وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ. خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ. إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة: ١٣ ـ ٣٣)

فكيف يمكن أن يغيب هذا عن الرسول وتتذكره عائشة أم المؤمنين؟

* * *

أقل فهما للقرآن من عمر

حدَّثنا مسدَّدٌ قال حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ عن عُبيدِ اللّهِ قال حدَّثني نافعٌ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهما «أنَّ عبدَ اللّهِ بن أبيٍّ لما تُوُفِّيَ جاءَ ابنهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ اللّهِ أعطِني قَميصَكَ أُكفِّنْهُ فيه، وصلِّ عليه واستغفِر له. فأعطاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قميصَهُ فقال: آذِنِّي أُصلِّي عليه. فآذَنَهُ. فلما أرادَ أنْ يُصلِّيَ عليه جذَبَهُ عمرُ رضيَ اللّه عنه فقال: أليسَ اللّهُ قد نَهاكَ أن تُصلِّيَ على المنافقين؟ فقال: أنا بينَ خِيرَتَينِ قال قال الله تعالى: ﴿استَغِفرْ لهم أو لا تستَغْفِرْ لهم، إن تَستغفِرْ لهم

سَبعينَ مرَّة فلن يَغفِرَ اللّهُ لهم﴾ (التوبة: ٨٠) فصلَّى عليه، فَنَزَلَتْ ﴿ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً﴾ (التوبة: ٨٤)[١].

مناقشة النص

في الحديث السابق رأينا كيف صور المحدثون عائشة وهي تفهم القرآن أكثر من رسول الله، وهنا يصورون عمر ابن الخطاب أيضاً يفهم القرآن أكثر من الرسول.

والقاص هنا يصور الرسول وقد عزم على الصلاة على إبن أبي المنافق، فاعترض عمر على الرسول بحجة أن الله سبحانه وتعالى أنزل قرآناً ينهى الرسول عن الصلاة على أحد من المنافقين. لكن الرسول تصرف كأحد الزعماء الذي يعتد برأيه ولو اتضح خطأه، وأصر عليه، مبرراً ذلك بأن الآية تخيره في الصلاة عليهم أو الإمتناع.

فنزل القرآن يظهر خطأ الرسول في فهم الآية ويصوب عمر.

والمتدبر للقرآن سيلاحظ أن قوله تعالى: ﴿ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً﴾ جاء في الآية (٨٤) من سورة التوبة، وأن قوله تعالى: ﴿استَغفرْ لهم أو لا تستَغْفِرْ لهم، إن تَستغفِرْ لهم سَبعينَ مرَّة فلن يَغفِرَ اللّهُ لهم﴾ قد جاء في الآية (٨٠)، ولو قرأنا سورة التوبة بتدبر سنجد أن الحديث عن المنافقين في السورة يبدأ من الآية (٣٨) ويتطرق لموقفهم من الخروج لغزوة تبوك وامتناعهم عن المساهمة في تجهيز الجيش، ويستمر الحديث إلى ما بعد الآية (٨٤) كموضوع واحد. ولم تنزل الآيات، آية

---

(١) باب الكفن في القميص الذي يكف أو لايكف ـ كتاب الجنائز.

آية، كما يظن قاص الحديث، بحيث أن الآية رقم (٨٤) نزلت ثم بعد أيام نزلت الآية (٨٤).

والآيات نزلت على الرسول وهو في طريقه عائداً من تبوك إلى المدينة، كما تبين ذلك الآية (٨٣)، التي تكملها الآية (٨٤) يقول تعالى: «فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴿٨٣﴾ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴿٨٤﴾

وليس كما يريد منا مختلق الحديث أن نفهم.

ولم يتوقف أمر القصاص عند عمر بل قالوا بأن أعرابياً كان أكثر منطقاً من الرسول، وهذا نص الحديث:

حدّثني عبدُ الله بن محمدٍ حدَّثَنا هِشامُ بن يوسفَ أخبرنا مَعمرٌ عن الزُّهريِّ عن أبي سلمةَ «عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا عدْوَى ولا صَفَرَ ولا هامة. فقال أعرابيٌّ: يارسولَ الله، فما بالُ الإبل تكون في الرملِ كأنها الظباء فيخالطها البَعيرُ الأجربُ فيُجْرِبها؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فمنْ أعدَى الأوَّل»؟[1].

وبطبيعة الحال لايمكن أن ينفي الرسول العدوى، بأي حال من الأحوال. فالرسول إذا سئل ولا يعرف الجواب من السماء فلا يجيب

(١) باب لا هامة ـ كتاب الطب.

السائل بل ينتظر حتى ينزل عليه الوحي. وليس هذا خاص بالإسئلة التي لها علاقة بالتشريع فقط، بل وبالأسئلة العامة، ومن ذلك: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾ الكهف٨٣

فقد كان بإمكان الرسول أن يجيب السائل بأنه لا يعرف عنه شيئاً، وينتهي الأمر. لكن الرسول سكت حتى نزل عليه الوحي فتلاه على السائل. لذا فلا يمكن أن ينفي الرسول العدوى من عند نفسه، إن كان يظن شخصياً أنه لا عدوى، لأن القرآن نزل عليه بنواهي يجب على المسلم أن يجتنبها لكي تكون له الجنة من بينها عدم التعجل بالإجابة على ما ليس لك به علم، في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ الإسراء٣٦

والعدوى حقيقة واقعة، لأن الله سبحانه وتعالى هو من خلق الجراثيم والمايكروبات المسببة للأمراض، وهذه الجسيمات المجهرية لو إنتقلت من المريض إلى السليم لأصابه المرض. ونفي العدوى نفي لحكمة خلق هذه الجراثيم، وإنكار لقدرة الله، وليس إيمان بالله.

* * *

يخفي بعض ما أوحي إليه ثم يندم

حدَّثنا يَحيى بنُ سُليمانَ قال: حدَّثني ابنُ وَهْبٍ قال: أخبرَني يونُسُ عن ابنِ شِهابٍ عن عُبَيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ عنِ ابنِ عباسٍ قال: لمّا اشتدَّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وجَعُه قال: «ائتوني بكِتابٍ أكتُبْ لكمْ كِتاباً لاتَضِلُّوا بَعدَه» قال عُمرُ إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم غَلَبَهُ الوَجَعُ، وعِنْدَنا كتابُ اللهِ حَسْبُنا. فاختَلَفوا، وكثُرَ اللغَطُ. قال: «قوموا عنِّي، ولا يَنْبَغي عندِي

التَّنازُع». فخرَجَ ابنُ عبّاسٍ يقول: إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وبينَ كِتابِه[1].

وفي رواية أخرى: حدّثنا قَبيصةُ حدَّثنا ابنُ عيينةَ عن سليمانَ الأحْوَلِ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنه قال: «يومُ الخميسِ وما يومُ الخميس. ثم بكى حتّى خَضبَ دَمعُهُ الحَصْباءَ، فقال: اشتدَّ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وجَعهُ يومَ الخميس فقال: ائتوني بكتابٍ أكتُب لكم كتاباً لن تَضِلُّوا بعدَهُ أبداً. فَتنازَعوا، ولا يَنبغي عندَ نبيّ تَنازُع. فقالوا: هَجرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم. قال: دَعوني، فالذي أنا فيهِ خيرٌ مما تَدْعوني إليه. وأوصى عندَ موتهِ بثلاث: أخرِجوا المشرِكينَ من جزيرةِ العرب، وأَجِيزوا الوَفدَ بنحوِ ما كنتُ أجِيزُهم، ونسيتُ الثالثةَ»[2].

مناقشة النص

الحديث مروي على لسان ابن عباس، وكأنه شاهد للواقعة، وابن عباس لم يهاجر للمدينة على الإطلاق، لأن والده العباس لم يتلفظ بالشهادتين إلا يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، ولا هجرة بعد الفتح، ولا يمكن تصور أن يترك ابن عباس أهله في مكة ويلتحق بالمدينة ويبقى بها بعد الفتح في السنة الثامنة للهجرة، حتى وفاة الرسول في أوائل السنة الحادية عشر. لأن عمره عندما توفي رسول الله كان ما بين السابعة والثالثة عشر، باختلاف الآراء، ويكون عمره عام الفتح ما بين الرابعة والتاسعة.

(١) باب كتابة العلم.
(٢) باب «هل يستشفع أهل الذمة».

وحتى لو افترض أن ابن عباس قد قدم المدينة مع والده العباس، الذي حضر بالفعل عندما اشتد المرض بالرسول وقبيل وفاته صلوات الله عليه، فقد كان لايزال طفلاً، وغريباً عن المدينة.

وحتى لو افترضنا أنه دخل على رسول الله، وكان هناك بعض الصحابة، فمن غير المعتاد أن يخرج الطفل الغريب ويعلن للناس قائلاً: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وبينَ كِتابِه».

فليس لديه الصلاحيات ولا المسئوليات، ولا النضج الكافي للتلفظ بهذه العبارات.

ثم إن الرسول صلوات الله عليه، بقي يدعوا الناس ٢٣ عاماً، متواصلة، وحرص أثناءها بكتابة ما ينزل عليه مباشرة بعد تلقي الوحي، ليس تفضلاً من عند نفسه، ولكن كجزء من تبليغ رسالة ربه.

وإن كان قد بقي شيئ، فإن الرسول لم يقم بكتابته في حينه، ولما أحس بدنوا أجله خاف سوء العاقبة، فحاول أن يكتبه حتى لا يسأل أمام الله.

وحسب زعم الرواية فإن ما أخفاه كان كثيراً جداً لدرجة أنه سماه «كتاباً» ولم يكن مجرد بضع عبارات، وهو ما يعني أن الرسول دأب متعمداً إخفاء أجزاء مما يوحى إليه. في القوت الذي يردد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)

وسورة المائدة نزلت في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة، أي أن الرسول كان يخفي بعض الوحي مع معرفته السابقة بهذا التحذير.

ولو لم يبلغ الرسول ولو قليلاً مما أوحي إليه في حينه، فالقرآن يخبرنا ماذا سيحل به: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (بني إسرائيل: ٧٣ ـ ٧٥)

ولكنه عليه صلوات الله كان أميناً بتبليغ كل الرسالة، واستحق وصف القرآن الكريم: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (ن: ١ ـ ٤)

* * *

لا يهتم بقضاء صلاة الفجر، ويغتصب ماءَ الوضوء

حدَّثنا مُسَدَّدٌ قال: حدَّثني يحيى بنُ سَعيدٍ قال: حدَّثَنا عَوفٌ قال: حدَّثَنا أبو رَجاءٍ عن عِمرانَ قال: كنّا في سَفَرٍ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإنّا أَسْرَينا حتى إذا كنّا في آخرِ الليلِ وَقَعْنا وَقعةً ولا وَقعةَ أحْلى عِندَ المُسافرِ منها، فما أيْقظَنا إلاّ حَرُّ الشمسِ، وكان أَوْلَ مَن اسْتيقَظَ فُلانٌ ثمَّ فلان ثمَّ فلان ـ يُسمِّيهمْ أبو رَجاءٍ فنَسِيَ عَوفٌ ـ ثمَّ عُمرُ بنُ الخَطّابِ الرَّابعُ، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا نامَ لمْ يُوقَظْ حتى يَكونَ هُوَ يَسْتيْقظُ لأنا لا نَدرِي ما يَحدُثُ لهُ في نَومِه. فلمّا اسْتَيقَظ عمرُ ورأى ما أصابَ النّاسَ ـ وكانَ رجُلاً جَلِيداً ـ فكبَّرَ ورَفَعَ صَوتَهُ بالتكبير، فما زالَ يُكبِّرُ ويَرفَعُ صوتَهُ بالتكبير حتى اسْتَيقَظَ بِصوتِهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا استيقظَ شَكَوْا إليهِ الذي أصابَهمْ، قال: لا ضَيرَ ـ أو لايَضيرُ ـ ارتَحلوا. فارتحلَ، فسارَ غيرَ بَعيدٍ، ثمَّ نزلَ فدَعا بالْوَضوءِ فتوضَّأَ، ونُودِيَ

بالصلاةِ فصلَّى بالناسِ، فلما انفَتَلَ مِن صلاتهِ إذا هُوَ برَجُلٍ مُعتزلٍ لم يُصَلِّ مع القومِ، قال: ما مَنعَكَ يا فلانُ أن تُصلِّيَ مع القوم؟ قال: أَصابَتْني جَنابةٌ ولا ماءَ. قال: عليكَ بالصَّعيدِ، فإنه يَكفيكَ. ثمَّ سارَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه الناسُ من العَطَشِ، فنزَلَ فدعا فُلاناً ـ كان يسمِّيهِ أبو رجاءٍ نَسِيَهُ عَوفٌ ـ ودَعا علياً. فقال: اذْهَبا فابتَغِيا الماء، فانطلقا فتلقَّيا امرأةً بين مَزادَتَينِ ـ أَو سَطيحَتينِ ـ من ماءٍ عَلَى بَعيرٍ لها فقالا لها: أينَ الماءُ؟ قالتْ: عَهدِي بالماءِ أمسِ هذهِ الساعةَ، وَنَفَرُنا خُلُوفٌ. قالا لها: انطَلِقي إذاً. قالت: إلى أينَ؟ قالا: إلى رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم. قالتِ الذي يُقالُ له الصابِىءُ؟ قالا: هو الذي تَعْنينَ، فانْطَلِقي. فجاء بها إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وحدَّثاهُ الحديثَ. قال: فاستَنْزَلوها عن بَعيرها، وَدَعَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإناءٍ ففرَّغَ فيه مِن أفواهِ المَزادَتَينِ ـ أَوِ السَّطِيحتَينِ ـ وَأَوْكَأَ أَفْواهَهُما وَأَطلَقَ العَزاليَ وَنُودِيَ في الناسِ: اسْقوا واستَقوا. فسَقَى مَن شاءَ واستَقى مَن شاء، وكان آخِرَ ذاكَ أَن أعطى الذي أصابَتْهُ الجَنابَةُ إناءً من ماءٍ قال: اذهبْ فأَفرِغْهُ عليكَ. وَهيَ قائمةٌ تَنظُرُ إلى ما يُفْعَلُ بمائِها(١).

مناقشة النص

في الأحوال العادية الركب يرتحل في النهار وينام في الليل، وهنا يقول القاص أن المسير كان في الليل، دون أن يذكر الأسباب الغير اعتيادية التي حملتهم على ذلك: «وإنّا أَسْرَينا حتى إذا كنّا في آخرِ الليلِ وَقَعْنا وَقعةً ولا وَقعةَ أحْلى عِندَ المُسافرِ منها، فما أيْقظَنا إلاّ حَرُّ الشمسِ».

---

(١) باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء.

و المتتبع لما حدث بعد ذلك يرى أن الناس نهضوا على حر الشمس ثم واصلوا المسير في النهار، برغم أن القاص زعم أن الركب كان قد سار طوال الليلة الماضية، وبالتالي فسيكون مجهداً، لمواصلة السير في النهار.

والنص يقول: «وكان أَوْلَ مَنِ اسْتيقَظَ فُلانٌ ثمَّ فلان ثمَّ فلان ـ يُسمِّيهمْ أبو رَجاءٍ فنَسِيَ عَوفٌ ـ ثمَّ عُمرُ بنُ الخَطّابِ الرَّابعُ». فإن كان هذا من كلام يحيى ابنُ سَعيدٍ الذي أخذ منه البخاري الحديث، فكيف علم ابن سعيد بأن عوف نسي، وهو لم يسمع منه؟

وإن كان هو الذي اعترف بالنسيان وحدث بذلك ابن سعيد، فلماذا لم يقل ابن سعيد أن عوف قال: ونسيت أسماء فلان وفلان وفلان؟

وفي كل الأحوال، إذا كان عمران، هو من روى الحادثة، كشاهد عيان، فمن المفترض أن يكون هو أول من استيقظ، أو على أقل تقدير، يذكر كيف عرف أن فلاناً هو أول المستيقضين ثم فلان آخر ثم ثالث، ثم عمر. ولكن من الواضح أن هذا الجانب من القصة، لا يهم القاص ولذا لم يهتم به، ولم يحسب حساب أن يأتي أحد ويتساءل هذا التساؤل؟

وقد جاء ذكر عمر ابن الخطاب، لأن كتب التاريخ صورته كرجل صارم «وكانَ رجُلاً جَلِيداً». وبعد أن ترسخت لدى الناس هيبة السلاطين، تصور القاص أن الرسول كان لديه بروتوكولات مشابهة لبروتوكولات السلاطين في القرون اللاحقة لعصر الرسول، لا يستطيع إلا خاصة الناس تجاوزها، فاختار لذلك عمر، لقربه من الرسول، ولصرامته.

يقول القاص: «وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذا نامَ لمْ يُوقَظْ حتى يَكونَ هُوَ يَسْتيْقِظُ لأنا لا نَدرِي ما يَحدُثُ لهُ في نَومِهِ».

وبطبيعة الحال هذه العبارة لتبرير عدم إيقاظ الرسول من قبل أي واحد من الركب الذين استيقظوا قبل عمر.

يقول القاص عن الرسول: «فلمّا استيقظَ شَكَوْا إليهِ الذي أصابَهمْ، قال: لا ضَيرَ ـ أو لايَضيرُ ـ ارتَحلوا. فارتحلَ، فسارَ غيرَ بَعيدٍ، ثمَّ نزلَ فدَعا بالْوَضوءِ فتوضَّأَ، ونُودِيَ بالصلاةِ فصلَّى بالناسِ».

وارتحال الرسول قبل الصلاة لم يذكر له القاص أي مبرر، ويكون زيادة في تأخير الصلاة التي زال وقتها قبل استيقاظ الرسول. والصلاة لا تؤخر عن وقتها لأي سبب كان، حتى ولو كان المسلمون في مواجهة حربية مع العدو: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ (النساء: ١٠٢)

ويبدوا أن النص ينتهي هنا، وما بعد ذلك فهو إضافات دخلت عليه فيما بعد.

وأول العبارات المضافة: «فلما انفَتَلَ مِن صلاتهِ إذا هُوَ برَجُلٍ مُعتزلٍ لم يُصَلِّ مع القومِ، قال: ما مَنعَكَ يا فلانُ أن تُصلِّيَ مع القومِ؟ قال: أَصابَتْني جَنابةٌ ولا ماءَ».

لأن الركب في العبارات السابقة كان لديهم ماء: «ثمَّ نزلَ فدَعا بالْوَضوءِ فتوضَّأَ، ونُودِيَ بالصلاةِ فصلَّى بالناسِ».

فكيف بقي رجل واحد فقط بدون ماء، وكيف لم يطلب الماء في البداية لأنه أكثرهم حاجة للماء بسبب الجنابة؟

ولكن هذه التساؤلات وغيرها، وعدم الترابط في السرد، لا يهم القاص

ولا البخاري، فالمهم هو إيراد نص منسوب للرسول ليبنى عليه أحكاماً تشريعية.

والإضافة الثانية للنص: «ثمَّ سارَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه الناسُ من العَطَشِ، فنزَلَ فدعا فُلاناً ـ كان يسمِّيهِ أبو رجاءٍ نَسِيَهُ عَوفٌ ـ ودَعا علياً. فقال: اذْهَبا فابتَغِيا الماء».

ويبدوا أن من المهم عند القاص هو التأكيد على أن علي ابن أبي طالب هو الذي اختاره الرسول لجلب الماء، مقابل ذكر عمر في بداية النص، لذا لم يكن مهماً ذكر اسم الشخص الآخر. وفي آخر النص سيتبين القارئ إن كان ما اختلقه القاص يمكن إعتباره من مناقب علي ـ كما أراد له ـ أم تحول إلى مثالب.

يقول القاص بأن علي ورفيقه قابلا «امرأةً بين مَزادَتَينِ ـ أَو سَطيحَتينِ ـ من ماءٍ عَلَى بَعيرٍ لها» وأنهما سألاها أين الماء فأبلغتهما أنه يبعد مسيرة يوم: «فقالا لها: أينَ الماءُ؟ قالتْ: عَهدِي بالماءِ أمسِ هذهِ الساعةَ».

وللمرأتين قوم عطشى وبانتظار الماء «وَنَفَرُنا خُلُوفٌ»، وهو ما يعني أنهما قد أرسلتا لجلب الماء. وهذا مستغرب ومستبعد، لأن الماء يبعد مسيرة يوم، مما يعني تعرض المرأتين للسبي المنتشر في ذلك الوقت، بعكس لو كان الماء قريب من نزل القوم.

ويبدوا أن تأكيد المرأتين على حاجة قومهما الماسة للماء لم يعره علي ولا رفيقه المجهول أي إنتباه «قالا لها: انطَلِقي إذاً. قالت: إلى أينَ؟ قالا: إلى رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم. قالتِ الذي يُقالُ له الصابِىءُ؟ قالا: هو الذي تَعْنينَ، فانْطَلِقي».

وفي هذا جلافة وتجنٍ وظلم مخالف لتعاليم الدين، وحتى لو فعله

مسلم فكيف يوافق عليه الرسول والقرآن يقول: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢)

ولا ينسى القاص النيل من الرسول، بدون مناسبة على لسان المرأتين: «قالتِ الذي يُقالُ له الصابِىءُ؟ قالا: هو الذي تَعْنينَ، فانْطَلِقي».

وهناك ملاحظة لغوية لم ينتبه لها القاص على ما يبدوا، وهي إستخدام صيغة المفرد للتحدث مع المرأتين: ».

والنيل من الرسول لا يتوقف عند نعته بالصابئ، بل يظهره وكأنه وافق علي ابن أبي طالب على سلبه للمرأة ماءها، وعدم إكتراثه إن كان قومها سيموتون عطشاً خلفها: «فجاء بها إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وحدَّثاهُ الحديثَ. قال: فاستَنْزَلوها عن بَعيرِها، وَدَعَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإناءٍ ففرَّغَ فيه مِن أفواهِ المَزادَتَينِ ـ أَوِ السَّطِيحتَينِ ـ وَأَوْكَأَ أَفْواهَهُما وَأَطلَقَ العَزاليَ وَنُودِيَ في الناسِ: اسْقوا واستَقوا، بينما المرأتان المسكينتان قائمتان تَنظُرانُ إلى ما يُفْعَلُ بمائِهما».

فهل يعقل أن يصدر هذا من الرسول والله سبحانه يأمره والمؤمنون بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)

فالرسول نام عن الصلاة، ولما نهض لم يكترث بأدائها بل إرتحل، ثم وافق علياً وصاحبه على إغتصاب ماء إمرأتين مسكينتين، ولم يكترث بمصير قومهما العطشى.

هذا محمد في الأحاديث، ولكنه ليس محمد رسول الهدى الذي أرسله الله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

* * *

يصلي بدون وضوء

حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللّهِ قال: حدَّثَنا سُفيانُ عن عَمرٍو قال: أخبرَني كُرَيْبٌ عنِ ابنِ عباسٍ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نامَ حتى نَفَخَ، ثمَّ صلَّى ـ ورُبَّما قال اضْطَجَعَ حتى نَفَخَ ثم قام فصَلَّى. ثمَّ حدَّثَنا به سُفيانُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، عن عَمرٍو عن كُرَيبٍ عن ابنِ عبّاسٍ قال: بِتُّ عندَ خالتي مَيمونةَ لَيلةً، فقامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ اللَّيلِ، فلمّا كانَ في بَعضِ الليلِ قامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فتَوضَّأ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضوءاً خَفيفاً ـ يُخَفِّفُه عَمْرٌو ويُقَلِّلُه ـ وقامَ يُصلِّي، فتوضَّأتُ نَحواً مِمّا تَوضَّأ، ثمَّ جِئتُ فقُمتُ عن يَسارِهِ ـ ورُبَّما قال سُفيانُ: عن شِمالِه ـ فَحوَّلَني فَجعَلَني عن يَمينِه. ثمَّ صلّى ما شاءَ اللّهُ، ثمَّ اضْطَجَعَ فنامَ حتى نَفَخَ، ثمَّ أَتاهُ المُنادِي فآذَنَهُ بالصَّلاةِ، فقامَ معَه إلى الصلاةِ فصلَّى ولم يَتَوَضَّأْ. قُلنا لعَمرٍو: إنَّ ناساً يَقولونَ: إنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم تَنامُ عَينُه ولا يَنامُ قلبُه، قال عَمرٌو: سَمعتُ عبيد بن عُمَيرٍ يَقولُ: رُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ. ثمَّ قَرأ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي المَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢)[١].

مناقشة النص

النقطة الأولى قول القاص عن الرسول: «ثمَّ صلّى ما شاءَ اللّهُ، ثمَّ

(١) باب التخفيف في الوضوء.

اضْطَجَعَ فنامَ حتى نَفَخَ، ثمَّ أَتاهُ المُنادِي فآذَنَهُ بالصَّلاةِ، فقامَ معَه إلى الصلاةِ فصلَّى ولم يَتَوَضَّأْ».

أي أن الرسول كان يصلي صلوات في الليل وقبل الفجر، ثم نام حتى نفخ، أي على شخيره، للتدليل على أنه نام نوماً عميقاً، وليس نعاس، واستيقظ بصوت المؤذن للفجر، فقام فصلى بدون وضوء. فهل يعقل أن يأمر الرسول الناس بالوضوء لكل صلاة حسبما نزل عليه القرآن، ويصلي هو بدون وضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦)

ولو سلمنا بأن هذا ما حدث. فهل يعني أن الرسول يفعل ما يراه ولو خالف القرآن؟

أم أن من إختلق الحديث رغب أن تتسرب لأذهاننا مثل هذه الأفكار عن رسول الهدى.

النقطة الثانية تتمثل في أن سلسلة الرواة تتكون من البخاري الذي سمع الحديث من عليُّ بنُ عبدِ اللّهِ الذي روى الحديث عن سُفيانُ الذي رواه عن إبنه عَمرٍو الذي رواه عن مولى ابن عباس كُرَيْبٌ، الذي رواه عنِ ابنِ عباسٍ. أي أن الرواة عاشوا في أجيال متعاقبة، ولم يكونوا أبناء جيل واحد، فكيف جاءت عبارة «قُلنا لعَمرٍو: إنَّ ناساً يَقولونَ»، وكأن البخاري وبقية الرواة كانوا في مجلس واحد.

وإلا من هم الذين سألوا عَمْراً؟

النقطة الثالثة تدور حول إجابة عمرو لمن سأله إن كان الرسول تَنامُ عَينُه ولا يَنامُ قلبُه، بجواب لا علاقة له البتة بالسؤال، عندما قال: سَمعتُ عبيد بن عُمَيرٍ يَقولُ: رُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ. ثمَّ قَرأ: ﴿إِنّي أَرَى في المَنامِ أَنّي أَذْبَحُكَ﴾

إلا إذا كان سؤال عمرو عن الرسول من الإضافات التي طرأت على أصل الخبر، والإجابة كانت لسؤال آخر استبدل بالسؤال السابق عن طريق الخطأ.

* * *

يرفث في الحج

حدّثنا أبو المُغيرةِ عبدُ القُدُّوسِ بنُ الحَجّاجِ حدَّثَنا الأوزاعيُّ حدَّثَني عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَ مَيمونةَ وهوَ مُحْرِمٌ»[1].

مناقشة النص

الحديث يقول بكل وضوح أن الرسول «تَزَوَّجَ مَيمونةَ وهوَ مُحْرِمٌ». ولم يخطبها أو يعقد قرانه عليها فقط، بل تزوجها، أي دخل بها.

فهل نصدق هذا الحديث، ونعتقد بأن الرسول كان يرفث في الحج، مع أن القرآن نزل عليه قائلاً: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ

(١) باب تزويج المحرم.

الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة١٩٧

وللتأكيد على أن هذه القصة لم تحدث لرسول الله نقول أن الرسول قد حج مرة واحدة وكانت في السنة العاشرة من الهجرة، بينما نزلت عليه سورة الأحزاب بعيد غزوة الأحزاب التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة، أي قبل حجته بخمس سنين، وفي تلك السورة آية تحرم على الرسول الزواج بامرأة أخرى غير ما سبق له وتزوج بهن، حتى ذلك التاريخ، وهذا نص الآية: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾ الأحزاب٥٢

أنا أصدق قول الله وأكذب من كذب على رسول الله، وللقارئ الخيار.

* * *

يباشر النساء ويقبلهن وهو صائم

حدّثنا سُليمانُ بنُ حربٍ قال عن شُعبةَ عنِ الحكمِ عن إبراهيمَ عنِ الأسودِ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَقبِّلُ ويباشِرُ وهو صائمٌ، وكان أمْلَكَكُمْ لإرْبهِ»[1].

وقال: قال ابن عباسٍ ﴿مآرِبُ﴾ (طه: ١٨): حاجاتُ. قال طاوُسٌ ﴿غَيْرِ أُولي الإِربةِ﴾ (النور: ٣١): الأحمقُ لاحاجةَ لهُ في النساء.

(١) باب المباشرة للصائم.

مناقشة النص

قبل التطرق لهذا الحديث، نشير إلى تعريف «طاوس» لمعنى «غير أولي الإربة» والذي يقول أنه: «الأحمقُ لاحاجةَ لهُ في النساء»، وما على القارئ إلا أن يعود للآية ٣١ من سورة النور التي وردت فيها هذه العبارة ليعرف أن المعنى هو العاجز عن الجماع أو العنين، وأنه إن كان هناك أحمق هنا فهو طاوس بسبب تعريفه السابق.

ونعود للحديث الذي ينسب للرسول أنه يقبّل زوجاته ويباشرهن أثناء الصوم، ومع ذلك يوصف بأنه «كان أمْلَكَكُمْ لإرْبِهِ». والحقيقة أن مباشرة النساء وتقبيلهن لا تنم عن القدرة على السيطرة على المشاعر، بل تنم على الإصابة بالشبق لدرجة العجز عن الصبر حتى الإفطار.

وهذا القذع الموجه لرسول الهدى الذي سمعه البخاري من سليمان ابن حرب ونقله لنا، يتعارض مع الصوم، لأن الله سبحانه أباح العلاقة الجنسية بين الزوجين بعد الإفطار: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ. . . .﴾ البقرة١٨٧

والعلاقة الجنسية أو الرفث، كما سماها القرآن، يدخل فيها التقبيل والتحسس، المباشرة، التي تؤدي للتهيج، وليس المقصود بالتحريم والمنع الوصول للذروة الجنسية والإنزال فقط. فيكون حكم التقبيل والمباشرة من ضمن حكم الرفث، مثلما أن كل حركة أو تصرف أو لمس أو تقبيل حرام يعتبر تقرباً للزنى، وكل ما يقرب للزنى فهو محرم: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾بني إسرائيل٣٢

* * *

يبارك سبي النساء

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعيبٌ عنِ الزّهريّ قال: أخبرَني ابنُ مُحَيريزٍ أنّ أبا سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللّهُ عنهُ أخبرَهُ أنه: «بينما هوَ جالسٌ عندَ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: يا رسولَ اللّهِ إنّا نُصيبُ سَبْياً فنحبّ الأثمانَ فكيفَ تَرى في العَزْلِ؟ فقال: أوَ إنكم تفعلونَ ذلكَ؟ لا عَليكم أنْ لا تَفعلوا ذلكم، فإنها ليستْ نَسَمةٌ كتبَ اللّهُ أن تَخرُجَ إلاّ هيَ خارجةٌ»(١).

مناقشة النص

الحديث يشير إلى أنه كان من المعتاد أن يخرج الصحابة للإغارة على الناس وسبي نساءهم والتسري بهن، تماماً كما كانوا يفعلون في الجاهلية، تحت سمع وبصر الرسول الذي كان يباركه، بل ويحثهم على التسري بالنساء المستولى عليهن.

وإذا كان المؤرخون والمحدثون يقولون أن الرسول منذ أن وطئت قدماه المدينة مهاجراً، قد قام بعشرات الغزوات فليس من أجل السبي ولكنه كان يرسل السرية لموادعة الناس أو دعوتهم للإسلام، ولو كان الغرض من هذه الغزوات هو الإغارة والسبي لتكالبت عليه القبائل، وهو في أمس الحاجة لدفع شرهم، لأنه ضعيف، وأعداد المسلمين لا تتجاوز غالبية الأوس والخزرج، وثلة من ضعفاء مكة، ويكفيه معاداة قريش له.

ولو أن الرسول قد قام بهذه الغزوات بعد القضاء على قوة قريش بفتح مكة، وعندما أصبح قوياً بما يكفي لمعاداة من حوله من القبائل، لأمكن إتهامه ومن معه بالسبي، ولكنه لم يفعل.

---

(١) باب بيع الرقيق.

والقرآن حرم الزنى وما قرب إليه من قول وعمل، فكيف يسمح بإبقاء عادة سبي النساء من أزواجهن وممارسة الزنى معهن[١].

* * *

إقامة حدود الله تخضع لتقدير الرسول

حدّثنا يحيى بنُ بُكير حدَّثنا الليثُ عن عُقيل عنِ ابن شهاب عن أبي سَلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «أتى رجلٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداهُ فقال: يارسولَ الله إني زَنَيت، فأعرضَ عنه حتى ردَّدَ عليه أربعَ مرات، فلما شهدَ على نفسهِ أربعَ شهادات دعاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: أبكَ جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصَنتَ؟ قال: نعم. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فارجموه»[٢].

وهذا حديث آخر، يقول:

حدّثنا عبدُ القدوسِ بنُ محمد حدَّثني عمرو بن عاصم الكلابي حدَّثنا همام بن يحيى حدَّثنا إسحاقُ بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فجاءه رجلٌ فقال: يارسولَ الله إني أصَبت حدّاً فأقمه عليَّ، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضَرَتِ الصلاة فصلى معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلما قَضى

(١) وقد أثبتنا في كتابنا سنة الأولين الباب الخامس / موقف الناس من دعوة محمد ـ غزوة خيبر، أن الرسول لم يسب النساء في خيبر، ولا في غزوة بني المصطلق، وأنه لاوجود لمرأة إسمها صفية بنت حيي التي يزعم الإخباريون أن الرسول سباها وتسرى بها من خيبر.

(٢) باب لا يرجم المجنون ولا المجنونة.

النبيُ صلى الله عليه وسلم الصلاةَ قام إليه الرجل فقال: يارسولَ الله إني أصَبت حدّاً فأقِمْ فيَّ كتابَ الله. قال: أليس قد صلَّيتَ معنا؟ قال: نعم. قال: فإن الله قد غفرَ لك ذنبَك، أو قال: حَدَّك»[١].

مناقشة النص

الرسول في الحديث الأول يسأل الرجل ويتحقق أنه ليس مجنوناً قبل أن يطلب إقامة الحد عليه. وفي الحديث الثاني الرسول لايسأل الرجل ولا يتحقق مما فعل، ويبلغه بأن كفارة الحد عليه هي صلاته مع الرسول فقط.

ولو صدقنا هذان الحديثان لكانت حدود الله يقيمها الرسول متى ما رغب، ويعفوا عنها متى ما أراد، وبالتالي فما فعله سلاطين المسلمين بعد ذلك، من وقف لتنفيذ حدود الله بمستحقيها أو تنفيذ عقوبة أكثر من عقوبة الله على آخرين، هو إتباع لسنة رسول الله.

وبالطبع دين الله، لله، وليس للرسول منه شيء. ودور الرسول لايتجاوز التبليغ، وتنفيذ أمر الله وحدوه.

وقد حذر الله سبحانه وتعالى رسوله من أن يفتنه الكفار عن شيء قليل مما نزل عليه، فما بالك بتعطيل حد أو تنفيذه حسبما يرى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾بني إسرائيل٧٣ ـ ٧٥

❊ ❊ ❊

(١) باب إذا أقر بالحد ولم يبين.

موت الولد يدخل الجنة

حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ حدَّثَنا عبدُ الوارِثِ حدَّثَنا عبدُ العَزيزِ عن أنسٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم «ما مِنَ الناسِ من مُسلِمٍ يُتَوَفَّى له ثلاثٌ لم يَبلُغوا الحِنْثَ إلاّ أدْخَلَهُ اللّهُ الجنَّةَ بفضلِ رَحمتِهِ إيَّاهم».

مناقشة النص

هذا الحديث يماثل حديثاً آخر يقول: حدّثنا هُدْبةُ بنُ خالدٍ قال: حدَّثنا همّامٌ حدَّثني أبو جمرةَ عن أبي بكرِ بنِ أبي موسى عن أبيهِ: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «من صلَّى البَرْدَينِ دخلَ الجنةَ»[١].

ومثله: حدّثنا أبو اليمانِ أخبرنا شُعَيبٌ حدَّثنا أبو الزِّنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه

أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ للهِ تِسعةً وتِسْعينَ اسماً، مائةً إلا واحدة، مَن أحصاها دَخَلَ الجنَّة»[٢].

ومثله: حدّثنا أَبو عاصمٍ عن مالكٍ عن سُمَيٍّ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الشُّهداء: الغَرِقُ، والمطعونُ، والمبطونُ، والهدْمُ»[٣].

وأحاديث أخرى كلها تقول بأن الجنة يمكن دخولها بسبب تعرض الإنسان لأحداث معينة أو أداء أعمال سهلة، بينما القرآن الكريم يقول إن

---

(١) كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل صلاة الفجر.

(٢) كتاب الشروط ـ باب جواز الإشتراط.

(٣) كتاب الأذان ـ باب الصف الأول.

دخول الجنة مشروط بالإيمان والعمل الصالح، وهذا مثال على ما يجب أن يكون عليه المؤمن الذي يستحق الجنة كما ورد في سورة الفرقان:
وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴿٧٦﴾

وكل من تبع أوامر القرآن واجتنب نواهيه فسيدخل الجنة ولو لم يصل البردين أو يعدد أسماء الله الحسنى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾بني إسرائيل١١٠

أما الموت غرقاً أو طعناً أو بسبب مرض باطني أو بسبب الهدم، فلن يدخل الجنة، إلا إذا كانت أعمال الميت تؤهله لدخول الجنة. ولم يذكر

الله في كتابه العزيز أي تميز لمن مات بواحدة من هذه الأسباب ولا بغيرها، لأن الموت مقدر على الإنسان وسيلاقيه بسبب أو بآخر، ولن يكتسب أجراً لأنه مات بهذا السبب أو بغيره.

ولا وجود لكلمة شهيد في القرآن بمعناها المتداول الآن، والذي يعني أنه سيدخل الجنة دون حساب، ولكن كلمة شهيد وردت في القرآن ٣٢ مرة كلها بمعنى الشاهد على الحدث. ولم يسم القرآن المقتول في سبيل الله شهيداً، بل سماه مقتولاً، وإن وعده بالجنة: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ البقرة١٥٤

ومثله: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران١٦٩

وحتى من مات في المعركة فلا يستحق الجنة إذا كان قد إقترف ما يوجب النار.

ويكون من مات له ولد أو إثنان أو ثلاثة أو عشرة، فلن يدخله ذلك الجنة، لأن الجنة تكتسب بالأعمال التي يؤديها الشخص، وليس بالأحداث التي تقع لمن يحب، ولو كان ذي قربى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر١٨

وبما أن الموت قدر على الناس، فمن الواجب ألا نجزع لموت الولد ولا الوالد، وإن أصابنا الحزن على الفراق، لأن الموت مرحلة إنتقالية بين الدنيا والآخرة يمر بها الجميع، وإن سبق بعضنا بعضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج٥

* * *

إحراق الجثة مدعاة لرحمة الله

حدّثنا أبو الوَليدِ حدَّثنا أبو عَوانةَ عن قَتادةَ عن عُقبةَ بن عبدِ الغافرِ عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أنَّ رجُلاً كان قبلَكم رَغَسَهُ اللهُ مالاً، فقال لبَنيهِ لما حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ. قال: فإني لم أعمَلْ خيراً قطُّ، فإذا مُتُّ فأحرقوني، ثمَّ اسحَقوني ثم ذَرُّوني في يوم عاصِف. ففَعلوا. فجمعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ فقال: ما حملَكَ؟ قال: مَخافَتُك. فتلقّاهُ برحمته»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث ينطبق عليه ما ينطبق على الأحاديث السابقة من أن دخول الجنة يحتاج لإيمان وعمل صالح، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التغابن٩

والعمل الصالح يتمثل باجتناب كل نواهي القرآن الموجبة للنار، وأتباع

(١) باب حديث الغار ـ كتاب الأنبياء.

أوامره الموجبة للجنة، ولن ينجي المرء من النار وصيته بحرق جثته، حتى لو كان الدافع خوفه من أن يعذبه الله، فأمر بحرق جثته حتى لا يستطيع الله أن يجده ويبعثه يوم القيامة.

بل إن مجرد الإعتقاد أن إحراق الجثة أو إتلافها بطريقة أخرى، أو دفنها وتحللها إلى تراب يعني عدم استطاعة الله ـ جل وعلى ـ على بعثها هو كفر بالله وقدرته موجبة وحدها للنار: أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴿٣﴾ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴿٤﴾ القيامة

لأن الله بكل بساطة قد أنشأ الإنسان من العدم في البداية: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس٧٩

بل وفطر (أنشأ من لاشيء) الكون كله وما يحويه من مخلوقات: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام٧٩

❊ ❊ ❊

يحكم بغير ما أنزل الله، وقبل أن يتبين

حدّثنا آدَمُ حدثَنا ابنُ أبي ذِئبٍ حدَّثَنا الزُّهريُّ عن عُبَيد اللهِ بنِ عبدِ اللهِ عن أبي هريرةَ وزيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ رضيَ اللهُ عنهما قالا: «جاءَ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ اقضِ بَينَنا بكتابِ اللهِ. فقامَ خَصمهُ فقال: صدقَ، اقْضِ بَينَنا بكتابِ الله. فقال الأعرابي: إن ابني كان عَسِيفاً على هذا فزَنى بامرأتهِ، فقالوا لي: على ابنِكَ الرَّجْم، ففَدَيتُ ابني منهُ بمائةٍ منَ الغَنم ووَليدةٍ، ثمَّ سألتُ أهلَ العلم فقالوا: إنما على ابنك جَلدُ مائةٍ وتَغريبَ عامٍ. فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: لأَقْضِينَّ بَينكما بكتابِ اللهِ، أما

الوَليدةُ والغَنمُ فرَدٌّ عليك، وعلى ابنِكَ جَلدُ مائةٍ وتَغريبُ عام. وأمّا أنتَ يا أُنَيسُ ـ لِرجُلٍ ـ فاغْدُ على امرأةِ هذا فارجُمها. فغَدا عليها أُنَيسٌ فرَجَمَها»[1].

مناقشة النص

القصة لم تحدث على أرض الواقع، ولكنها من تخيلات القاص، وإلا لذكرتها كتب التاريخ والسير ولتم تعريف أبطال القصة بالإسم، لأن عدد المسلمين زمن رسول الله محدود، وكلهم عرفتهم كتب السير والرجال. والحديث يظهر الرسول أنه حكم باستعجال ظاهر يشابه استعجال قضاة اليوم، ودون تثبت أو تبين، بخلاف ما يتلوا من القرآن الذي يأمره بالتثبت والتأكد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات٦

وهذا في كل أمر، فما بالك بهذه القضية التي حكم فيها الرسول بإزهاق روح إنسان بمجرد الإستماع للمدعي في جلسة واحدة خاطفة، ولم يتثبت من صدق قوله، أو حتى يسأل المتهمين.

وألدهى من ذلك أن الحديث يقول على لسان الرسول أنه قال: «لأَقْضِينَّ بَينكما بكتابِ اللهِ» أي أن الرسول سيقضي بالإعتماد على نص آية أو آيات من القرآن الكريم، ولكنه لم يفعل. فقد حكم على الرجل بالجلد مائة وتغريب عام، وليس في كتاب الله تغريب. وحكم على المرأة بالرجم، وليس في كتاب الله رجم.

(١) باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ـ كتاب الصلح.

فهل يريد منا قاص الحديث أن نصدق أن الرسول يحكم على الناس برأيه الخاص ويوحي لهم أنه يقضي بموجب ما جاء في القرآن الكريم؟

* * *

لا يثق بقول الله

حدَّثَنا أحمدُ حدَّثنا ابن وَهبٍ أخبرنا عَمروٌ أن أبا النَّضِر حدَّثهُ عن سليمان بن يَسار عن عائشةَ رضي الله عنها زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى أرَى منهُ لهواتِهِ، إنما كان يَتبسَّم». قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناسَ إذا رأوا الغيمَ فرِحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأَراك إذا رأيته عُرف في وَجهكَ الكراهية؟ فقال: يا عائشة ما يُؤْمِنِّي أن يكون فيه عذاب؟ عُذِّب قَومٌ بالرِّيح، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا: ﴿هذا عارضٌ ممْطرُنا﴾ (الأحقاف: ٢٤)[١].

مناقشة النص

هذا الحديث لو صدقناه فالرسول كان في حالة ترقب دائم، خوفاً من أن يقع عليه عذاب كعذاب قوم عاد، وهو في المدينة ويعيش بين من قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة١٠٠

ولو كان هذا صحيحاً فالرسول لا يثق بتطمين الله له بأن عذابه لن يقع

(١) باب قوله عارض ممطرنا ـ كتاب التفسير.

على قريش عندما كان الرسول بينهم في بداية الدعوة، بسبب أنه صلوات الله عليه كان بينهم: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال٣٣

أليس هذا تجنٍ على الله ورسوله، وتصوير له سبحانه بالذي لايؤمن جانبه، وأن الرسول يعلم ذلك علم اليقين؟

محاكاة لله

يحرم التكني بكنيته

حدَّثَنا موسى قال: حدَّثَنا أبو عَوانةَ عن أبي حَصِينٍ عن أبي صالحٍ عن أبي هُرَيرَةَ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «تَسَمَّوا باسْمي، ولا تَكَتنوا بكُنْيَتي. ومَنْ رآني في المَنام فقدْ رآني، فإنَّ الشيطانَ لا يَتمثَّلُ في صُورتي. وَمَنْ كذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ منَ النار»[1].

وفي رواية أخرى: حدّثنا آدمُ حدَّثنا شُعبةُ عن حُصين بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجَعد عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «سموا باسمي ولا تكتَنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسُم بينكم»[2].

وفي رواية أخرى: حدّثنا عَبدانُ أَخبرَنا عبدُ الله عن يونسَ عن الزّهري حدّثني أبو سَلمةَ أَنّ أَبا هريرة قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «من راني في المنام فسيراني في اليقظةِ، ولا يَتمثل الشيطان بي». قال أبو عبدالله: قال ابن سِيرين إِذا راه في صورته[3].

---

(١) باب إثم من كذب على النبي.
(٢) باب من سمى بأسماء الأنبياء.
(٣) باب من رأى النبي في المنام ـ كتاب التعبير ـ المجلد التاسع.

مناقشة النص

هل يريد أن يقول لنا هذا الحديث أن الرسول أراد محاكاة الله، جل وعلى، وذلك بتحريم التكني بكنيته أسوة بتحريم التسمي بأسماء الله الحسنى؟

والحديث، يقول أن التكني بأبي القاسم، يجب أن يختص به الرسول، دون بقية الناس، وأورد سبباً ذلك يتلخص بأنه يقسم بين المسلمين.

فإن كان ما يقسمه الرسول أموراً يومية عادية فغيره يستطيع ذلك. وإن كانت أموراً معيشية أو دينية فهي ليست لا للناس ولا للرسول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢)

وبطبيعة الحال الرسول سمي أبا القاسم، على عادة العرب الدارجة إلى اليوم في بعض البلاد، لأن إبنه الأكبر اسمه القاسم، والإحتمال هنا أن راوي الحديث يجهل أن للرسول ابن اسمه القاسم.

القاص يزعم أن الرسول قال: «مَنْ رآني في المَنامِ فقدْ رآني، فإنَّ الشيطانَ لا يَتمثَّلُ في صُورتي».

فما هي الحكمة من ظهور الرسول لبعض الناس في منامهم؟

والرسول قد مات: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر٣٠ ـ ٣١) والميت لا يستطيع الرجوع للدنيا لا حياً ولا في المنام، وما يحدث عندما يرى المرء أحد أقربائه الموتى، هو أن الحلم يعكس الحالة الفكرية والنفسية التي يكون عليها الإنسان في

لحظة من اللحظات، ومنها تذكرهم، فتعرض له صورهم التي يعرفها، في المنام، ولا تعني أن الميت لديه القدرة على التواصل مع الأحياء بأي طريقة من الطرق، وهذا ينطبق على الرسول عليه السلام.

ولو رأى أحد شخصا في المنام وظنه الرسول، أو رأى شكلاً ظنه الشيطان، فالشخص ليس الرسول، والشكل ليس الشيطان. لأنه لا الرسول صلوات الله عليه، ولا الشيطان لعنه الله، سبق للنائم أن رآهما، وبالتالي فلن يستطيع إسترجاع صورتهما في منامه.

* * *

حرمٌ للرسول كحرم الله

حدّثنا أبو النُّعمانِ حدَّثَنا ثابتُ بنُ يزيدَ حدَّثَنا عاصمٌ أبو عبدِ الرحمنِ الأحْولُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «المدينةُ حَرَمٌ من كذا إلى كذا، لا يُقطَعُ شجرُها، ولا يُحْدَثُ فيها حدَثٌ. مَن أحدَثَ فيها حدَثاً فعليهِ لَعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ»[1].

أما سبب قيام الرسول بتحريم المدينة فقد بينه الحديث التالي:

حدّثنا موسى حدَّثَنا وُهَيبٌ حدَّثَنا عمرُو بنُ يحيى عن عَبّادِ بنِ تميمٍ الأنصاريِّ عن عبدِ الله بن زَيدٍ رضيَ الله عنهُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مكةَ ودَعا لها، وحرَّمتُ المدينةَ كما حرَّمَ إبراهيمُ مكةَ، ودَعوتُ لها في مُدِّها وصاعِها مثلَ مادَعا إبراهيمُ عليهِ السلامُ لمكةَ»[2].

---

(١) باب حرم المدينة ـ كتاب فضائل المدينة.

(٢) باب بركة صاع النبي ـ كتاب البيوع.

ومثله في نفس الباب:

حدّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ قال: حدَّثَني أخي عن سُليمانَ عن عُبيدِ اللهِ عن سعيدٍ المَقْبُريِّ عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «حُرِّمَ ما بينَ لابَتَي المدينةِ على لساني. قال: وأتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بني حارثةَ فقال: أراكم يا بني حارثةَ قد خَرَجْتم منَ الحَرَمِ. ثمَّ التَفتَ فقال: بل أنتم فيهِ».

مناقشة النص

حُرْمَتُ الحرم الذي في مكة جاءت لأنه بيت الله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم٣٧

وقد بين الله ما يحرم في حرمه وبيته: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُواْ للّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ المائدة٩٦

وبين كفارة من يقترف حرام الحرم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ المائدة٩٥

وليس هناك لا لعن من الله وملائكته والناس أجمعين لمن يصطاد في الحرم، كما يزعم الحديث على لسان الرسول، الذي لايملك تحريم مالم

يحرمه الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة١

ويكون حرم المدينة من صنع القاص الذي نسبه للرسول بد وفاته ولم يعلم به، وجعله محرماً على الدوام، بينما حرم الله الصيد في حرمه لمن هو محرم فقط.

ومثله

حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ قال أخبرَنا مالكٌ عن زيدِ بنِ رَباحٍ وعُبيدِ اللَّهِ بنِ أبي عبدِ اللَّهِ الأغرِّ عن أبي عبدِاللَّهِ الأغرِّ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاةٌ في مسجدِي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواه إلاّ المسجدَ الحرامَ»(١).

فالرسول جعل مسجده يوازي بيت الله الحرام أو قريب منه.

ولو صدقنا هذا الحديث فالله أعطى ميزات لمن يصلي في مسجده الحرام، ومسجد رسوله «الحرام رقم٢» لا يتحصل عليها من وجد نفسه يعيش في مكان بعيد عنهما ولا يستطيع الرحيل لهما. ويتعين على من يعيش بعيداً أن يصلي ألف صلاة لكي يكسب أجر صلاة واحدة في مسجد الرسول وأكثر من ذلك ليكسب أجر من يصلي ببيت الله الحرام.

ولو صدقنا فيجب على المسلمين جميعاً العيش في مكة والمدينة لضمان أكبر الأجور عن صلاتهم.

ولكن يبدوا أن الرسول الذي يزعم القاص أنه قال هذا الحديث،

---

(١) باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ـ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة.

لايؤمن بما يقول، ذلك أنه بعد فتح مكة، كان بإمكانه أن يعيش في مكة، ليس فقط أنها مسقط رأسه وفارقها مجبراً قبل ثمان سنوات، بل لأن أجر الصلاة فيها أضعاف الأجر في ما سواها بما في ذلك مسجد رسول الله.

كما أنه أقام مسجداً لأهل قباء ولغيرهم من عالي المدينة ليصلوا فيها، ويحرمهم من أجر ألف صلاة لو صلوا معه في مسجده، برغم قربه وقدرتهم على بلوغه لكل صلاة.

بل وكان يوافق على طلب البعض بالسماح له في الصلاة في بيته، كما فعل مع الرجل الذي جاء ذكره في الحديث التالي: حدَّثنا سَعيدُ بنُ عُفَيرٍ قال: حدَّثَنا الليثُ قال: حدَّثني عُقَيلٌ عنِ ابنِ شِهابٍ قال: أخبرَني محمودُ بنُ الربيعِ الأنصاريُّ أَنَّ عِتْبانَ بنَ مالكٍ وهوَ من أصحابِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ممَّن شَهِدَ بَدراً مِنَ الأنصارِ أنه أتى رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ اللّهِ قد أنكرتُ بَصَرِي وأنا أُصلِّي لقَومي، فإذا كانتِ الأمطارُ سالَ الوادي الذي بَيني وبينَهم لم أستَطِعْ أن آتيَ مسجدَهُم فأصلِّي بهم. ووددْتُ يا رسولَ اللّهَ أَنَّكَ تأتيني فتُصلِّيَ في بَيتي فأَتخذَهُ مُصلًّى. قال: فقال له رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: سأفعلُ إن شاءَ اللّهُ. قال عِتبانُ: فغدا رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ حينَ ارتَفَعَ النهار فاستأذَنَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فأَذِنتُ له، فلم يجلسْ حتى دَخلَ البيتَ ثمَّ قال: أَينَ تُحِبُّ أن أُصلِّيَ من بَيتِكَ؟ قال: فأشرتُ له إلى ناحيةٍ من البيت، فقام رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فكبَّرَ، فقمنا فصفَفْنا فصلَّى رَكعتَينِ، ثم سلَّمَ.... إلى آخر الحديث.

أو أن نصدق أن: ﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ

الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة٩٧

وأن البيت جعل ليؤمه الناس للحج والعمرة: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٧

وأن من حج أو إعتمر فليصلي في البيت: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة١٢٥

دون أن يكون هناك فارق في الأجر بين الصلاة في البيت ـ ومن باب أولى الصلاة في مسجد الرسول ـ أو الصلاة في مسجد في جزيرة نائية، فالأمر بالصلاة، وليس مهما مكان إقامتها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة٥

* * *

يبدل شرع الله ليتوافق مع ظروف الناس

حدّثنا أحمدُ بن يونسَ حدَّثنا إبراهيمُ بن سعدٍ حدثنا ابنُ شهابٍ عن حُميدِ بن عبد الرحمن عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال: هَلَكت. قال: ولم؟ قال: وَقَعت على أهلي في رمضانَ. قال: فأعتقْ رَقبة. قال: ليس عندي. قال: فصُم شهرَين مُتتابعْين. قال: لاأستطيعُ. قال: فأطعم سِتّينَ مِسكيناً. قال: لاأجدُ فأُتيَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعَرَقٍ فيه تمر، فقال: أين السائل؟ قال:

هاأناذا. قال: تَصدَّق بهذا. قال: على أحوَجَ منّا يارسول الله؟ فوالذي بَعَثَك بالحقّ، مابين لابَتَيها أهلُ بيتٍ أحوَجُ منّا. فضَحكَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ أنيابُهُ. قال: فأنتم إذاً»[1].

مناقشة النص

ليس في كتاب الله كفارة لمن يفطر في رمضان، سواءاً كان بالأكل والشرب أو بالمعاشرة الجنسية، أو غيرها. لأن كل العبادات (الصلاة، الصوم، والحج) ليس على تاركها كفارة، وهذا لا يعفيه من الذنب والعقاب.

أن عتق الرقبة من أفضل الأعمال ومطلوب دائماً ولو لم يرتكب المسلم ما يلزمه بذلك: ﴿فلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ البلد١١ ـ ١٨

ولكن عتق الرقبة ككفارة، لا يجب إلا على ثلاثة، هم:

من يحنث في اليمين: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة٨٩

(١) باب نفقة المعسر على أهله ـ كتاب النفقات.

والذي يظاهر زوجته، ثم يواقعها في فترة الظهار﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة٣

ومن يقتل مؤمناً خطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء٩٢

ولا ندري من أين جاء رسول الله بهذه التشريعات، والتشريعات البديلة التي بدأت بعتق رقبة، ثم صيام شهرَين مُتتابعْين، ثم إطعام سِتّينَ مِسكيناً، ثم أعطاه الرسول عَرَقٍ فيه تمر ليتصدق به، ثم سمح له الرسول بأن يأكله مع أهل بيته ككفارة له عن معاشرته لزوجته في نهار رمضان.

والقرآن الكريم فيه خيارات، ولكنها ليست بكثرة الخيارات التي وردت في الحديث، ومن ذلك ما أوردته الآيات السابقة، ومنها أيضاً: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة١٩٦

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن

قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ المائدة٩٥

لكن ليس هناك كفارة لمن يفطر في رمضان في القرآن الكريم.

فهل نسي الله سبحانه ذلك، وتداركه الرسول؟

أم أن الرسول يستطيع سن تشريعات غير تلك التي في القرآن؟

والرسول لم يتلقى وحياً أو إذناً بذلك من الله، لأن الله يقول إن أمر الدين كله لله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف٤٠

ولو أطعنا الرسول في تشريع خارج القرآن لأشركنا الرسول في العبادة مع الله: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران٨٠

* * *

يجيز صلاة القاعد والمضطجع

حدّثنا أبو مَعْمرٍ قال: حدَّثَنا عبدُ الوارثِ قال: حدَّثَنا حسينٌ المعلِّمُ عن عبدِ الله بنِ بُرَيدَةَ أنَّ عِمرانَ بنَ حُصَينٍ وكان رجُلاً مَبْسوراً. وقال أبو مَعْمرٍ مرَّةً: عن عِمرانَ قال: «سَأَلْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن صلاةِ الرَّجُلِ وهوَ قاعدٌ فقال: مَن صلَّى قائماً فهوَ أفضل، ومَن صلَّى قاعداً فلهُ نصفُ

أجرِ القائم، ومَن صلَّى نائماً فلهُ نصفُ أجرِ القاعدِ». قال أبو عبدالله: نائماً عِندي مضطجعاً ها هنا[1].

مناقشة النص

الحديث ينسب للرسول أنه أجاز أن يصلي المرء قاعداً، ولو مع القدرة على القيام، ولكن صلاته واقفاً أفضل. وأجاز أن يصلي المرء مضطجعاً، مع القدرة على القيام، ولكن صلاته واقفاً وجالساً أفضل. ولا يخص بذلك المريض، لأن الحديث على الإطلاق.

وصلاة المريض لا حاجة للتذكير بأنها حسب القدرة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ التغابن١٦

ولأن المريض ليس عليه حرج: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الفتح١٧

فهل حقاً كان الرسول يسمح بالصلاة مضطجعاً، وجالساً، للقادر على القيام؟

وقريب منه:

حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله قال: حدَّثَنا عبدُ الأعلى قال: حدَّثَنا مَعْمرٌ عن الزُّهريِّ عن عبدِ الله بنِ عامرٍ بن ربيعة عن أبيهِ قال: «رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُصلِّي على راحلتِهِ حيث توجَّهَتْ بهِ»[2].

---

(١) باب صلاة القاعد بالإيماء ـ كتاب تقصير الصلاة.

(٢) باب صلاة التطوع على الدواب ـ كتاب تقصير الصلاة.

فهل حقاً كان الرسول يصلي على راحلته متجهاً لغير القبلة؟

القرآن لم يترك الخيار للرسول لكي يتوجه لأي وجهة غير القبلة: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة١٤٤

وأمر الله واضح صارم ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾.

ولكن المحدثين اختلقوا هذه القصص عن الصلاة، وعن غيرها الكثير.

فهل نترك كلام الله إلى كلام القصاص؟

أم نترك كلام القصاص إلى كلام الله جل وعلى؟

* * *

أفعال وأقوال غير معقوله

يسمع ما يدور في القبر

حدَّثنا عثمانُ قال: حدَّثنا جَريرٌ عن مَنصورٍ عن مُجاهدٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ قال: مَرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بحائطٍ من حِيطانِ المدينةِ ـ أو مكةَ ـ فسمِعَ صوتَ إنسانَينِ يُعذَّبانِ في قُبورِهما، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «يُعذَّبانِ، ومايُعذَّبانِ في كَبيرٍ ـ ثم قال ـ بَلى، كان أحدُهما لا يَستَتِرُ من بولِهِ، وكان الآخَرُ يَمشي بالنمِيمَةِ» ثم دَعا بجَريدةٍ فكَسرَها كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ على كلِّ قبرٍ كِسرَة، فقِيلَ له: يا رسولَ اللهِ لَمَ فَعلتَ هذا؟ قال: «لعلّهُ أنْ يُخفَّفَ عنهما مالم تَيْبَسا» أو «إلى أنْ يَيْبَسا»[1].

وفي رواية تالية «إنَّهما لَيُعذَّبان، وما يُعذَّبانِ في كبير: أمّا أحَدُهما فكانَ لا يَستَتِرُ منَ البَولِ، وأمّا الآخَرُ فكانَ يَمشي بالنَّميمةِ»[2].

مناقشة النص

كل الأحاديث التي تقول بعذاب القبر تؤكد أن المعذب لا يسمعه الثقلان، أي الجن والإنس، وليس هناك استثناء لا لرسول ولا لغيره،

(١) باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله.

(٢) نفس الباب السابق.

بينما هذا الحديث يقول أن الرسول سمع «صوتَ إنسانَين يُعذَّبانِ في قُبورِهما».

الحديث يقول بأن الرسول عرف بأنهما يعذبان، ولماذا يعذبان، مع أن هذا من علم الغيب، والله سبحانه وتعالى ينفي أن يكون الرسول على علم بالغيب: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠)

وأهم من ذلك أنه لا يوجد في كتاب الله لا تصريحاً ولا تلميحاً أي ذكر لعذاب في القبر. وتأكيد القرآن أن الحساب يأتي أولاً ثم يتقرر مصير الإنسان إما لجنة أو نار، يجعل من المستحيل أن يكون هناك عذاب في القبر، لأن الحساب لا يكون قبل يوم الحساب، والموت مرحلة انتقالية بين الحياة الدنيا وحياة الآخرة والحساب[١].

* * *

زير نساء لا يقارن

حدَّثنا إِسماعيلُ بنُ خَليلٍ قال: أخبرَنا عليُّ بنُ مُسْهرٍ قال: أخبرَنا أبو إِسْحاقَ ـ هوَ الشَّيْبانيُّ ـ عن عبدِ الرحمنِ بنِ الأسودِ عن أبيهِ عن عائشةَ قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأرادَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن يُباشرَها أَمَرَها أن تَتَّزِرَ في فَورِ حَيضتِها ثمَّ يُباشِرُها. قالت: وأيُّكمْ يَملكُ إِرْبَهُ كما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَملِكُ إِرْبَه؟

(١) وقد أفردنا بحثاً مستقلاً لعذاب القبر ناقشنا فيه إستحالته، واستدللنا بذلك من القرآن الكريم، في فصل خاص من كتاب سنة الأولين.

مناقشة النص

كتاب الحيض كسابقه كتاب الغسل يحتوي على تفاصيل ليس فيها تشريعات إلهية، ولا خدمة للدين، بل وبعيدة كل البعد عن الآداب الإسلامية.

وهذا الحديث يقول بأن الرسول كان يواقع نساءه وهن في فور حيضهن، بعد أن يأتزرن. أي أن الرسول كان يقضي وطره بواسطة الإحتكاك بملابس زوجته الحائض.

فهل في هذا تشريع إلهي، أم أنه تقريع للرسول لا يليق؟

ولكن يبدوا أن من اختلق هذا الحديث لم يسمع بحديث مختلق آخر يقول: حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ قال: حدَّثني أَبي، عن قتادةَ قالَ: حدَّثَنا أَنسُ بنُ مَالِكٍ قال: كانَ النبيُ صلى الله عليه وسلم يَدُورُ عَلى نِسائِهِ في السَّاعَةِ الواحِدَةِ، من اللَّيلِ والنَّهارِ، وهُنَّ إِحْدى عَشْرةَ. قَالَ: قُلْتُ لأَنَس: أَو كَانَ يُطِيقُّه؟ قَالَ: كُنَّا نتحدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِي قُوَّة ثَلاثِينَ(١).

فإذا كان الرسول جمع إحدى عشرة زوجة، وكان يقرعهن جميعاً في ساعة واحدة، كما يزعم هذا الحديث، وإذا ما وجد إحداهن في نفاسها، قضى وطره بحك ثيابها، كما يزعم الحديث الأول، الذي بعد ذلك يصف الرسول بكل صفاقة بأنه لا أحد «يَملكُ إِرْبَهُ كما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَملِكُ إِرْبَه».

---

(١) باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه.

ترى لو صدقنا هذا القصص عن الرسول، فهل لنا أن نتصور كيف سيكون حاله عليه، لو لم يكن يستطيع السيطرة على إربه؟

هل سيقضي وطره بحك ذكره بجدران زوجاته؟

أستغفر الله العظيم.

والحديث الثاني يكمل تصوير الرسول كزير نساء من طراز فريد في تاريخ البشرية كلها ـ حتى بعد إختراع المقويات الجنسية ـ فهو يستطيع أن يواقع إحدى عشرة إمرأة في خلال ساعة واحدة، بمعدل خمس دقائق للقاء الواحد، وكأنه يهدف لضرب رقم قياسي كآلة، دون إكتراث بالمتعة الجنسية كإنسان.

ولأن هذين الخبرين من صنع البشر، والغرض من سردهما عند من اختلقهما، المشاركة في مجلس قصاص. فإن ما قال به مختلق الحديث الأول لا ينسجم مع ما قال به مختلق الحديث الثاني، إذ لو كان الرسول يواقع نساءه في ساعة واحدة، فلن يحتاج لإفراغ طاقته على أثواب زوجته الحائض، لأنه لن يكون لديه طاقة فائضة، وحتى لو كان، فلديه زوجات أخريات بدون طمث.

ومثل هذه الأحاديث تختلق للنيل من الرسول الكريم، ويحافظ عليها ويحميها رجال الدين، والأدهى من ذلك أنهم يجبرون الناس على إعتناقها كجزء من دين الله، وعندما يرددها غير المسلمين ويصفون الرسول بما تصفه به هذه الأحاديث، سواءاً بكتاب ـ كما الآيات الشيطانية ـ أو برسومات على صحف دانمركية ـ تقوم قائمتهم ولا تقعد. وكأن الكفار هم من كذب وتجنى على محمد ووصفه بما ليس فيه، مع أن الكفار رددوا فقط ما تحمله كتب المسلمين المقدسة وتصف به الرسول.

ولو كان محمداً زير نساء، وجمع منهن أكثر مما يسمح به العرف القائم بين الناس في عصره، لما توانى رجال قريش واليهود وغيرهم من أعداء دعوته من التشميت به والمس بسمعته واستغلال ذلك بالتحدث على أنه استغل دعوته لإشباع رغباته الجنسية الجامحة. لكن هذا لم يحدث، ولم يذكر رجل واحد من قريش أو من اليهود أو من غيرهم، أي تصرف جنسي أو غيره معيب اقترفه محمد، لأنه صلوات الله عليه كان أبعد ما يكون عن الخلق المشين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

ولم يتزوج بأكثر من المعتاد من النساء في عصره، ولم يختلف عن غيره من الرسل السابقين الذين كانت لهم عدة أزواج: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨)

وبعيد غزوة الأحزاب التي جرت في السنة الخامسة للهجرة، حرم الله على الرسول أن يتزوج بأي إمرأة أخرى، وأن لا يطلق ما لديه من النساء: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (الأحزاب: ٥٢)

وقبل ذلك خيرت نساء الرسول بين الحياة الصعبة مع الرسول وبين الطلاق، ولذلك جاءت الآية السابقة تأمر الرسول بالإبقاء على من حرمن أنفسهن من نعم الدنيا من أجل البقاء مع الرسول: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً. وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً. (الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩)

وتستمر الآيات مخاطبة زوجات الرسول. . . ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ (الأحزاب: ٣٣)

والبقاء مع الرسول لم يكن كما صورته الأحاديث، عبارة عن حفلات جنسية جامحة يومية، وإنما إقامة للصلوات وإيتاء للزكاة والبعد عن الرجس الذي لا يليق بزوجات النبي.

ويبدوا أن لهذه الأحاديث مصدر شيعي، وجدناه في الكافي، وهذا نصه:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ جَبْرَئِيلُ هَبَطَ على النبي صلى الله عليه وآله بِصَفْحَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ فِيهَا هَرِيسَةٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ عَمِلَهَا لَكَ الْحُورُ الْعِينُ فَكُلْهَا أَنْتَ وَعَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُكُمَا فَإِنَّهُ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يَأْكُلَهَا غَيْرُكُمْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَأَكَلُوا. فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمُبَاضَعَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَكْلَةِ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فَكَانَ إِذَا شَاءَ غَشِيَ نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

ويكون أي حديث أو خبر يقول بأن الرسول قد تزوج بعد غزوة الأحزاب تنكره آيات سورة الأحزاب.

* * *

الجني الذي تفلت على الرسول

حدَّثنا إِسحاقُ بنُ إِبراهيمُ قال: أخبرَنا رَوْحٌ وَمحمدُ بنُ جَعفرٍ عن شُعبةَ عن محمدِ بنِ زِيادٍ عن أبي هُريرةَ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ

عِفريتاً منَ الجِنَّ تَفلَّتَ عليَّ البارِحةَّ ـ أو كلمةً نحوَها ـ ليَقطَعَ علَيَّ الصلاةَ، فأَمْكَنَني اللّهُ مِنْهُ، فأَردْتُ أن أَربِطَهُ إلى سارِيةٍ مِن سَوارِي المسجدِ حتى تُصبِحوا وتَنظُروا إِليهِ كلُّكمْ، فذَكرتُ قولَ أَخي سُليمانَ ﴿ربِّ اغفِرْ لي وهَبْ لي مُلكاً لا يَنبغي لأحدٍ مِن بَعدِي﴾ قال رَوحٌ: فرَدَّهُ خاسِئاً[1].

مناقشة النص

الجن مخلوقات خفية عن الإبصار البشري، لأنها مخلوقة من طاقة وليس لها أجساد مادية كالإنسان، وبالتالي فلا يمكن رؤيتها بواسطة العين البشرية، التي خلقها الله بمواصفات محدودة. لذا لم يعلم الرسول أنه قد تحلق حوله نفر من الجن وهو يقرأ القرآن، إلا بعد أن نزل عليه الوحي لاحقاً، وأبلغه بذلك: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ١ ـ ٢)

والملائكة أيضاً مخلوقات من طاقة، وليس لها أجساد مادية. ولكن الملائكة من العوالم العليا التي تعيش في الكون، حسبما يفهم من القرآن الكريم، الذي دائماً ما يقول عن الملائكة بأنه ينزلون للأرض: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠)

بينما يعيش الجان قريباً من الأرض، لذا كان بإمكان سليمان أن يحشرهم ويسخرهم: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ١٧)

(١) باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد.

ومن الميزات التي ذكرها القرآن للملائكة أنهم يتصورون بهيئات بشرية: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود: ٦٩ ـ ٧٠)

أما الجن فلا يستطيعون ذلك، حتى مع سليمان الذي أعطي ملكاً لا يكون لأحد من بعده، ومنه التعامل مع الجن والتخاطب معهم، دون التشكل بهيئات بشرية. لذا لم يكن بإمكان الرسول صلوات الله عليه، أن يخاطب الجن أو يراهم، عندما تحلقوا عليه وهو يقرأ القرآن.

ولو صدقنا هذا الحديث فهل كان الرسول يحمل حبلاً على الدوام، وعندما تمكن من الجني كان بإمكانه ربطه؟

أو أن يكون الرسول على علم بمجيئ الجني في تلك الليلة مسبقاً، ولذلك استعد له بحبل ليربطه.

ولو كان الوضع كذلك، فإن الرسول كان لديه وقت كاف للتفكير فيما يفعل بالجني إذا ظهر له، وبالتالي إتخذ قرار ربطه بالحبل، وهو يعي أن هذا من إختصاص سليمان فقط.

أو أن الرسول فوجئ بظهور الجني، وعندما غلبه، طلب منه أن ينتظر حتى يحضر الحبل، وقد كان الجني مسلوب الإرادة لدرجة أنه أذعن لطلب الرسول، ولم يتمكن من الرجوع لهيئته العادية ويختفي.

ولو أن الرسول ربط الجني عندما تمثل له بهيئة بشرية، فقد كان بإمكان الجني أن يعود لحالته الطبيعية الخفية ويتخلص من الرباط.

أم أن الحقيقة تتلخص بأن القاص لم يكن تركيزه على حبك القصة، ولكن على توصيل الفكرة التي اختلق القصة من أجلها، كعادة القصاص. وأنه لم يظهر عفريت للرسول، ولكنه ظهر في مخيلة القاص فقط.

والحديث السابق يقول بأن جنياً تفلت على الرسول، وفيما يلي حديث آخر يقول بأن شيطاناً، وليس جنياً، تفلت على أبا هريرة، وذلك لأن من قص الحديث الأول، لم يشأ أن ينسب للشيطان أنه تفلت على الرسول، بينما لم يجد القاص الثاني غضاضة في ذلك بحق أبي هريرة. وهذا نص الحديث:

وقال عثمانُ بنُ الهَيْثم أبو عمرٍو حدّثَنا عَوفٌ عن محمدِ بنِ سَيرِينَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهّ عنه قال: «وكّلني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثو منَ الطعامِ، فأَخَذْتهُ وقلتُ: واللهِ لأرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعليّ عِيال، ولي حاجةٌ شديدةٌ. قال: فخلّيتُ عنه. فأصبحتُ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرةَ ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ؟ قال: قلت: يا رسولَ اللهِ شَكا حاجةً شديدةً وعِيالاً، فرحمتهُ فخلّيتُ سَبيله، قال: أما إنهُ قد كذَبَك، وسيعودُ. فعرَفتُ أنهُ سيعودُ لقولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إنهُ سيعودُ، فرَصَدْتهُ، فَجعلَ يحْثو منَ الطعام، فأَخَذْتهُ فقلت: لأرفعنّك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: دَعْني فإني محتاج، وعليّ عِيال، لاأعودُ. فرحِمتُهُ فخلّيت سبيلَه. فأصبحتُ، فقال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرةَ ما فعلَ أسيرُك؟ قلت: يا رسولَ اللهِ شَكا حاجةَ شديدةً وعِيالا، فرجمتهُ فخلّيتُ سبيلَه. قال: أما إنه قد كذَبَكَ، وسَيعود. فرصَدْتهُ الثالثةَ، فجعلَ يَحْثو منَ الطعام، فأخذتهُ فقلتُ: لأرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاثِ مرّات، إنكَ تَزعُمُ لا تعودُ ثم تعود. قال: دَعْني أُعَلّمكَ كلماتٍ ينفعكَ اللهُ بها. قلتُ: ما هنّ؟ قال: إذا أوَيتَ إلى فِراشِكَ فاقرَأ آيةَ الكرسي

﴿اللهُ لا إلهَ إ:لاّ هوَ الحيّ القيّوم﴾ (البقرة: ٢٥٥) حتّى تَختِمَ الأيةَ فإنكَ لن يَزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظ، ولا يقربنّكَ شيطان حتّى تُصبحَ). فخلّيتُ سبيلهَ، فأصبحتُ فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ؟ قلتُ: يا رسولَ اللهِ زعمَ أنهُ يُعلّمني كلماتٍ يَنفَعُني اللهُ بها فخلّيتُ سبيله، قال: ما هيَ؟ قلتُ: قال لي إذا أَوَيتَ إلى فراشِك فاقرَأ آيةَ الكرسي من أوّلها حتّى تختِمَ الآيةَ ﴿اللهُ لا إلهَ إلاّ هوَ الحيّ القيّوم﴾ وقال لي: لن يَزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظ ولا يقربَك شَيطانٌ حتى تصبح، وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخير. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أما إنّه قد صدَقَكَ وهوَ كَذوب. تَعلمُ مَن تُخاطِبُ مُذ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال: ذاكَ شيطان».

مناقشة النص

يقول القاص على لسان أبا هريرة: «وكّلني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثو منَ الطعام، فأخَذْتهُ وقلتُ: واللهِ لأرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعليّ عِيال، ولي حاجةٌ شديدةٌ. قال: فخلّيتُ عنه».

ولو كان هذا ما حدث، فلم يكن من حق أبا هريرة أن يخلي سبيل السارق، بحجة أنه محتاج. وكان التصرف الطبيعي هو أن يعرف إسمه ومقر إقامته، ويخبره أن هذه الزكاة له ولأمثاله من المحتاجين، ولكن إخراجها لايجوز قبل يوم العيد بيوم أو يومين إلى ما قبل صلاة العيد، وعندما يحين الوقت فسيصله حقه، أو يطلب منه القدوم لأخذ حقه. وإن أصر على الإحتفاظ بما سرق، وجب على أبي هريرة أن يأخذه للرسول.

وبطبيعة الحال لم يكن على أبي هريرة أن يفعل سوى مناداة الرسول، وبصوت عادي، وسيسمعه، لأن الرسول يقطن في غرف ملحقة بالمسجد.

ويقول القاص على لسان أبي هريرة: «فأصبحتُ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرةَ ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ؟».

وهو ما يعني أن الرسول إما أنه سمع ما دار، ومع ذلك لم يخرج، وترك أبا هريرة يتصرف حسبما يرى، لأنه عرف أن من أتاه هو شيطان.

أو أن الرسول لم يسمع بما دار في المسجد.

وكلا الحالين يظهران أن الرسول علم أن هذا (الآت) سيعود عندما خاطب أباهريرة قائلاً: «أما إنهُ قد كذَبَك، وسيعودُ».

وبطبيعة الحال فالرسول لايعلم الغيب، كما دللنا على ذلك في عدة مواضع في هذا الكتاب.

يقول القاص أن أبا هريرة كرر موقفه مع ذلك الشيطان، وهو يعلم أنه كاذب فيما ادعاه، لأن الرسول أبلغه أنه كاذب وأنه سيعود: «فعرَفتُ أنهُ سيعودُ لقولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إنهُ سيعودُ».

وتكرار أبو هريرة لموقفه لا مبرر له، ولكن واضع القصة أراد ذلك.

وفي المرة الثالثة الشيطان قال لأبي هريرة: دَعْني أُعَلّمكَ كلماتٍ ينفعكَ اللهُ بها. قلتُ: ما هنّ؟ قال: إذا أوَيتَ إلى فِراشِكَ فاقرَأ آيةَ الكرسي ﴿اللهُ لا إِلهَ إ:لاّ هوَ الحيّ القيّوم﴾ (البقرة: ٢٥٥) حتّى تَختِمَ الأيةَ فإنكَ لن يَزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظ، ولا يقربنّكَ شيطان حتّى تُصبحَ».

والشيطان لا يصدر منه ما ينفع، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

ومن اللامعقول أن يتبرع شيطان بتعليم إنسان كلمات كفيلة بطرد الشيطان، إلا إذا كان شيطان أبا هريرة من مجانين الشياطين.

ومن اللامعقول أن يؤسر شيطان خلقه الله، من طاقة، وليس من جسد، كما بينا في مناقشة الحديث السابق.

والكلمات التي علمها الشيطان لإبي هريرة تحفظ أبا هريرة نفسه: «فإنكَ لن يَزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظ، ولا يقربنّكَ شيطان حتّى تُصبحَ» والشيطان لم يقرب أبا هريرة، ولم يؤذه ولم يفزعه، ولكنه حثا من الصدقة. وكان من الأجدى لو أن الشيطان علمه كلمات تمنع دخوله ودخول شياطين غيره المسجد.

ويبدوا أن النص قد إختلط بنص آخر، وإلا ما تفسير وجود عبارة «وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخير». التي تلت، وبدون مناسبة، عبارة: «وقال لي: لن يَزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظ ولا يقربَك شَيطانٌ حتى تصبح».

أو أن القاص غفل للحظة عن أنه يتحدث على لسان أبي هريرة، وبصيغة المتكلم، فجاءت عبارة «وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخير». بصيغة الغائب، إشارة لإبي هريرة، كواحد من الصحابة الذين كانوا أحرص شيء على الخير.

أما كيف عرف الرسول أن ذاك كان شيطان، فهو المغزى من القصة التي ركب من أجلها الحديث، ولذلك لم يهتم القاص، أن يذكر كيف عرف الرسول ذلك. أو أنه تعمد ألا يذكر كيف، لأنه لايستطيع أن يقول عن طريق الوحي، حتى لا يذكر الآية.

وبالنسبة لتكرار (ثلاث) فيبدوا أن هذا التكرار كان منتشراً في تلك العصور كدلالة لتأكيد القول أو الفعل، وسيمر بالقارئ الكثير من الأحاديث التي تؤكد على الرقم (٣)، ومن ذلك:

جاء في كتاب العلم: «وأوصى (الرسول) عندَ موتهِ بثلاث».

وفي حديث آخر على لسان معاذ قال: «لبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيك (ثلاثاً)».

وجاء في كتاب الجمعة: «ما مِنَ الناسِ من مُسلِمٍ يُتَوَفَّى له ثلاثٌ لم يَبلُغوا الحِنْثَ إلاّ أدْخَلَهُ اللّهُ الجنَّةَ بفضلِ رَحمتِهِ إيَّاهم».

وفي حديث آخر: «إنَّما الشُّؤْمُ في ثلاثةٍ: في الفَرسِ، والمرأةِ، والدار».

وجاء على لسان أبو هريرة: «إذا استيقظ ـ أُراهُ أحدُكم ـ من منامهِ فتوضَّأ فلْيستَنثِر ثلاثاً، فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومه».

وأحاديث كثيرة غيرها.

* * *

كان فلكياً

حدّثنا مسدَّدٌ حدَّثّنا مُعتمِرٌ قال: سمعت أسحاقَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بَكرةَ عن أبيهِ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

وحدَّثني مسدَّدٌ حدَّثنا مُعتمِرٌ عن خالدٍ الحَذّاء قال: أخبرَني عبدُ الرحمن بنُ أبي بَكرةَ عن أبيهِ رضيَ اللّهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «شهرانِ لا يَنقُصانِ، شهرا عيدٍ: رَمضانُ وذو الحَجَّة»[1].

(١) باب شهرا عيد لا ينقصان.

مناقشة النص

لو صدقنا هذا الحديث فإن أيام شهر رمضان وأيام شهر ذو الحجة تكون ٣٠ يوماً على الدوام. ولو كان الحديث توقف قبل أن ينسب للرسول لاعتبرناه أضغاث أحلام، ولكن أن ينسب للرسول فهذا يعني عند المحدثين والفقهاء نص ديني يبنى عليه أحكام دينية. ولو صام الناس ٢٩ يوماً ثم رأوا الهلال فسيكون من المؤكد، بناءاً على هذا الحديث، أن عليهم قضاء يوم عن اليوم الأول من رمضان الذي لم يصوموا.

لكن الله خلق الكون ومنه الأرض وقمرها الذي يكمل دورته السنوية في ٣٥٤ يوماً تقريباً، بحيث يمكن أن تكون عدة أيام أي شهر من الشهور القمرية، ٢٩ يوماً أحياناً و٣٠ يوماً أحياناً أخرى، بما في ذلك شهري رمضان وذو الحجة.

والقاص ليس فقط يجهل هذه المعلومة، بل يبدوا أنه لا يصوم رمضان ولا يحج، وإلا لمر به رمضان بتسعة وعشرين يوماً ورمضان آخر في سنة أخرى بثلاثين يوماً، ولو لم ينسب الحديث للرسول ويصوره على أنه لا يعلم أنه يصوم شهراً كاملاً حيناً، وشهراً ناقصاً حيناً آخر، لما إكترث أحد لجهل القاص وقلة دينه. والأدهى من ذلك هو أن البخاري ضمنه لكتابه كواحد من الأحاديث التي قال بها الرسول، ولم يفطن لما يعنيه.

❊ ❊ ❊

علم بموت النجاشي في نفس اليوم

حدَّثنا إسماعيلُ قال حدَّثني مالكٌ عنِ ابنِ شِهابٍ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَعى

النجاشِيَّ في اليومِ الذي ماتَ فيه، خَرَجَ إلى المُصلَّى فصَفَّ بهم وكبَّرَ أربعاً»[1].

ومثله

حدَّثنا أبو الربيع حدثَنا ابنُ عُيينةَ عنِ ابنِ جُرَيج عن عطاءِ عن جابر رضيَ الله عنه: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ مات النجاشي: مات اليوم رجلٌ صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصْحَمة»[2].

ومثله

حدَّثنا زُهَيرُ بن حرب حدَّثَنا يعقوبُ بن إبراهيمَ حدَّثَنا أبي عن صالحٍ عن ابن شهاب قال: حدَّثني أبو سَلمةَ بن عبد الرحمنِ وابنُ المسيَّبِ أن أبا هريرةَ رضيَ الله عنه أخبرَهما «أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم نَعى لهمُ النجاشيَّ صاحبَ الحبشةِ في اليوم الذي مات فيه، وقال: استَغفِروا لأخيكم»[3].

مناقشة النص

هناك إحتمال أن الرسول علم بموت النجاشي بعد فترة، عندما حضر أحد من الحبشة للمدينة وأوصل الخبر، ويحتمل أن الرسول لما بلغه الخبر قال لمن عنده: «استَغفِروا لأخيكم»، كما جاء في الحديث الثالث.

ويستشف من الحديث الثاني أن الخبر بعد ذلك أصبح يروى على أن الرسول علم في نفس اليوم، وأنه قال صلوا على أخيكم، بعد أن طغى معنى الصلاة (كطقوس) على معنى الصلاة (كدعاء).

---

(١) باب الرجل ينعى إلى أهل البيت بنفسه.
(٢) باب موت النجاشي / كتاب مناقب الأنصار.
(٣) نفس المصدر السابق.

ومن ثم أصبح الخبر يروى على أن الرسول علم بموت النجاشي في نفس اليوم، وأنه لم يقل صلوا على أخيكم فقط، بل قام وصلى بهم على أخيهم، كما في الحديث الأول.

وإلا فالرسول لايمكن أن يكون عرف بموت النجاشي في نفس اليوم في ذلك الوقت إلا لو أنه نزل عليه وحي من الله، ولو نزل لقرأناه في إحدى سور القرآن.

وما ليس في القرآن من أخبار الأمم السابقة فلا يعلمه الرسول: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود٤٩

* * *

له عينان في ظهره

حدَّثنا إسحاقُ أخبرَنا حَبّانُ حدَّثنا همامٌ حدَّثنا قَتادةُ حدَّثنا أَنسُ بن مالك رضيَ اللّه عنه أنه سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أتمُّوا الركوعَ والسجودَ، فوالذي نفسي بيدِه إني لأراكم من بَعدِ ظهري إذا ما ركعْتم وإذا ما سجَدْتم»[1].

مناقشة النص

كيف يمكن للرسول أن يرى المصلين خلفه وهم في السجود أو الركوع؟

إلا إذا كان القاص يريدنا أن نفهم أن الرسول لديه القدرة في أن يرى خلفه دون أن يدير رأسه، سواءاً بعينيه أو بقدرة أخرى ليست عند البشر.

(١) باب كيف كانت يمين الرسول ـ كتاب الأيمان والنذور.

والرسول أمره الله أن يدعوا الناس ويبين لهم دين الله المنزل عليه، ويأمّهم في الصلاة، وبعد ذلك فليس مسئولاً عن حسن إيمانهم، لأن حسابهم على الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الزمر٤١

* * *

تدافع عنه الملائكة فعليا

حدَّثنا عبدُ العزيزِ بن عبدِ الله حدَّثنا إبراهيمُ بن سعدٍ عن أبيهِ عن جدِّهِ عن سعدِ بن أبي وَقّاص رضي الله عنه قال: «رأيت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يومَ أحدٍ ومعه رجلانِ يقاتِلانِ عنه عليهما ثِيابٌ بِيضٌ كأشدِّ القتال، مارأيتُهما قبلُ ولابعد»[1].

مناقشة النص

لقد هزم المسلمون يوم أحد، وقتل منهم قرابة السبعين، بينما لم يقتل من مشركي قريش سوى أربعة عشر رجلاً، ولو كان هناك ملائكة يقاتلون كأشدِّ القتال، الذي لم ير مثله، كما يزعم القاص، فستكون خسائر المشركين أكبر بكثير من أربعة عشر رجلاً، إن لم تبيدهم الملائكة عن بكرة أبيهم.

ونزول الملائكة في المعارك ليس للقتال ولكن لرفع معنويات المسلمين وزرع الثقة في نفوسهم، بنص القرآن الكريم: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن

(١) باب إذ همت طائفتان منك ـ كتاب الجهاد والسير.

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴿١٢٦﴾ آل عمران

ومثله قوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴿١٢﴾ الأنفال

وهنا يجب أن نشير إلى أن بعض المفسرين وبعض المحدثين يقولون أن الأمر «اضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» في الآية (١٢) موجه للملائكة، مما يعني أن الملائكة شاركت في القتال، وقتلوا من المشركين. وهذا غير صحيح، وتأويل يخرج الآيات من معناه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في نفس الآيات أن نزول الملائكة ليس للمعاونة الفعلية في القتال ولكن للعون النفسي عن طريق رفع المعنويات: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾.

ولو كانت الملائكة تقاتل فعلياً وأعدادهم بالآلاف، فكيف لم يستطيعوا إبادة جيش قريش المكون من بضع مئات، بل لم يقتل قرشي واحد بواسطة الملائكة، وقد سجل المؤرخون أسماء القتلى من الجانبين ومن قتلهم، ولم يكن من بينهم جبريل أو عزرائيل أو ميكائيل.

وفي معركة أحد عندما انشغل المسلمون بجمع الغنائم وكر عليهم المشركون بغتة، إنهزموا وتفرقوا عن الرسول إلا قلة منهم، أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد وسهل بن حنيف وأبو دجانة، وهؤلاء ومن معهم، هم من دافع عن الرسول وليس الملائكة.

* * *

أعلم من السائل بنفسه

حدّثنا أبو نُعَيم حدَّثَنا ابنُ عُيَينةَ عنِ الزُهريِّ عن عَبّادِ بنِ تميم عن عمِّهِ قال: «شُكِيَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلُ يَجدُ في الصلاةِ شيئاً أيَقْطَعُ الصلاةَ؟ قال: لا، حتّى يَسمَعَ صَوتاً أو يَجِدَ رِيحاً»[1].

مناقشة النص

ما يمكن أن يعتبر «من الغائط» فهو من نواقض الوضوء ويجب أن يغسل مَخْرجَه بالماء قبل الوضوء، فإن لم يوجد الماء فالتيمم، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة٦

والريح من الغائط، وخروجها يلزم غسل مخرجها بالماء أو التيمم،

---

(١) باب مَن لم يَرَ الوَساوِس ونحوَها منَ الشُّبُهاتِ ـ كتاب البيوع.

سواءاً كان ذلك بصوت أو رائحة أو بدونهما، لأن الموجب للغسل هو خروج الريح وليس الصوت أو الرائحة. ومن يستطيع التأكد من أنها خرجت أو لم تخرج هو الإنسان نفسه، وليس الرسول.

والسؤال الذي ورد في الحديث يتكرر توجيهه لرجال الدين يومياً، وتتكرر إجابتهم عليه بنفس ما ورد في الحديث، وكأن الموجب للغسل هو الرائحة أو الصوت وليس خروج الريح ذاتها.

وحتى لو أفتى رجل الدين للسائل بأن وضوءه لم ينتقض لأنه لم يجد رائحة ولا سمع صوتاً، فسيخطئ السائل إن هو وافق رجل الدين على فتواه. لإنه إن شعر بخروج ريح فعليه الغسل كما جاء في الآية، ولو لم يسمع صوتاً أو يشم رائحة، وإن كان متأكداً أنه لم يخرج منه ريح، فلا داعي لسؤال رجل الدين عن شيء لا أحد يمكنه أن يتأكد من حدوثه أكثر من المرء نفسه.

* * *

من يبعث أولاً

حدّثنا محمدُ بن يوسفَ حدثَنا سفيانُ عن عمروِ بنِ يحيى عن أبيهِ عن أبي سعيدٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «الناسُ يصعَقون يومَ القِيامةِ فأكونُ أولَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدرِي أفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّور»[1].

(١) باب قوله وواعدنا موسى ـ كتاب التفسير.

مناقشة النص

الحديث يصور البعث وكأنه يتم لكل فرد على حدة، وهو تصور لايمكن أن يصدر عن رسول الله لأنه يتلوا ويفهم معنى قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴿٤٩﴾ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴿٥٣﴾ سورة يس

فالقرآن يقول للكفار في الآية (٤٩) هل ينظرون إلا أن يقع عليهم العذاب فيهلكهم أجمعين، واستخدم عبارة: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ لهلاكهم أجمعين دفعة واحدة.

ونفس العبارة استخدمت للبعث في الآية (٥٣) للتدليل على أنهم سيبعثون دفعة واحدة كما أهلكوا دفعة واحدة.

ولن يكون هناك شخص يبعث قبل الآخرين، ولن يكون البعث بالتتالي فهناك أول ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى آخر واحد.

والايات كثيرة في هذا المعنى، ومنها ما جاء في سور الفرقان ولقمان والنازعات وسورة ص.

* * *

فساد اللحم بسبب بني إسرائيل، ولولا خطيئة حواء لما عُرف الزنى

حدّثني عبدُ الله بنُ محمدٍ الجُعْفيُّ حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ أخبرَنا مَعْمرٌ عن هَمامٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لولاً بنو إسرائيلَ لم يَخنزِ اللحم، ولولا حوّاء لم تخنْ أنثى زوجَها الدَّهر»[١].

مناقشة النص

اللحم يخنز[٢] ويفسد بسبب البكتيريا وليس بسبب بني إسرائيل. وهذا يعرفه تلاميذ المرحلة الإبتدائية، وإن كان هناك رجال دين لايعرفون ذلك، فهم من يحتاج للتعلم، لا أن يطلبوا من الناس أن يشاركوهم جهلهم.

أما أن يكون سبب الزنى هو حواء، فهو إعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي، أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود.

فكتاب اليهود المقدس يقول أن حواء هي التي أقنعت آدم بالأكل من الشجرة، وأن الله عاقبها على ذلك: «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقاً قال الإله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة (حواء) للحية من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الإله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الإله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان مالإله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة

(١) الباب السابق.

(٢) يفسد وينتن كما يقول ابن منظور في لسان العرب.

للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها (آدم) أيضاً معها أكل[1].

فنادى الإله آدم وقال له أين أنت. فقال (آدم) سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها مني أعطتني من الشجرة فأكلت....»[2].

وتقول كتبهم المقدسة أن الله عاقب المرأة عقاباً استمر في نسلها من النساء إلى الأبد، أنظر كتاب التكوين الإصحاح الثالث.

وقد آمن قاص الحديث بهذا الإعتقاد، فحمّل حواء وجود الزنى بين النساء ونسبه للرسول بقوله: «ولولا حوّاء لم تخنْ أنثى زوجَها الدَّهر».

أما القرآن الكريم فيقول أن آدم هو من عصى ربه وأكل من الشجرة أولاً: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾طه١١٥

وتؤكد ذلك آية تليه في نفس السورة: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾طه١٢٠

وقد شاركته حواء الأكل دون أن تكون هي المحرضة أو البادئة: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾طه١٢١

والقول بتوارث الخطيئة قول يهودي أيضاً، أما القرآن فيقول أن الله جل وعلى لا يكلف المرء خطيئة غيره: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا

(١) التكوين:٣: ١ ـ ٦.
(٢) التكوين: ٣: ٩ ـ ١٢.

كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة٢٨٦

ولا يحاسبه إلا على ما اقترفت يداه برضاه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر١٨

* * *

بنو إسرائيل زمن موسى يتكلمون العربية

حدّثني إسحاقُ بن نَصرٍ حدَّثَنا عبدُ الرزّاقِ عن مَعمرٍ عن همامِ بنِ مُنبِّهٍ أنه سمعَ أبا هريرةَ رضيَ الله عنه يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قيلَ لبني إسرائيلَ: ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّة، فبدَّلوا ودخلوا يزحَفونَ على أستاهِهم وقالوا حَبَّة في شَعرة»[1].

مناقشة النص

الحطة طلب غفران الذنوب[2] ومعنى قوله تعالى: ﴿ادخُلوا البابَ سُجَّداً﴾ تعني الإمتثال لأوامر الله وأداء الصلاة، ولا تعني أن يدخلوا الباب وهم في وضع السجود. كما أن معنى حطة طلب المغفرة. وقد جاءت

(١) باب حديث الخضر مع موسى ـ كتاب الأنبياء.
(٢) ابن منظور ـ لسان العرب.

العبارة ضمن آيات تتحدث عن بني إسرائيل زمن موسى، ومن هذه الآيات: وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴿١٦٢﴾ الأعراف

فيكون المعنى أن الله يتحدث عن مواقف بني إسرائيل مع موسى وكيف أنه تكرر كفرهم وطغيانهم وكيف أن الله قد عفا عنهم وصفح عن تجاوزاتهم مرات عدة، ولكنهم كانوا يزدادون كفراً وعصياناً.

وقد تكررت العبارة مرتين في القرآن الكريم:

مرة في الآية (٥٨) من سورة البقرة، جاءت ضمن آيات كثيرة تتحدث عن سيرة بني إسرائيل بدأت من الآية (٤٠)، وهذا نصها: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

وتستمر السورة تتحدث عنهم حتى الآية (١١٣) دون إنقطاع، ثم تعاود السورة الحديث عنهم في آيات متفرقة بعد ذلك. كلها تؤكد أن بني إسرائيل كانوا يجحدون نعم الله المتتالية عليهم ويعودوا للكفر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ.﴿١٠٠﴾

والمرة الثانية التي ذكرت فيها عبارة «ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّة» كان في الآية (١٦١) من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

وجاءت أيضاً ضمن آيات كثيرة تتحدث عن سيرة بني إسرائيل تبدأ بقوله تعالى: ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴿١٠٣﴾

ويستمر القرآن باستعراض سيرتهم بلا انقطاع حتى الآية (١٧١)، مروراً بقوله تعالى: وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴿١٦٢﴾

فيكون المعنى أنه من نعم الله الكثيرة على بني إسرائيل أن طلب منهم إتخاذ القرية بلداً لهم عوضاً عن بلادهم التي يحكمها فرعون والتي خرجوا منها، وأن يحمدوا الله ويطلبوا غفرانه على نعمه عليهم، ومن ذلك إقام الصلاة، لكنهم كفروا بأنعم الله ولم يطيعوا أوامره، وهو معنى قوله تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ. وليس المعنى أن الله طلب منهم أن يدخلوا الباب وهم في وضع السجود، ويرددون كلمة «حطة» فدخلوا «يزحَفونَ على أستاهِهم وقالوا حَبَّة في شَعرة». وكأنهم يتكلمون العربية.

لكن الإسلام ابتلي بخيالات بعض المفسرين والمحدثين، التي ورثناها عنهم، واعتبرناها دين لله.

* * *

معلومات مغلوطة

حدّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ المكيُّ حدَّثنا عمرُو بنُ يحيى عن جَدِّهِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما بَعثَ اللهُ نبيّاً إلاّ رَعَى الغَنمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم، كنتُ أرعاها على قَرارِيطَ لأهلِ مكةَ»[(١)].

مناقشة النص

هذا الحديث ينسب للرسول قوله أن كل الأنبياء كانوا رعاة غنم، ومن السهل تخطئة هذه المعلومة، لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ النحل٣٦

وهو ما يعني أن كل أمة ومجتمع في العالم القديم قد أرسل له رسول، ولأن هناك مناطق رعوية يمكن أن يكون الرسول في بداية حياته قد امتهن الرعي، فإن هناك مناطق زراعية، ومناطق صحرواية لا تعتمد على رعي الغنم.

والرسول محمد صلوات الله عليه لم يثبت أنه رعى الغنم. وليس هناك حكمة من أن يختار الله رسله من رعاة الغنم؟

كما أن القرآن يخبرنا أن داوود كان ملكاً، وسليمان ولد ابن ملك، وتولى الملك بعد أبيه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل١٦

---

(١) باب رعي الغنم على قراريط ـ كتاب إجارة.

وبطبيعة الحال الرسول لم يقل ما نقله الحديث على لسانه، ولكن من قاله هو قاص في مجلس من مجالس القصاص، الذين يحيون مجالسهم بسرد هذه القصص والحكايا التي يكون بعضها تم اختلاقه في اللحظة التي ينطق بها.

* * *

يؤمن بالخرافات

حدّثنا يحيى بنُ جعفرٍ حدَّثنا محمدُ بن عبدِ الله الأنصاريُّ حدثني ابنُ جُرَيح قال أخبرَني عَطاء عن جابرِ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا استَجْنحَ الليلُ ـ أو كان جُنحُ الليلِ ـ فكفوا صبيانَكم فإنَّ الشياطينَ تَنتشِرُ حينَئذٍ، فإذا ذَهبَ ساعةٌ منَ العشاءِ فخَلُّوهم، وأغلقْ بابَكَ واذكرِ اسمَ اللهِ، وأطفىءْ مصباحَك واذكرِ اسمَ الله، وأوكِ سِقاءَكَ واذكر اسْمَ الله، وخَمِّرْ إناءَكَ واذكرِ اسمَ اللهِ ولو تعرُضُ عليهِ شيئاً»[1].

مناقشة النص

الأعتقاد بأن الشياطين أو الجن تنتشر وقت الغروب ليس تشريع قال به صلوات الله عليه، ولكنه خرافة منتشرة في المحيط الذي اختلق فيه هذا الحديث، أو في البيئة التي تربى فيها مختلق الحديث. لأن الشياطين أو الجن إن إنتشرت بيننا فلن نراها، لأن الله جل وعلى يؤكد ذلك: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف٢٧

---

(١) باب صفة إبليس وجنوده ـ كتاب بدء الخلق.

والسبب يعود إلى أن هذه المخلوقات روحانية، أي لها روح ولكن ليست لديها أجساد مادية محسوسة، لأن الله جلت قدرته خلقها من نور أو نار، أي طاقة، بينما خلق الإنسان والحيوان والنبات من روح وجسد يمكن من رؤيتهم.

وإذا كنا لا نرى الجن والشياطين بشهادة الله الذي خلقنا وخلقهم، فهل نصدق من يؤمن بالخرافات ومن يُخيل إليه أنه يرى ما أكد الله سبحانه أنه لايرى؟

وتحذير الحديث من الشياطين يحمل في طياته أنهم يؤذون الأطفال أو يختطفونهم أو يصيبوهم بالجنون أو نحو ذلك، فإن كانت الشياطين تنتشر وقت الغروب وبعده بقليل كما ذكر الحديث فلن يغني عنا شيئاً إن نحن منعنا أطفالنا من الخروج خارج البيت، لأن الشياطين لديهم القدرة لدخول البيوت والوصول لنا ولأطفالنا.

وذكر اسم الله مطلوب ولا اعتراض عليه، لكن الإعتراض على أن تخمير (تغطية) الإناء، إذا كان فيه لبن أو طعام، بأن نعرض عليه شيئ كالعود مثلاً، يمنع من تلوثه أو تسممه، فهذا اعتقاد خاطئ، يبين جهل من قاله بقواعد الصحة التي أصبحت معروفة في زماننا هذا، ولا شأن للشياطين بتسمم الطعام والشراب.

* * *

يتشاءم

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعَيبٌ عن الزُّهريِّ قال: أخبرَني سالم بنُ عبدِ

الله أنَّ عبدَ الله بنَ عمرَ رضيَ الله عنهما قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّما الشُّؤْمُ في ثلاثةٍ: في الفَرسِ، والمرأةِ، والدار»[1].

مناقشة النص

التشاؤم محرم تحريماً قاطعاً وبدليل يقيني: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ. . . . .﴾ المائدة٣

والتشاؤم برؤية شيء، نوع من الأزلام، وهي عادة جاهلية، حيث كان الناس إذا أرادوا أمراً يقدحون الأزلام، فإن ظهر لهم ما يتفاءلون به عزموا أمرهم، وإن ظهر لهم ما يتشأمون به أحجموا، وهو حرام حرمة لا مرية فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة٩٠

فإذا كان التشاؤم محرم بدليل قرآني، فهل يعقل أن يتشاءم الرسول؟

* * *

يُسحر

حدّثنا إبراهيمُ بن موسى أخبرَنا عيسى بن يونسَ عن هشام عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «سَحرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجُلٌ من بني زُرَيق يقال له لَبيدُ بن الأعصم، حتى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخيَّلُ إليه أنهُ كانَ يفعلُ الشيء وما فَعله. حتى إذا كان ذاتَ يوم ـ أو

(١) باب اسم الفرس والحمار ـ كتاب الجهاد والسير.

ذاتَ ليلةٍ ـ وهوَ عندي، لكنَّهُ دعا ودعا ثمَّ قال: ياعائشة، أشَعَرتِ أنَّ الله أفتاني فيما استَفتيتهُ فيه؟ أتاني رجُلان، فقعَدَ أحدهما عند رأسي، والآخرُ عند رجليَّ، فقال أحدهما لصاحبهِ: ما وجَعُ الرَّجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طَبَّه؟ قال: لَبيدُ بن الأعصم. قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطة، وجُفِّ طَلْع نخلةٍ ذكر. قال: وأينَ هو؟ قال: في بئرِ ذَرْوانَ. فأتاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابهِ. فجاءَ فقال: ياعائشة، كأنَّ ماءَها نُقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلتُ: يارسولَ الله أفلا استخرجتَه؟ قال: قد عافاني الله، فكرهتُ أن أُثيرَ على الناس فيه شَراً. فأمرَ بها فدُفِنَت» تابعه أبو أُسامةَ وأبو ضَمرةَ وابن أبي الزناد عن هشام[1].

مناقشة النص

لن نناقش ماهية السحر هنا لأنه يحتاج لإطالة، ولكننا فقط سنتطرق لثلاث نقاط من النقاط التي تعرض لها هذا الحديث، لندلل على أنه كذب ولم يحدث.

النقطة الأولى: الرسول كان «يُخيَّلُ إليه أنهُ كانَ يفعلُ الشيء وما فَعله» وفي يوم من الأيام وكان عند أم المؤمنين عائشة، أخبرها أنه أتاه رجلان، ولم يقل ملكان، وأخبراه بأنه مسحور ومكان السحر. ولو صدقنا الحديث بأن الرسول كان يتخيل أنه فعل الشيء ولم يفعله، فقد يكون الرسول تخيل أنه جاءه رجلان، ولم يأتياه، والدليل أنه كان عند أم المؤمنين عائشة، ولم ترى أحداً دخل عليه.

(١) باب السحر ـ كتاب الطب.

النقطة الثانية: أن الرسول عرف مكان السحر، وذهب إليه «في ناس من أصحابِهِ» كشهود، ولكنه لم يستخرج السحر: «قلتُ: يارسولَ الله أفلا استخرجتَه؟ قال: قد عافاني الله، فكرهتُ أن أُثيرَ على الناس فيه شَراً».

والذين يعتقدون بالسحر يقولون أنه يجب أن يعثر عليه وأن يحرق أو يتلف لكي ينفك السحر عن المسحور، ودفن السحر دون أن يحرق أو يتلف لا يفكه عن المسحور. ويبدوا أن قاص الحديث يريدنا أن نعتقد أن الرسول كان فعلاً يتخيل أنه يفعل أشياء ولا يفعلها، وأنه تخيل أنه مسحور وأن سحره في تلك البئر وأنه تخيل أنه ذهب إلى هناك مع بعض أصحابه ووو... إلخ ولكنه لم يفعل، وكل ما تحدث به كان تخيلات فقط.

النقطة الثالثة نوردها على شكل تساؤلات كالتالي:

كيف يعرف الرسول الساحر، ولا يعاقبه، أو حتى يسأله، ويخضعه للمحاكمة؟

وكيف أن الرسول خالف قاعدة من يؤمن بالسحر، ولم يفك السحر، ومع ذلك شفي؟

والرجلان اللذان أتيا الرسول، سواءاً كانا ملائكة أو بشر، فلديهما القدرة على إتلاف السحر، لأنهما استطاعا التعرف على مكانه واسم الساحر، فلماذا لم يتلفاه، ولماذا لم يرافقا الرسول لمكانه، ولماذا لم نتعرف على اسميهما.

لكن من الواضح أن تخيل حدوث شيء لم يحدث حصل لمختلق الحديث، وليس لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وعندما قص خياله وجد من هو أكثر منه جنوناً لدرجة أنه صدقه، وقام كتبة الحديث بنقله لنا

على أنه فضيلة من الفضائل، وألزمنا رجال الدين به على أنه شرع لله.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

حروب الرسول غارات جاهلية وسبي

حدّثنا عليُّ بنُ الحسنِ أخبرَنا عبدُ اللهِ أخبرَنا ابنُ عَونٍ قال: «كتبتُ إلى نافع، فكتبَ إليَّ: إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أغارَ على بني المُصْطَلِقِ وهم غارُّونَ وأنعامُهم تُسقى على الماءِ، فَقتلَ مُقاتِلتَهم وسَبى ذَراريَّهم وأصابَ يومَئِذٍ جُوَيريةَ. حدَّثَني بهِ ابنُ عمرَ، وكان في ذلكَ الجيشِ»[1].

مناقشة النص

من ضوابط الجهاد، قتال المقالتة فقط: . . . . . فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴿٩٠﴾

ولايجوز قتل قتل المشركين والكفار الذين لا يقاتلون المسلمين، واعتزلوا الحرب.

كما لايجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة١٩٠

وسبي نساء المقاتلة إعتداء ومعاقبة لهن بجريرة غيرهن، ولو كانوا أزواجهن أو إخوانهن أو آبائهن: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى. . . . . .﴾ فاطر١٨

---

(١) باب مَن ملكَ مِنَ العَرَب رَقيقاً فوَهبَ وباعَ وجامَعَ وفَدى وسَبى الذُّرِّية ـ كتاب العتق.

وحتى لو إعتدى الكفار على المسلمين وسبوا نساءهم وقتلوا من لم يقاتلهم، فلا يجيز ذلك للمسلمين أن يعاملوا الكفار بالمثل: . . . . . . وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة٢

فكيف يريد منا مختلقوا الأحاديث، وكتبتها أن نصدق أن رسول الله يتلوا علينا القرآن ومن ينبذه وراء ظهره ويمارس العادات الجاهلية في حربه ضد المشركين؟

والرسول لم يكن يشن الحروب على الناس لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يبدأ حرب أحد على الإطلاق، ولم يشترك في حرب مع الكفار إلا ثلاث مرات فقط، وكلها فرضت عليه ولم يخترها أو يبدأها، وقد فصلنا الحديث في ذلك فيما سبق تحت عنوان «إجبار الناس على الدخول في الإسلام».

* * *

كيف تتجنب غش البائع

حدّثَنا موسى بنُ إسماعيلَ حدّثَنا عبد العزيزِ بنُ مُسلمٍ حدّثَنا عبدُ اللهِ بنُ دينارٍ قال: سمعتُ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما قال: «كان رجُلٌ يُخدَعُ في البَيعِ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: إذا بايعتَ فقل لا خِلابَةَ، فكانَ يَقولُه»[١].

(١) باب من باع على الضعيف ـ كتاب الخصومات.

مناقشة النص

هذا الحديث يقول أن رجلاً كان يتعرض للغش عندما يشتري أشياءه، وقد أرشده الرسول إلى طريقة تضمن عدم وقوعه في الغش، تتمثل بأن يخاطب البائع عند البيع، قائلاً: «لا خلابة».

وكأن من عقد العزم على الغش، دون مراعاة لله وخوفاً منه، سيرتدع بمجرد أن يتساءل الشاري إن كانت البضاعة مغشوشة، قائلاً: «لا خلابة»، وسيصحوا ضميره ليعلن للبائع أن ينتظر ليغير البضاعة لأنها مغشوشة.

ولو صدقنا هذا الحديث، فهو يصور الرسول كشخص ساذج، أو أن الرجل الذي وصاه الرسول، هو الساذج، وأن الرسول إستغل طيبته وسذاجته، وأبلغه أن يقول للبائع: «لاخلابة» كنوع من التندر عليه، والإستخفاف به.

فكيف يريدنا المحدث أن نصدق أن الرسول رضي أن يتواجد الغش التجاري بين المسلمين وهو يتلوا القرآن، الذي يخبرنا أن شعيب قد دعا قومه ليس فقط للإيمان بوجود الخالق بل ولنبذ الغش التجاري، لأن مصير من يقوم به النار ولو آمن بالله: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هود٨٥

وكثيرة هي الآيات التي تحذر من الغش التجاري وتنذر بسوء عاقبة مرتكبيه: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن٨ ـ ٩

والقرآن يقول بأن مصير الذي يقدم على الغش التجاري بكافة أشكاله، مصيره كمصير من يقتل نفسه، خالداً في نار جهنم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ

تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً. وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً٣٠﴾ النساء٢٩ ـ ٣٠

* * *

يأمر بقتل مخلوقات خلقها الله

حدّثنا صدقةُ بن الفضلِ أخبرَنا ابنُ عُيَينةَ حدَّثنا عبدُ الحميدِ بن جُبيرٍ بن شَيبةَ عن سعيدٍ بن المسيَّب أنَّ أمَّ شُرَيكٍ أخبرَتْهُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمرَها بقتلِ الأوزاغ»[1].

وسبب قتل الوزغ يبينه هذا الحديث: حدّثنا عُبَيْدُ اللهِ بن موسى ـ أو ابنُ سلام عنه ـ أخبرَنا ابنُ جُرَيجٍ عن عبدِ الحميدِ بن جُبَير عن سعيدِ بنِ المسيَّب عن أمِّ شُرَيكٍ رضيَ اللهُ عنها: «أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتلِ الوَزَغِ وقال: كان ينفُخُ على إبراهيمَ عليهِ السلام»[2].

وحديث آخر: حدّثنا عبدُ الله بن محمدٍ حدَّثَنا هِشامُ بنُ يوسُفَ حدثنا معْمَرٌ عنِ الزُّهريِّ عن سالمٍ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما: «أنهُ سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَخطُبُ على المِنبرِ يقول: اقتلوا الحياتِ واقتُلوا ذا الطُّفيتين والأبترَ، فإنهما يَطمِسانِ البَصَرَ ويَستَسقطان الحَبَل»[3].

وحديث آخر، نصه: حدّثنا عبدُ اللهِ بن يوسُفَ أخبرَنا مالكُ عن نافعٍ

---

(١) باب خير مال المسلم....... ـ كتاب بدء الخلق.
(٢) باب قوله تعالى: واتخذ الله ابراهيم خليلاً ـ كتاب الأنبياء.
(٣) باب ذكر الجن....... ـ كتاب بدء الخلق.

عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما: «أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتلِ الكلاب»[١].

وآخر: حدّثنا مسدَّد حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيع حدَّثنا مَعمرٌ عنِ الزُّهريِّ عن عروةَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَمسٌ فَواسِقُ يُقتَلنَ في الحرَمِ: الفأرةُ والعَقرَبُ والحُدَيّا والغرابُ والكلبُ العَقور»[٢].

مناقشة النص

الحديث الأول يريدنا أن نصدق أن الوزغ أوجب الله على الناس قتله لأنه كان ينفخ النار لتستعر على ابراهيم الخليل. وهذا الزعم سخيف لا يستحق مناقشته، مثله مثل الحديث الثاني الذي يدرج أسباباً مشابهة لقتل الحيات.

ولكن التساؤل هنا هو: لماذا يخلق الله الحيات والوزغ والفارة والعقرب والحديا والغراب والكلاب ثم يأمر رسول الله بحث الناس على قتلها؟

وهل تريدنا هذه الأحاديث أن نتقمص عقيدة اليهود التي تؤمن بأن الله يخلق الخلق، دون أن يكون لديه تصور عما بما سيكون عليه خلقه، ثم يكتشف عيوباً أو أخطاءاً في المخلوق بعد ذلك، لم يحسب لها حساب، فيندم.

وكتاب اليهود المقدس مليء بهذا التجديف على الله جل شأنه، ومن

---

(١) الباب السابق.

(٢) باب إذا وقع الذباب. . . . ـ كتاب بدء الخلق.

ذلك خلقه للإنسان، وإليكم أحد الأمثلة: ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الأرض. وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم. فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض. وتأسف في قلبه[1].

أما القرآن فيقول بأن الله خلق مخلوق من مخلوقاته لحكمة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام٣٨

وليس هناك مخلوق خلق وليس له دور في هذه الحياة أو أنه ضار أو أنه خلق عبثاً ويجب التخلص منه: وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴿٦﴾

وأن القضاء على نوع من هذه المخلوقات يخل بالتوازن البيئي، وبمهام كل مخلوق من حيوان ونبات خلق للمحافظة على التوازن البيئي المثالي، لو لم يفسده الإنسان: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ الحجر١٩

وحذر الله من الإفساد في الأرض ومن ذلك قتل مخلوقات الله بدون سبب أو للعبث أو للترفيه والمتعة: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف٥٦

وهذا الإفساد قد يكون بقطع الأشجار (الحرث) أو قتل المخلوقات الحية (النسل): ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ البقرة٢٠٥

وكل من يفعل ذلك فقد توعده الله باللعن وسوء الدار: ﴿وَالَّذِينَ

(١) التكوين: ٦: ٥ ـ ٦.

يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الرعد٢٥

❊ ❊ ❊

معجزات حسية

جذع نخلة يئن

حدّثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ قال: حدَّثَنا محمدُ بنُ جَعفرٍ قال: أخبرَني يحيى بنُ سعيدٍ قال: أخبرَني ابنُ أَنسٍ أَنه سمعَ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ قال: «كان جِذْعٌ يقومُ إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فلما وُضِعَ له المنبرُ سمعنا للجِذعِ مثلَ أصواتِ العِشارِ، حتى نَزلَ النبيُّ فوَضَعَ يدَهُ عليهِ»[1].

مناقشة النص

خلق الله المخلوقات بصفات وقدرات مختلفة، تتناسب مع طبيعة حياة كل مخلوق، وجعل للطير والحيوان والبشر لغات تخاطب مسموعة تتواصل فيما بينها بواسطتها ما دامت على قيد الحياة. وإمكانية تواصل الإنسان مع المخلوقات الحية قائمة بفضل قدرات الإنسان العقلية، والقرآن يؤكد ذلك فيما ذكره عن النبي سليمان: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل١٦.

بينما خلق الله جلت قدرته للنبات وسائل إتصال غير مسموعة لنا كبشر،

(١) باب الخطبة على المنبر.

وبالتالي فلا يمكن أن يصدر من النبات أصوات مشابهة لأصوات البشر أو قريبة منها، سواءاً وهي حية خضراء، أو ميتة على شكل جذع شجرة يابس، لأن النبات لايملك حبالاً صوتية ولا حنجرة يمر عبرها الهواء. ويكون القاص الذي إختلق قصة صياح جذع النخلة وأنينها، لم يجانبه التوفيق بسرد قصة معقولة أو مقبولة علمياً.

والنقطة الأخرى التي جانب التوفيق فيها القاص هي تعارض قصته مع عشرات الآيات التي تنفي نفياً قاطعاً أن يكون الرسول محمد قد أوتي معجزة حسية (آية)، ومن ذلك: ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء٥

وقد يكون الرسول في لحظة من اللحظات تمنى أن يؤتى معجزة عسى أن يؤمن قومه، فنزل القرآن ليقول له: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام٣٥

وما يقال عن الحديث السابق ينطبق على هذا الحديث: حدَّثني محمدُ بنُ بشَّارٍ حدَّثنا غُنْدَرٌ حدَّثنا شعبةُ عن سعدِ بنِ إبراهيمَ بن عبدِ الرحمنِ بن عَوفٍ الزُّهريِّ قال: سمعتُ أبا سَلمَةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «بينَما رجلٌ راكبٌ على بقرةٍ التَفَتَتْ إليهِ فقالت: لم أُخْلَقْ لهذا، خُلِقتُ للحِراثَةِ. قال: آمَنتُ به أنا وأبو بكر وعمرُ. وأخذَ الذِّئبُ شاةً فتبعَها الراعي، فقال لهُ الذِّئبُ: مَن لها يومَ السَّبُعِ، يومَ لا راعيَ لها غيري؟ قال: آمنتُ به أنا وأبو بكرٍ وعمرُ. قال أبو سَلَمةَ: وما هُما يومئذٍ في القومِ»[١].

---

(١) كتاب الحرث والمزارعة ـ باب استعمال البقر للحراثة.

فهذه الخرافات لم تحدث إلا في كتاب كليلة ودمنه، وكتب الأساطير الشعبية، أما في الحياة الحقيقية، فالله جلت قدرته لم يخلق للبقر ولا للذئاب القدرة على مخاطبة البشر.

ويبدوا أن القاص أراد أن يورد بعض الفضائل لإبي بكر وعمر ولم يسعفه خياله إلا بسرد هذه القصة البعيدة عن الواقع.

وسليمان أعطي القدرة على فهم لغة التواصل لدى بعض المخلوقات، ولكن تلك المخلوقات لم تعط القدرة على مخاطبة سليمان أو غيره بلغة بشرية.

الماء ينبع من بين أصابعه

حدّثنا محمدُ بن بَشَّار حدَّثنا ابنُ أبي عَديّ عن سعيدٍ عن قتادةَ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «أُتِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإِناءٍ وهوَ بالزَّوْراءِ، فوَضعَ يدهُ في الإِناء فجعلَ الماءُ يَنبعُ مِن بينِ أصابعهِ، فتوضَّأَ القومُ. قال قَتادةُ: قلتُ لأنسٍ: كم كنتم؟ قال: ثلاثَمائةٍ، أو زُهاءَ ثلاثِمائةٍ»[1].

ومثله

حدّثنا موسى بنُ إِسماعيلَ حدثنا عبدُ العزيز بنُ مسلمٍ حدَّثنا حصينٌ عن سالمِ بنِ أبي الجعْدِ عن جابر بنِ عبد الله رضيَ اللهُ عنهما قال: «عَطِشَ الناسُ يومَ الحُديبيةِ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم بينَ يديه رِكْوةٌ، فتوضأَ فجَهِش الناسُ نحوهُ فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتَوضَّأُ ولا نشرَبُ إِلا ما بين يديك؟. فوضعَ يدهُ في الرِّكوةِ، فجعل الماء يَثورُ بين

(١) باب الوضوء من النور ـ كتاب الوضوء.

أصابعه كأمثالِ العُيون. فشَربنا وتوَّضأْنا. قلت: كم كنتم: لو كنّا مائةَ ألفٍ لَكفانا كناّ خمسَ عشرةَ مائة»[1].

ومثله:

حدّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ أخبرنا مالكٌ عن إسحقَ بنِ عبدِ الله بن أبي طلحةَ أنهُ سمع أنسَ بن مالكٍ يقول: «قال أبو طلحة لأمّ سُليم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندَكِ من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجتْ أقراصاً مِن شعيرٍ، ثمَّ أخرجت خِماراً لها فلفَّتِ الخُبزَ ببعضه، ثم دسَّتْهُ تحت يدي ولاثتْني ببعضهِ ثم أرسلَتْني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعهُ الناسُ، فقمتُ عليهم، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: آرسلَك أبو طلحة؟ فقلتُ: نعم. قال: بطعام؟ قلتُ: نعم. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمن معهُ: قوموا. فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتهُ، فقال أبو طلحةَ: يا أُمَّ سُلَيمٍ قد جاءَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالناسِ، وليسَ عندَنا ما نُطعمِهُم. فقالت: اللهُ ورسولهُ أعلم. فانطلقَ أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأقبلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأبو طلحةَ معَهُ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: هَلُمي يا أُمَّ سُلَيم ما عندَكِ، فأتَتْ بذلكَ الخبزِ، فأمرَ بهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ، وعَصَرَتْ أمُّ سُلَيم عُكَّةً فأدَمَتْهُ، ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاءَ الله أن يقولَ. ثم قال: ائْذَنْ لعَشَرةٍ،

(١) باب علامات النبوة في الإسلام ـ كتاب الأنبياء.

فأذِنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثمَّ قال: ائذَنْ لعشَرةٍ، فأذِنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذَنْ لعشَرةٍ، فأذنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: ائذَنْ لعشرةٍ، فأكل القومُ كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعونَ أو ثمانونَ رجُلاً»[1].

مناقشة النص

سنورد ثلاث آيات بعدد الأحاديث السابقة، من بين عشرات الآيات التي تنفي أن يكون الرسول قد أعطي معجزات (آيات) حسية، وبعد ذلك فمن رغب تصديق الأحاديث وتكذيب القرآن فله ذاك، ومن رغب تصديق القرآن وتكذيب الأحاديث فليفعل. والآيات كما يلي:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ البقرة١١٨

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام٣٥

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف٢٠٣

(١) الباب السابق.

تضارب أقواله وأفعاله

في هذا الفصل سنورد حديثاً ثم نورد حديثاً يناقضه، دون مناقشة للنصوص للتدليل على أن هذه الأحاديث المتناقضة لايمكن أن تكون صادرة من شخص واحد هو رسول الله صلوات الله عليه.

أي الأعمال أفضل

هل هو الإيمان والجهاد

حدَّثنا أَحمدُ بنُ يونُسَ وموسى بنُ إسماعيلَ قالا: حدثنا إبراهيمُ بنُ سِعدٍ قال: حدثنا ابنُ شِهابٍ عن سَعيدِ بنِ المُسَيَّبِ عن أبي هُرَيرة «أنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال: «إِيمانٌ باللّهِ ورَسولهِ». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرور»[١].

أم إطعام الطعام

حدَّثنا قُتَيْبَةُ قال: حدثنا اللَّيْثُ عنْ يزيدَ بنِ أبي حَبيبٍ عنْ أبي الخَيرِ عن عبدِ اللّهِ بنِ عَمْرٍو «أنَّ رَجُلاً سَأل رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الإِسْلام خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ»[٢].

---

(١) باب من قال إن الإيمان هو العمل ـ كتاب الإيمان.

(٢) باب إفشاء السلام ـ كتاب الإيمان.

أم الصلاة

حدّثنا الحسنُ بنُ صَبّاح: حدَّثَنا محمدُ بنُ سابقٍ: حدَّثَنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ قال: سمعتُ الوليدَ بنَ العَيزارِ ذَكَر عن أبي عمرٍو الشيبانيِّ قال: قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: «سَأَلتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُلت: يا رسولَ اللهِ أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: الصلاةُ على مِيقاتِها. قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: ثمَّ بِرُّ الوالِدَين. قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله. فسكتُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو استزَدْتهُ لزَادَني»[١].

* * *

الإسراء

هل كان رحلة فعلاً كما يقول هذا الحديث:

حدّثنا هُدْبة بن خالدٍ حدَّثَنا همامُ بنُ يحيى حدَّثنا قَتادةُ عن أنسِ بنِ مالك عن مالك بنِ صَعْصعةَ: «أنَّ نبيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم حدَّثهم عن ليلة أُسرِيَ بهِ: ثمَّ صَعِدَ حتى أتى السماءَ الثانية، فاستَفتَح، قيلَ مَن هذا؟ قال: جِبريلُ. قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد أرسِلَ إليهِ؟ قال: نعم. فلمّا خَلَصتُ فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالةٍ. قال: هذا يحيى وعيسى، فسلّمْ عليهما، فسلَّمتُ، فرَدّا، ثم قالا: مَرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح»[٢].

أم كان رؤيا

حدَّثنا الحُميديُّ حدَّثنا سفيانُ حدَّثنا عمرُو عن عِكرمةَ عنِ ابن عبّاس

---

(١) باب فضل الجهاد والسير ـ كتاب الجهاد والسير.

(٢) باب قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده ـ كتاب التفسير.

رضيَ اللّهُ عنهما في قوله تعالى: ﴿وما جَعلنا الرُّؤيا التي أرَيناكَ إلاَّ فتنة للناس﴾ الإسراء٦٠ قال: هي رؤيا عين أُرِيَها رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ليلةَ أسرِيَ به إلى بيتِ المقدِس. قال: والشجرة الملعونةَ في القرآنِ هي شجرةُ الزقُّوم»[١].

ومن الذي شق صدر الرسول قبل المعراج؟ وأين وقع ذلك؟

هل هو جبريل، ووقعت الحادثة في بيت رسول الله في مكة، وقد أخذ جبريل بيد الرسول وعرج به للسماء من ذاك المكان، ولم يركب براقاً ولم يذهب لإيليا في فلسطين، كما يقول الحديث التالي:

حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير قال: حدثَنا الليثُ عن يونُسَ عنِ ابنِ شهابٍ عن أَنس بنِ مالكٍ قال: كان أبو ذَرٍّ يُحدِّثُ أن رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «فُرِجَ عن سَقفِ بيتي وأنا بمكةَ، فنزلَ جبريلُ ففَرَجَ صَدري، ثمَّ غَسلَهُ بماءِ زَمْزَمَ، ثمَّ جاءَ بطِسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمتَلىءٍ حِكمةً وإيماناً فأفرَغَه في صَدرِي ثمَّ أطبَقَهُ، ثم أَخَذَ بيدي فعَرَجَ بي إلى السماءِ الدُّنيا، إلى آخر الحديث[٢].

أم أن من شق صدر الرسول آت غير معروف، وكان ذلك في الخطيم، وبعد ذلك جاء جبريل واركبه البراق واصطحبه للسماء من ذلك المكان، ولم يذهب لفلسطين، كما يقول هذا الحديث: حدَّثنا هُدْبةُ بن خالدٍ حدَّثنا هَمامُ بن يحيى حدَّثنا قَتادةُ عن أنسِ بن مالكٍ عن مالكِ بن صَعصعةَ رضيَ اللّهُ عنه: «أنَّ نبيَّ اللّهِ صلى الله عليه وسلم حدَّثه عن ليلةِ أُسري به قال:

(١) باب وما جعلنا الرؤيا التي ـ كتاب التفسير.
(٢) باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ـ كتاب الصلاة.

بينما أن في الحَطيم ـ وربما قال في الحِجر ـ مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ فقَدَّ ـ قال: وسمعته يقول: فشقَّ ـ ما بين هذه إلى هذه، فقلتُ للجارودِ وهوَ إلى جَنبي: ما يَعني به؟ قال: من ثُغرةِ نحرهِ إلى شِعرَته ـ وسمعتهُ يقول من قَصِّهِ إلى شِعرته ـ فاستخرج قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطَسْتٍ من ذَهبٍ مملوءةٍ إيماناً، فغُسِل قلبي، ثم حُشي، ثمَّ أُعِيدَ، ثمَّ أتيتُ بدابَّة دُونَ البَغلِ وفوقَ الحمار أبيضَ. ـ فقال له الجارودُ: هوَ البُراقُ يا أبا حمزةَ؟ قال أنسٌ: نعم ـ يَضَعُ خَطوَةُ عندَ أقصى طرْفهِ، فحُملتُ عليه، فانطلَقَ بي جِبريلُ حتى أتى السماءَ الدُّنيا فاستفتَح، فقيل: مَن هذا؟ قال: جِبريل. قيلَ: ومَن معك؟ قال: محمد. قيلَ: وقد أرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرحباً به، فنِعمَ المجيءُ جاء. ففَتَح. فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوك آدمُ، فسلمْ عليه. إلى آخر الحديث[١].

أم أن من شق صدر الرسول قما به ثلاثة نفر، لم يكونوا متأكدين من شخص الرسول، الذي كان نائماً في المسجد الحرام، وبعد عملية شق الصدر، تولاه جبريل وعرج به للسماء مباشرة من هناك، دون ذكر لبراق أو ذهاب لفلسطيم، كما يقول هذا الحديث:

حدّثنا إسماعيلُ قال: حدَّثني أخي عن سُليمانَ عن شَريك بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي نَمِرٍ: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يُحدِّثنا عن ليلة أُسرِيَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم من مسجدِ الكعبة: «جاءه ثلاثةُ نَفَرٍ قبلَ أن يُوحَى إليه ـ وهو نائمٌ في المسجدِ الحرام ـ فقال أوَّلهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسَطُهم: هوَ خَيرُهم. وقال آخِرُهم: خذوا خَيرَهم فكانتْ تلك. فلم يَرَهم حتى جاؤوا

(١) باب المعراج ـ كتاب فضائل الأنصار (لا أدري لماذا وضع البخاري باب المعراج ضمن كتاب مناقب الأنصار).

ليلةً أُخرى فيما يَرَى قلبهُ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم نائمةٌ عَيناه ولا يَنام قلبهُ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبُهم. فتَولاّهُ جِبريل، ثمَّ عَرَجَ به إلى السماء».

أم أنه أسري به أولا من مكة لإيليا ومن هناك عرج به للسماء كما هو شائع بين الناس، والذي لم يصرح به البخاري، ولكنه ألمح له بأحاديث مثل هذا الحديث:

حدَّثنا يحيى بن بُكير حدَّثَنا الليثُ عن عُقيلٍ عن ابن شهابٍ حدَّثني أبو سَلمةَ بن عبدِ الرحمنِ: «سمعتُ جابرَ بن عبدِ اللَّهِ رضي اللّهُ عنهما أنه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما كذَّبني قرَيش قمتُ في الحِجر فجلى اللّهُ لي بيتَ المقدسِ، فطفقْتُ أخبِرُهم عن آياته، وأنا أنظرُ إليه»[1].

أم أن الرسول لم يعرج به وأن للإسراء قصة مغايرة لما يتناقله الناس، بيناها بالتفصيل في كتابنا سنة الأولين.

* * *

عدة رمضان

هل يتم الشهر وينقص

حدّثنا آدمُ حدَّثنا شُعبةُ حدَّثَنا الأسودُ بنُ قيسٍ حدَّثَنا سعيدُ بنُ عمرٍو أنه سَمِعَ ابنَ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهما عن النبيِّ أنهُ قال: «إنّا أُمَّةٌ أُمِّيةٌ لا نَكتُبُ ولا نَحسُبُ، الشهرُ هكذا وهكذا. يَعني مرَّةً تسعةً وعشرينَ ومرَّةً ثلاثين»[2].

---

(١) باب حديث الإسراء ـ كتاب مناقب الأنصار.

(٢) باب قول النبي لا نكتب ولا نحسب ـ كتاب الصوم.

أم هو تام على الدوام

حدّثنا مسدَّدٌ حدَّثّنا مُعتمِرٌ قال: سمعت أسحاقَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بَكرةَ عن أبيهِ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم. وحدَّثني مسدَّدٌ حدَّثنا مُعتمِرٌ عن خالدٍ الحَذّاء قال: أخبرَني عبدُ الرحمن بنُ أبي بَكرةَ عن أبيهِ رضيَ اللّهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «شهرانِ لا يَنقُصانِ، شهرا عيدٍ: رَمضانُ وذو الحَجَّة»[1].

❊ ❊ ❊

صلاة الضحى

لا يصلي

حدَّثَنا مُسدَّدٌ قال حدَّثَنا يحيى عن شُعبةَ عن تَوبةَ عن مُوَرِّقٍ قال: «قلتُ لابنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عنهما: أتُصلِّي الضُّحى؟ قال: لا. قلتُ: فعمرُ؟ قال: لا. قلتُ: فأبو بكرٍ؟ قال: لا. قلتُ: فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا إخاله»[2].

أم يصلي

حدَّثنا مُسلمُ بنُ إبراهيمَ أخبرَنا شُعبةُ حدَّثَنا عبَّاسٌ الجُرَيريُّ هوَ ابنُ فرُّوخَ عن أبي عثمانَ النَّهديِّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللّهُ عنه قال «أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر»[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) باب شهرا عيد لا ينقصان ـ كتاب الصوم.

(٢) باب صلاة الضحى في السفر ـ كتاب التهجد.

(٣) باب صلاة الضحى في الحضر ـ كتاب التهجد.

الإنسان هل يزكي إنسان

يزكيه

حدّثنا سليمانُ بنُ حربٍ حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن ثابتٍ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «مُرَّ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بجنازةٍ، فأثنَوا عليها خَيراً، فقال: وَجَبتْ. ثمَّ مُرَّ بأخرى فأثنَوا عليها شرّاً ـ أو قال: غيرَ ذلك ـ فقال: وَجبَتْ. فقيل يا رسولَ اللهِ قلتَ لهذا وَجَبتْ ولهذا وَجبتْ. قال: شهادةُ القوم. المؤمنونَ شُهداء اللهِ في الأرض»[١].

لا يزكيه

حدّثنا أبو اليَمانِ أخبرنا شُعيبٌ عن الزُّهريِّ قال: حدَّثني خارجةُ بنُ زيدٍ الأنصاريُّ أن أمَّ العلاءِ امرأةً من نسائِهم قد بايَعتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخبرَتْهُ: «أنَّ عثمانَ بنَ مَظعونٍ طارَ لهم سَهمُهُ في السُّكنى حينَ أقرَعَتِ الأنصارُ سُكنى المهاجرينَ، قالت أمُّ العلاءِ: فسَكنَ عندَنا عثمانُ بنُ مَظعونٍ، فاشتكى فمرَّضْناهُ، حتى إذا تُوُفِّيَ وجعلناهُ في ثيابِهِ دَخلَ علينا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقلتُ: رحمةُ اللهِ عليكَ أبا السائبِ، فشَهادَتي عليك لقد أكرمَكَ اللهُ. فقال لي النبيُّ صلى الله عليه وسلم: وما يُدْريكِ أنَّ اللهَ أكرمَهُ؟ فقلت: لا أدري بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ الله. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أما عثمانُ فقد جاءهُ واللهِ اليقينُ، وإنِّي لأَرجو لهُ الخَيرَ، واللهِ ما أدري ـ وأنا رسولُ اللهِ ـ ما يُفعَلُ به»[٢].

---

(١) باب تعديل كم يجوز ـ كتاب الشهادات.

(٢) باب القرعة في المشكلات ـ كتاب الشهادات.

لا يزكيه

حدّثني محمدُ بن سلام حدَّثنا عبدُ الوهابِ حدَّثنا خالدٌ الحذّاءُ عن عبد الرحمنِ بنِ أبي بكرة عن أبيهِ قال: «أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: وَيلَكَ، قطعتَ عُنُقَ صاحِبكَ مراراً، قطعتَ عنقَ صاحبكَ. ثم قال: من كان منكم مادحاً أخاهُ لا مَحالَةَ فلْيَقُلْ: أحسب فلاناً. واللهُ حَسيبُه. ولا أُزكي على اللهِ أحداً. أحسِبهُ كذا وكذا. إن كان يَعلمُ ذلكَ منه»[1].

بل يزكيه

حدّثنا محمدُ بنُ عبدِ الله حدَّثَنا حُسَينُ بنُ محمدٍ أبو أحمدَ حدَّثنا شَيبانُ عن قَتادةَ حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ أمَّ الرَّبيِّع بنتَ البَراءُ وهي أمُّ حارثةَ بنِ سُراقةَ أتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبيَّ الله ألا تحدِّثني عن حارثةَ ـ وكانَ قُتلَ يومَ بَدْرٍ أصابَهُ سهمٌ غربٌ ـ فإن كان في الجنَّةِ صبَرتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهَدْتُ عليهِ في البكاء. قال: يا أمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابنكِ أصابَ الفِردَوسَ الأعلى»[2].

(١) باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه ـ كتاب الشهدات.

(٢) باب من أتاه سهم غرب فقتله ـ كتاب الجهاد والسير.

بعض مواقفه من المرأة

المرأة شؤم

حدّثنا إسماعيلُ قال: حدثني مالكٌ عن ابن شهابٍ عن حمزةَ وسالم ابني عبدِ الله بن عمرَ عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشُؤمُ في المرأةِ والدارِ والفرَس»[1].

مناقشة النص

التشاؤم عقيدة جاهلية يحرمها الإسلام: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ. . . . .﴾ المائدة٣

فكيف يريد منا قاص الحديث أن نصدق أن رسول الله الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، يتلوا على الناس هذه الآية ومثلها، ثم يعتقد هو بالتشاؤم؟

ولماذا يتشاءم الرسول من المرأة؟

وهي خلقت من نفس مواصفات الرجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ

(١) باب ما يتقى من شؤم المرأة.

الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء١

* * *

وفتنة ضارة

حدّثنا آدمُ حدَّثنا شُعبةُ عن سليمانَ التيميِّ قال: سمعتُ أبا عثمانَ النَّهديَّ عن أُسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النساء»[١].

مناقشة النص

إنجذاب الرجل للمرأة، والمرأة للرجل جنسياً، ليس فتنة ضارة، ولكنها ضرورة لازمة لبقاء الجنس البشري، أودعها الله في الرجل والمرأة، كأكثر الغرائز قوة بعد غريزة الأكل والشرب. والدين لا يعترض على العلاقة الجنسية، ولكن الإعتراض على حدوثها خارج إطار الزواج.

وقد وضع الله سبحانه وتعالى ضوابط واضحة للحد من الوقوع في الزنى تحدثنا عنها بإسهاب في كتابنا سنة الأولين[٢]. والملاحظ أن التودد للجنس الآخر يبدأ به الرجل، لأن من طباعه الذكورية البحث عن الإنثى، بينما تمتاز المرأة بالقدرة على إخفاء مشاعرها، بمظهر الحياء. لذا أمر الرجال بغض البصر عند الحديث مع المرأة، والحرص على حفظ الفرج

(١) الباب السابق.

(٢) الملاحق ـ في الحدود ـ المثال الثالث الزنى.

أولاً في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور٣٠

ثم جاءت الآية التالية بنفس الأمر للمرأة، مع الحرص على عدم التبرج وإظهار المفاتن، لأن الله خلقها جذابة لتجذب الرجل إليها فيكون الجماع والإنجاب: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور٣١

وحفظ الفروج يعني الإبتعاد الكلي عن الزنى وكل ما يقرب إليه من قول أو عمل: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ الإسراء٣٢

سواءاً كانت هذه الأعمال والأقوال ظاهرة أو مخفية: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف٣٣

❊ ❊ ❊

عوجاء لا تستقيم

حدّثنا عبدُ العزيز بن عبد الله قال: حدَثني مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «المرأةُ

كالضِّلَع: إن أقمتَها كَسَرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وفيها عِوَج»[1].

مناقشة النص

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء١

وقوله تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ تعني خلق الرجل والمرأة بنفس المواصفات العقلية والقدرات، ولا تعني أن آدم خلق ثم خلقت حواء (المرأة) من أحد أضلاعه. وتؤكد الآية أن الرجل والمرأة خلقهما الله بنفس المواصفات ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ سواءً الجسدية أو الذهنية. والرجل نفسه نتاج تزاوج بين رجل وامرأة، أو بمعنى آخر هو نصف رجل ونصف إمرأة، كما أن المرأة نصف إمرأة ونصف رجل، وهذا ما يؤكده العلم. حيث أن جسم المرأة يحوي هرمونات ذكرية، وجسد الرجل يحوي هرمونات أنثوية. ولو إضطربت النسبة لأي سبب عارض أو نتيجة لمعالجة معينة، وزادت هرمونات المرأة الذكورية فسينبت الشعر في أنحاء جسدها ووجهها كما الرجل، وسيصبح صوتها أجش، وستضمر ثدياها. بينما لو حدث وزادت الهرمونات الأنثوية لدى الرجل فسيختفي شعر الوجه وفي مناطق من الجسم، وسيرق صوته وسيبدوا كالمرأة.

أما القول بأن المرأة خلقت من أحد أضلع آدم فعقيدة يهودية، تؤكد أن

(١) باب المداراة مع النساء ـ كتاب النكاح.

قاص الحديث إما أنه يهودي أو متأثر بالتراث اليهودي، وهذا نص ما جاء في كتاب اليهود المقدس: فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاء مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلى آدم[١].

* * *

تقطع الصلاة

حدَّثنا عمرُ بنُ حَفصٍ قال: حدَّثَنا أبي قال: حدَّثَنا الأعمشُ قال: حدَّثَنا إِبراهيمُ عنِ الأسودِ عن عائشةَ ح. قال الأعمشُ: وحدَّثني مُسلمٌ عن مَسْروقٍ عن عائشةَ: ذُكِرَ عندَها ما يقطعُ الصلاةَ ـ الكلبُ وَالحِمارُ والمرأةُ ـ فقالت: شبَّهْتُمُونا بالحُمُرِ والكلابِ، واللّهِ لقد رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُصلِّي وإِني على السَّريرِ بَينهُ وبينَ القِبلةِ مُضطَجعةً، فتَبْدو لِي الحاجةُ فأَكرَهُ أن أجْلِسَ فأُوذِيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَنْسَلُّ من عندِ رِجلَيهِ[٢].

مناقشة النص

هذا الحديث جاء بروايات مختلفة الصيغ، ولكننا إخترنا هذه الرواية لأن فيها رد لأم المؤمنين، على قاص الحديث: «شبَّهْتُمُونا بالحُمُرِ والكلابِ، واللّهِ لقد رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُصلِّي وإِني على السَّريرِ بَينهُ وبينَ القِبلةِ مُضطَجعةً». مؤكدة أن المرأة لاتقطع الصلاة وأن هذا الحديث لا يمكن أن يقوله رسول الله.

---

(١) التكوين: ٢: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) المجلد الأول ـ كتاب الصلاة ـ باب من قال لا يقطع الصلاة شيء.

والقرآن يخلوا من أي ذكر لشيء يقطع الصلاة، ولكنه يؤكد على أن الصلاة تحتاج للخشوع، وبدونه فهي لا تعدوا أن تكون حركات لا معنى لها: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة٤٥

والخشوع يتطلب الحضور الذهني لكل ما يقال في الصلاة، ولو قطع هذا التركيز من قبل المصلي نفسه بأن إنشغل بتصليح ثيابه، على سبيل المثال، في الصلاة واستمر بالقراءة، فم المؤكد أن ذهنه سيتشتت ولن يكون حاضراً بما يكفي. كما أن هذا الخشوع قد يقطع بسبب خارج عن إرادة المصلي وصادر من الغير أو من الأشياء، مثل مرور شخص أو حيوان بين يدي المصلي أو قيام المصلي المجاور بحركات تشتت الذهن، أو لمس المصلي أو لكزه أو نحو ذلك. ومثل هذه الأشياء هي التي يجب الحرص على عدم حدوثها وزرع إحترام ومراعاة وضع المصلين وحاجتهم للخشوع التام.

بسم الله الرحمن الرحيم. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴿٢﴾

ولذلك فلو وجد شخص نائم أو لا يتحرك أمام المصلي، كما كان الوضع مع أم المؤمنين عائشة والرسول، فلن يقطع الصلاة لأنه لن يشتت ذهن المصلي وتركيزه.

* * *

ناقصة عقل ودين

حدَّثَنا سَعيدُ بنُ أَبي مَريمَ قال: أخبرَنا محمدُ بنُ جَعفرٍ قال: أخبرَني

زيدٌ هوَ ابنُ أَسْلَمَ عن عِياضِ بنِ عبدِاللَّهِ عن أبي سَعيد الخُدْرِي قال: «خَرَجَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في أضحى ـ أو في فِطرٍ، إلى المصلَّى، فمرَّ عَلَى النساءِ فقال: يا مَعشرَ النساءِ تَصَدَّقْنَ، فإني أُرِيتكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلنَ: وبمَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: تُكثرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكفُرْنَ العَشيرَ، ما رأيتُ من ناقِصاتِ عَقلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكنَّ. قلنَ وما نُقصانُ دِينِنا وعَقلِنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: أَلَيسَ شَهادةُ المرأةِ مِثلُ نِصفِ شَهادةِ الرجُل؟ قلن: بَلى. قال: فذلِكَ من نُقصان عَقلِها. أليسَ إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟ قلن: بَلى. قال: فذلِك من نُقصانِ دِينِها»[١].

مناقشة النص

الحديث عندما قال: «شَهادةُ المرأةِ مِثلُ نِصفِ شَهادةِ الرجُل»، يشير إلى الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، فلماذا لا نتدبر هذه الآية ونرى هل تعني فعلاً أن شهادة المرأة نصف شهادة المرأة، أم أن المفسرين على عادتهم، يؤولون آيات القرآن لغير معناها الذي نزل على محمد.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

(١) باب ترك الحائض الصوم ـ كتاب الحيض.

الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

وقوله تعالى: «وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ» يعني أن المطلوب هو شهادة شاهدين.

ثم يقول تعالى: «فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء»، ولكنه لايقف هنا، بل يبين سبحانه وتعالى السبب من وجود إمرأتين، وهو: «أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى»، وليس المقصود أن المرأة بنصف شهادة الرجل. لأنه لو لم تضل الشاهدة الأولى وتدلي بالشهادة كاملة، فلن نحتاج لسماع شهادة الأخرى، وتكون الشهادة تمت بامرأة واحدة ورجل واحد.

أما قول الحديث بأن المرأة ناقصة دين لأنها إذا حاضت لاتصلي ولا تصوم، فهي حاضت لأن الله خلقها لتحيض، كعملية طبيعية لتخرج البويضة التي لم تلقح من جهازها التناسلي وتنظفه. وهناك قاعدة تقول: إذا سلب ما وهب أسقط ما أوجب، وتعني أن الله إذا سلب الصحة من الإنسان على سبيل المثال، لدرجة لا يستطيع أداء العبادات، فهي تسقط عنه، ولن يكون ناقص الدين في هذه الحالة، لأنه معذور: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الفتح١٧

وإذا كانت المرأة لا تصوم وقت الحيض ولا تصلي فليس لآنها ناقصة دين، ولكن لأن الله أناط بها مهمة الحمل والولادة، وعليها يقوم استمرار الجنس البشري، وهي مهمة نبيلة وليس فيها من نقص الدين أو العقل شيء.

وتكون المرأة تتمتع بنفس قدرات الرجل العقلية، وعليها نفس الواجبات الدينية، وهي كاملة العقل والدين، إن هي آمنت وعملت صالحاً، ولها نفس الجنة التي للرجل: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر ٤٠

* * *

للزوج حق جلد المرأة

حدّثنا محمدُ بن يوسفَ حدَّثنا سفيانُ عن هشامٍ عن أبيهِ عن عبدِ الله بن زَمعةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لايَجلِد أحدُكم امرأتَهُ جَلدَ العَبدِ ثمَّ يُجامِعُها في آخرِ اليوم»[(١)].

وهذا حديث آخر يقول:

الملائكة تلعن المرأة إن لم تمكن الرجل من نفسها

حدّثنا محمدُ بن بشار حدَّثنا ابن أبي عَدِيٍّ عن شُعبة عن سليمان عن أبي حازمٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إذا دعا الرجل امرأتَهَ إلى فِراشه، فأَبت أن تجِيءَ، لَعَنَتْها الملائكة حتى تُصبح»[(٢)].

---

(١) كتاب النكاح ـ باب ما يكره من ضرب النساء.

(٢) باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ـ كتاب النكاح.

مناقشة النص

فهل اللعن يتوقف عند الملائكة؟ أم أنه إذا لعنتها الملائكة لعنها الله بلعنهم لها، وهو ما لم يقو راوي الحديث على قوله.

ثم هل تلعن الملائكة بالمقابل، الرجل الذي يهجر فراش زوجته؟

أم أن الملائكة مع الرجل ضد المرأة؟

والأحاديث السابقة تصور الرجل وكأنه سيد معبود، لا يجوز للمرأة أن تمتنع إذا ما رغب في جماعها، ولو كانت في وضع نفسي أو بدني لا تستسيغ معه الجماع، ولايجوز لها أن تخرج ولو كان لحاجة ماسة دون إذنه، بل ولا تستطيع أداء الصوم لله إلا بعد موافقة زوجها.

أما هو فله أن يمتنع عن الجماع متى شاء وللمدة التي يشاء، وله أن يخرج دون أن يبلغها بخروجه أو عودته. وله أن يضرب المرأة ضرباً مبرحاً، ولكن يطلب منه أن يتريث قليلاً بعد الضرب قبل أن يجامع المرأة المجروحة في كرامتها والمكلومة في بدنها.

وهذا لا يمكن أن يكون من شرع الله، لأن الله سبحانه ينص في كتابه أن الزواج تواد بين شخصين بالتساوي وتراحم بينهما: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم٢١

ومتى فقد هذا التواد والتراحم، لأي سبب، فالطلاق هو الحل الأمثل، وليس الجلد: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ النساء١٣٠

* * *

وعامة أهل النار من النساء

حدّثنا مُسدَّدٌ حدَّثنا إسماعيلُ أخبرنا التَّيْميُّ عن أبي عثمانَ عن أُسامةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «قمتُ على باب الجنَّة، فكان عامَّةُ من دخلها المساكِينُ، وأصحابُ الجَدِّ مَحْبُوسون، غير أن أصحابَ النَّار قد أُمِر بهم إلى النار، وقمتُ على باب النار فإذا عامَّة من دخلها النساء»[1].

ومثله

حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ مَسْلمَةَ عنْ مالِكٍ عنْ زَيدِ بنِ أسْلَمَ عنْ عَطاءٍ بنِ يَسارٍ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أُريتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ» يَكْفُرْنَ. قيل: أيَكفُرنَ بالله؟ قال: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإِحْسانَ، لَوْ أحسنتَ إلى إِحداهُنَّ الدَّهرَ، ثمَّ رأتْ منكَ شَيئاً قالتْ: ما رأيتُ مِنكَ خَيْراً قَطُّ»[2].

مناقشة النص

الحديث ينسب للرسول قوله: «أُريتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ».

فكيف يكون أكثر أهل النار النساء، مع أن الله يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ (النساء: ١٢٤)

وعندما خلق الله الإنسان خلقه من ذكر وأنثى لضرورة التزاوج وليس لتفضيل جنس على آخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

(١) باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ـ كتاب النكاح.

(٢) باب كفران العشير، وكفر بعد كفر ـ كتاب الإيمان.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)

ويورد الحديث السبب وراء كون أكثر أهل النار النساء، فيقول «يكفرن». ولما سئل: «أيَكفُرنَ بالله؟ قال: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإِحْسانَ، لَوْ أحسنتَ إلى إِحداهُنَّ الدَّهرَ، ثمَّ رأتْ منكَ شَيئاً قالتْ: ما رأيتُ مِنكَ خَيْراً قَطُّ».

إذاً، هن لم يكفرن بالله، ولكن كفرن بالعشير (الزوج). فالحديث يقول أن الكفر بالعشير يوازي الكفر بالله، ويودي بالمرأة إلى النار.

أما الله سبحانه وتعالى فيقول بأن النار أعدت للكافرين: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)

والكافر هو من يكفر أوامر الله ويكذب آياته، وليس من يكفر بالعشير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٩)

* * *

لا تقبل عبادتها بدون إذن زوجها

حدّثنا محمدُ بن مقاتل حدثنا عبدُ الله أخبرَنا معَمرٌ عن همَّام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تصوم المرأةُ وبَعْلَها شاهِدٌ إلا بإذنه»[١].

(١) باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً ـ كتاب النكاح.

مناقشة النص

من يقول أن المرأة شؤم، وأنها فتنة ضارة، وعوجاء لا تستقيم، وتقطع الصلاة، وناقصة عقل ودين، فمن السهل أن يخول لزوجها أن يجلدها، وأن يواقعها متى شاء دون إعتراض منها، وإلا لعنتها الملائكة، وتخويفها بأن معظم أهل النار من بنات جنسها، ولذلك فلا يحق لها أن تصوم إلا برضى زوجها وسماحه لها. وكأن الله رجل يميل للرجال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإلا فالعبادات لله وحده لاشريك له، ولا يستأذن مخلوق بطاعة الخالق، والمتدبر لمبايعة الرسول للنساء يجد أنه ليس فيها طاعة لزوج أو بشر، بل طاعة لله وحده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الممتحنة١٢

وحتى الوالدين، أمرنا الله بمصاحبتهما في الدنيا معروفاً، مع عدم طاعتهما فيما يغضب الله: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾لقمان١٥

ولا يوجد في كتاب الله تصريحاً ولا تلميحاً بأن طاعة الزوج من طاعة الله، وأن عصيانه يعرضها لنار جهنم. بل يمكنها أن تعصيه في كل أمر لا يتوافق معها ولو لم يكن فيه معصية لله، ولن تدخل النار بسبب ذلك.

لأن العلاقة بينهما يجب أن تقوم على التواد والترحم المتبادل: ﴿وَمِنْ

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)

ومتى ما فقد التراحم والتوافق بين الزوجين فقد يكون الطلاق العلاج المناسب: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٣٠)

والقرآن يقول بأن المرأة تفضل الرجل بميزات، والرجل يفضلها بميزات: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (النساء: ٣٢)

وهذا التفاضل بين الجنسين للضرورة ودور كل واحد منهما في الحياة، ولذلك فلا يتمنى أحدهما ميزات الجنس الآخر، وحتى القوامة وقيادة العائلة أوكلت للرجل لأنه أكثر ملائمة لها من المرأة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. . .﴾ (النساء: ٣٤)[1].

ولكن لايعني أن المرأة أقل إنسانية من الرجل أو أن للرجل تفاضل في الإسلام على المرأة.

ولن تدخل المرأة النار لأنها لم تستطع التعايش مع الرجل، أو أنها كرهته، أو أنها لم تطعه.

بل إن الوعيد جاء للرجال الذين يمسكون زوجاتهم وهن كارهات لهم، يقول تعالى: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

(١) تحدثنا عن الضرب المذكور في كتابنا سنة الأولين ـ فصل الطلاق.

سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. (البقرة: ٢٣١)

وبناءاً على كلام الله تبارك وتعالى، فلا يمكن أن تساق المرأة للنار لأنها خالفت زوجها أو عصته، أو رفضت عبادته بأي شكل من الأشكال.

❊ ❊ ❊

سخرية منه وحط من قدره

ابن أبي كبشة

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعَيبٌ عنِ الزُّهريِّ قال: أخبرَني عُبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ أنَّ ابنَ عباسٍ رضيَ الله عنهما أخبرَهُ أنَّ أبا سفيانَ أخبرَهُ «أنَّ هِرَقلَ أرسلَ إليهِ ـ وهم بإيلياءَ ـ ثمَّ دعا بكتابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغَ من قِراءةِ الكتابِ كثرَ عندَهُ الصَّخَبُ وارتفعت الأصواتُ وأُخرجْنا، فقلتُ لأصحابي حِينَ أُخرِجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابنِ أبي كَبشةَ، إنه يخافُه ملكُ بني الأصفَرِ»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يتحدث عن قصة من المرجح أنها لم تحدث على أرض الواقع، ولكنها من تخيلات القصاص، وما أكثرها في كتب الحديث والسير والتفسير والتاريخ.

وسواءاً حدثت أم لم تحدث، فقد نال القاص من الرسول، وكناه بابن أبي كبشة، تحقيراً لشأنه، إذ نسبه لوالده من الرضاعة، زوج حليمة السعدية، التي أرضعته صلوات الله عليه، وكان زوجها يكنى بابنة له تسمى

(١) باب قول النبي نصرت بالرعب ـ كتاب الجهاد والسير.

كبشة[١]، فهو أبو كبشة، ونُسِب محمد إلى أبي كبشة، بدل نسبته لوالده الحقيقي عبد الله ابن عبدالمطلب من باب التهكم.

* * *

مذمم

حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدَّثَنا سفيانُ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرَجِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ألا تَعجَبونَ كيفَ يَصرِفُ اللهُ عني شَتْمَ قُرَيشٍ ولعْنَهم؟ يَشتِمون مُذَمَّماً، ويَلعَنون مُذَمَّماً، وأنا محمدٌ»[٢].

مناقشة النص

يزعم الحديث أن قريش كانوا ينادون الرسول بمذمم، للحط من قدره. ومذمم عكس معنى محمد. والعجيب أن أبا هريرة الذي نسب له الحديث، لم يدخل الإسلام إلا في السنة السابعة للهجرة، أي بعد مغادرة الرسول لمكة بسبع سنوات، وقد جاء أبو هريرة من اليمن. فكيف لم يسمع المهاجرون ـ الذين كانوا مع محمد في مكة لمدة ثلاث عشرة سنة ـ قريشاً تنادي محمداً بمذمم؟

وإذا كان الرسول قد نودي فعلاً بذلك، فهل كان يتحدث بهذا في مجالسه بالمدينة طوال السبع سنوات التالية لهجرته، وبالتالي سمع أبو هريرة منه ذلك؟

---

(١) باب ذكر رضاعة وما اتصل به ـ السيرة الحلبية.

(٢) باب ما جاء في أسماء رسول الله ـ كتاب الأنبياء.

ولو كان هذا ما حدص لوجدنا عدد كبير من الصحابة يروون هذا الحديث.

أم أن الرسول تذكر ذلك بعد مضي سبع سنوات وحدث أبا هريرة به؟ وهذا مستبعد أيضاً.

والقرآن الكريم، أخبر عما كانت قريش تنادي به محمداً صلوات الله عليه في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴿٣﴾ الكوثر

فأحد كبراء قريش ـ بناءاً على ما جاء في هذه السورة ـ نادى محمداً بالأبتر، أي الذي لا عقب له ولا ينجب[1]، إشارة إلى أن الرسول لم يرزق بأبناء ذكور يحملون نسبه. فنزلت السورة تقول للرسول إن الله أعطاه خيراً كثيراً، وأن الأبناء ليسوا بالضرورة نعمة في هذه الدنيا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن ١٤ ـ ١٥

واستمرار النسب من العصبية المكروة في الإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

ويوم القيامة لن ينتفع الوالد من الولد ولا الولد من الوالد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾لقمان٣٣

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب ـ باب بتر.

ولن يكون هناك أنساب: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾ المؤمنون١٠١ لأن عاطفة الأبوة والأمومة والشعور العائلي الموجود في الدنيا ضرورة من ضرورات استمرار الجنس البشري والتكاثر، أم يوم القيامة، فلا تكاثر، وبالتالي لاحاجة للعواطف الأبوية، فكل إنسان عبارة عن روح منفصلة عن والديه.

ولم يذكر القرآن الكريم، أن أحداً من قريش نادى الرسول بمذمم، ولا ابن أبي كبشة.

* * *

إمرأة تستعيذ بالله من الرسول

حدّثنا الحُميدي حدثنا الوليدُ حدَّثنا الأوزاعيُّ قال: «سألتُ الزُّهريَّ أي أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم استعاذَت منه؟ قال: أخبرَني عُروةُ عن عائشةَ رضيَ الله عنها أنَّ ابنةَ الجَونِ لما أُدخِلَت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت: أعوذُ باللَّهِ منك، فقال لها: لقد عُذتِ بعظيم، الحَقي بأهلكِ»[١].

مناقشة النص

ابنة الجون المذكورة في الحديث أورد لها برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية[٢] نسباً، حيث قال بأنها أسماء بنت النعمان بن أبي الجون الكندية، ويقول بأنه لما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها

(١) باب من طلق، هل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ـ كتاب الطلاق.
(٢) باب ذكر أزواجه وسراريه.

فقالت تعال أنت. فأهوى بيده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك، قال: عذت بعظيم، فخرج فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقيين وألحقها بأهلها.

وهناك حديث آخر يماثل هذا، نورده فيما يلي:

* * *

وتصفه بالسوقي

حدّثنا أبو نُعيم حدَّثَنا عبدُ الرحمن بن غَسيل عن حمزةَ بن أبي أُسَيدٍ عن أبي أُسيد رضي اللَّهُ عنه قال: «خَرَجنا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائطٍ يقال لهُ الشَّوطُ، حتى انتهينا إلى حائطين جلَسنا بينهما، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: اجلِسوا ها هنا، وَدَخَل، وقد أُوتيَ بالجَونيَّةِ. فأنزِلتْ في بيتٍ في نخلٍ في بيتٍ أُميمَةَ بنت النُّعمانِ بن شَراحيلَ، ومعها دايَتُها حاضِنةٌ لها ـ فلما دخلَ عليها النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال: هَبي نفسَكِ لي، قالت: وهل تَهَبُ الملكةُ نفسها للسُّوقة؟ قال: فأهوَى بيدِهِ يضع يدهُ عليها لتَسكنَ، فقالت: أعوذُ باللَّهِ منك. فقال: قد عُذتِ بِمعاذ، ثم خَرَج علينا فقال: يا أبا أُسَيد، اكسُها رازقيّين، وألْحقها بأهلِها»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يقول أن امرأة أتي بها للرسول ليتزوجها، وأنزلت «في بيتٍ في نخلٍ في بيتٍ أُميمَةَ بنت النُّعمانِ بن شَراحيلَ».

أي أنها ليست أميمة ولكن أميمة إستضافتها.

---

(١) الباب السابق.

ولو بحثنا عن ترجمة ـ سيرة ذاتية ـ لهذه الأميمة لوجدنا أن ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة يقول بأن أميمة بنت النعمان ابن شراحيل هي الجونية التي دخل بها الرسول واستعاذت منه، وهي التي نعتته بالسوقي. وليست كما يقول الحديث بأنها إمرأة أخرى أنزلت في بيت أميمة. وهذا ما يقوله ابن حجر:

«أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية ذكرها البخاري في كتاب النكاح تعليقا من طريق حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه ومن طريق عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه قالا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت النعمان بن شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رزاقيين وأخرجه موصولا من وجه آخر فقال حدثنا عبدالرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد عن أبي أسيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط وقد أتى بالجونية فنزلت في بيت في نخل أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعها دايتها حاضنة لها فلما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة قال فأهوى ليضع يده عليها لتسكن فقالت أعوذ بالله منك فقال لقد عذت بمعاذ ثم خرج فقال يا أبا أسيد اكسها رزاقيين وألحقها بأهلها ورجح البيهقي أنها المستعيذة بهذا الحديث الصحيح وقد تقدم في أسماء بنت النعمان بن الجون شبيه بقصتها فالله أعلم»[1].

وفي نفس كتاب النساء أورد ابن حجر ترجمة لأسماء بنت النعمان،

---

(١) ترجمة رقم ١٠٨٦٦.

التي يعتقد أنها هي نفسها أميمة، وهذا نص الترجمة التي وردت تحت رقم: ١٠٨٠٩

«أسماء بنت النعمان بن الحارث بن شراحيل وقيل بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل الكندية قال أبو عمر أجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في قصة فراقها إلى أن قال قال قتادة هي أسماء بنت النعمان من بني الحارث لما أدخلت عليه دعاها فقالت تعال أنت وأبت أن تجيء قال قتادة وقيل إنها قالت له أعوذ بالله منك فقال قد عذت بمعاذ وهذا باطل إنما قالت هذا امرأة أخرى من بني سليم وقال أبو عبيدة كلتاهما عاذتا بالله منه وقال غيره المستعيذة امرأة من بين العنبر من سبى ذات الشقوق. . . . . . إلى أن يقول: والاختلاف في الكندية كثير جدا والإضطراب فيها وفي صواحبها اللاتي لم يدخل بهن كثير» إنتهى

وابن حجر ينقل أن رجلاً إسمه «أبوعمر» دون تعريف به ومن يكون، قال: «أجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها» ولاندري من هم الذين أجمعوا، ولا يهمنا أن نعرف، لأن كلام أبو عمر هذا ينقضه ابن حجر في إيراده أسماء مختلفة للمرأة، فمرة هي أسماء ومرة أميمة، ومرة أبوها النعمان ابن الحارث ومرة أخرى هو النعمان ابن الأسود. . . فكيف يجمعون على أن الرسول تزوجها وهم لم يحددوا من هي؟

ويؤكد ابن حجر أن هذه الكندية، مجرد أسطورة، في آخر ترجمته لها حيث يقول: «والاختلاف في الكندية كثير جدا والإضطراب فيها وفي صواحبها اللاتي لم يدخل بهن كثير».

وهو هنا يؤكد أيضاً أن الإختلاف كثير جداً والإضطراب، ليس في الكندية فقط، بل وفي كل القصص التي تنسب للرسول أنه تزوج بنساء ولم يدخل بهن.

ومن ذلك أن هناك ثلاث نساء أو أكثر إستعذن بالله من الرسول لما رأينه، وكأنهن يرين شيطاناً، كما أورد ابن حجر.

وأورد ابن حجر أن إحدى النساء التي استعاذت بالله من رسول الله كانت من سبي غزوة تسمى «ذات الشقوق» وهذه الغزوة أيضاً من وضع القصاص ولم تحدث على أرض الواقع، وهذه هي الأدلة:

أنه لا ذكر لها في المصادر التاريخية المشهورة كسيرة ابن هشام.

وعيينة ـ الذي يزعم الخبر أن الرسول أمره على سرية غزوة ذات الشقوق ـ في ترجمته التي أوردها صاحب الإصابة تحت رقم ٦١٥٥، كان من المؤلفة قلوبهم، ولم يسلم لدرجة أنه أعلن ردته في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة، وكان فيه جفاء أهل البادية، ويروى أنه دخل على النبي فقال وعنده عائشة من هذه الجالسة إلى جانبك قال عائشة قال أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأته.

وقد استمر على كفره لدرجة أنه والأقرع بن حابس قدما إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فسألاه أن يقطعهما أرضا وكتب لهما وأشهد القوم وعمر ليس فيهم فانطلقا إلى عمر ليشهداه فيه فتناول الكتاب وتفل فيه ومحاه فتذمرا له وقالا له مقالة سيئة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل إن الله قد أعز الإسلام اذهبا فاجهدا علي جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما فأقبلا.

فإذا كان هذا عيينة فمن المؤكد أن الرسول لن يؤمر شخصاً مثله لكي يمارس عاداته الجاهلية من سبي وقتل بغير حق.

وإن نحن صدقنا بوجود سرية ذات الشقوق وما حدث فيها فالرسول لم يغير من عادات السبي والسلب الجاهلية شيئاً. وهذا ما لا نستطيع الموافقة عليه لأن أحد القصاص نسب للرسول عملاً لم يعلم عنه شيئاً.

وإذا كان حضوره للرسول قبل الفتح، كما يقول ابن حجر في الإصابة، فإن هذا ما يؤكد عدم حدوث إرسال الرسول له، لأن الوفود لم يبدأوا بالتوافد على الرسول إلا منتصف السنة التاسعة أي بعد فتح مكة بحوالي سنة ونصف، ولم يحضر لرسول الله أي وفد قبل ذلك، لا من بني العنبر الذين يزعم القصاص أن عيينة هاجمهم بالسرية التي أرسله عليها الرسول، ولا غيرهم من قبائل العرب.

وقد نكون أطلنا التعليق هنا، ولكنا أردنا أن نقول أن التصديق بالحديث دون تثبت يعني أقل ما يعني أخذ تصور عن الرسول وسلوكياته تقربه من الفجار والمجرمين، ولايمكن أن يختاره الله سبحانه وتعالى لشرف حمل رسالته وتبليغها للناس، ووصفه في كتابه الكريم بهذه العبارة البليغة: «﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم٤

فهل نصدق رب العالمين، أم نصدق القصاص والمحدثين؟

* * *

حمزة يصف الرسول بعبد لوالده

حدّثَنا إبراهيمُ بنُ موسى أخبرَنا هِشامٌ أنّ ابنَ جُرَيجٍ أخبرَهم قال: أخبرَني ابنُ شِهابٍ عن عليّ بنِ حسينِ بنِ حسينِ بنِ عليّ عن أبيه حسينِ بن عليّ عن أبيه عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهم أنه قال: «أَصَبْتُ شارفاً معَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَغْنمٍ يومَ بَدْرٍ، قال: وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارِفاً أخرى، فأنختُهُما يوماً عند بابِ رجلٍ من الأنصارِ وأنا أُريدُ أن أحمِلَ عليهما إذْخِراً لأبيعَهُ، ومعي صائغٌ من بني قَينُقاعَ فأستعينُ به على وليمةِ فاطِمَةَ، وحمزةُ بنُ عبدِ المطّلِبِ يَشرَبُ في

ذلكَ البيتِ معهُ قَينةٌ. فقالت: ألا يا حمزَ للشُّرُفِ النّواءِ، فثار إليهما حمزةُ بالسيفِ فجَبّ أسْنِمَتَهُما، وبَقَرَ خواصِرَهُما، ثم أخذَ من أكبادِهما ـ قلت لابن شهاب: ومِنَ السّنام. قال: قد جبّ أسنِمَتَهُما فذهب بها ـ قال ابن شهاب قال عليّ رضي الله عنه: فنَظَرْتُ إلى منظَرٍ أفظَعَني، فأتيتُ نبيّ اللهِ وعندَهُ زيدُ بنُ حارثةَ فأخبرتُه الخبَرَ، فخَرَجَ ومعهُ زيدٌ، فانطلَقْتُ معهُ، فدخَلَ على حمزةَ فتغيّظَ عليه، فرفَعَ حمزةُ بصَرَهُ وقال: هل أنتم إلاّ عبيدٌ لآبائي فرجَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَهْقِرُ حتّى خرَجَ عنهم، وذلك قبلَ تحريمِ الخمرِ»[1].

مناقشة النص

الحديث ليس له علاقة بالباب الذي ورد تحته، والذي سماه البخاري باب بيع الحطب والكلاء، وليس له أي فائدة أو حكمة، وكل ما يمكن فهمه من الحديث هو التحقير للرسول صوات الله وسلامه عليه، والذي ورد على لسان حمزة ابن عبدالمطلب وموجه لرسول الله: «هل أنتم إلاّ عبيدٌ لآبائي».

كما يظهر الحديث أن الرسول لم يفعل شيئاً ضد حمزة بسبب تمثيله بالجملين.

والرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يجهر بالحق ولا يخاف لومة لائم، وكان يقف أمام أحد كبراء قريش ويتلوا عليه ما نزل بحقه من آيات، مثل قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُوداً﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ

(١) باب بيع الحطب والكلاء ـ كتاب المساقاة.

أَزِيدَ﴿١٥﴾ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴿٢٧﴾ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴿٣٠﴾ المدثر

ووقف أمام عمه، وشقيق حمزة، أبو لهب، وتلى عليه دون وجل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴿١﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴿٢﴾ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴿٥﴾

ولم يكن ليخشى حمزة أو غيره، ولكن الحديث هو الذي لم يحدث، ولا يزيد عن تصورات وخيال قُصّاص، نقلها المحدثون مع غيرها من الغث الذي تمتلئ به كتبهم.

* * *

نساؤه يكدنه ويتلاعبن به وكأنه ساذج

حدّثنا فَروَةُ بن أبي المَغْراءِ حدثنا عليُّ بن مُسهرٍ عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ العسل والحلوى، وكان إذا انصرَفَ من العصرِ دَخَلَ على نسائِه فيدْنوَ من إحداهنَّ، فدخلَ على حفصةَ بنتِ عمرَ فاحتبسَ أكثرَ ما كان يَحتبسُ، فغِرتُ، فسألتُ عن ذلك، فقيلَ لي: أهدَت لها امرأةٌ من قَومها عُكةَ عَسَل، فسقتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم منه شَربةً، فقلتُ: أما واللَّهِ

لنَحتالنَّ له، فقلتُ لسودَةَ بنتِ زَمْعة: إنه سيدنو منكِ، فإذا دَنَا منك فقولي: أكلتَ مَغافيرَ، فإنه سيقولُ لك: لا، فقولي له: ما هذهِ الريحُ التي أجِدُ منك؟ فإنه سيقولُ لك: سَقَتني حفصةُ شَربةَ عسل، فقولي له: جَرَسَت نحلهُ العُرفَط، وسأقولُ ذلك. وقولي أنتِ يا صفية ذاك. قالت: تقول سَودة: فواللَّهِ ما هو إلا أن قام على الباب فأردتُ أن أُبادِئهُ بما امرْتني به فرَقاً منك. فلما دَنا منها قالت سَودة: يا رسولَ الله، أكلتَ مغافيرَ قال: لا. قالت: فما هذهِ الريحُ التي أجدُ منك؟ قال: سَقَتني حَفصةُ شَربةَ عسلٍ. فقالت: جَرَست نحلهُ العُرفَط. فلما دارَ إليَّ قلتُ له نحوَ ذلك. فلما دار إلى صفية قالت له مِثلَ ذلك. فلما دار إلى حفصةَ قالت: يا رسولَ الله ألا أسقيكَ منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقولُ سَودةُ: واللَّهِ لقَد حَرَمناه، قلتُ لها: اسكُتي».

مناقشة النص

هذا الحديث ورد بصيغ كثيرة جدا ومختلفة في كتب الحديث، كما أن المفسرين جعلوه سبباً لنزول الآيات الأولى لسورة التحريم، ولن نناقش كلام المفسرين، لأنه يطول ولأننا سنفرد كتاباً منفرداً عن التفسير والقرآن بإذن الله.

وسنكتفي هنا بمناقشة نص الحديث ثم إستعراض الآيات، ونبدأ ببعض التساؤلات، كما يلي:

كيف توفر لعائشة الوقت لكي تسأل عن الذي أخر الرسول عند حفصة ومن ثم تجد إمرأة من نساء المدينة تخبرها بأنها قد حصلت على بعض العسل، في خلال بضع دقائق كان الرسول فيها عند حفصة؟

وكيف تيقنت أن إحتباس الرسول عند حفصة كان بسبب شرب العسل الذي لا يستغرق شربه لحظة من الزمن، بل ويمكن أن يشربه وهو يسير باتجاه باب الخروج، ولا يمكن أن يكون السبب في تأخره صلوات الله عليه، المزعوم، أكثر من اللازم عند حفصة.

وهذا وحده كاف للتشكيك في أن الحديث مختلق، وأن الرسول لم يحدث له مع نسائه ما يزعمه الحديث، وإن كان لا ينفي وجود الخلافات الزوجية في بيت الرسول، فهو بشر يجري عليه ما يجري على البشر. ولكننا ننفي حدوث ما يصور الرسول بالمسلوب الإرادة، الساذج، المتردد، مثل هذا الحديث الذي يصور كيف تتآمر نساء الرسول عليه لكيده والنيل منه، وكأنه مغفل لا يحيط بما يدور حوله.

فعائشة وسودة قلن للرسول أن حفصه لم تسقه عسلاً كما يظن، بل سقته مغافير، وهي صمغ حلو الطعم كريه الرائحة، يخرج من الرمث والحمض، وهي شجيرات صحراوية معروفة في بلاد العرب وترعاها الإبل.

وكأن الرسول شرب من المغافير، ولم يشم رائحته الكريهة، ولم يستطع التفريق بين طعم العسل وطعم المغافير، وهو الرجل الذي عاش ٥٣ عاماً في مكة التي يعرف أهلها عسل الطائف ويتناولونه باستمرار.

وكل من يرغب في التأكد من أن هذه القصة لم تحدث، فعليه مراجعة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ويقرأ مالذي أورده ابن حجر العسقلاني عن قصة هذا الحديث، وكثرة الإختلاف والخلاف فيها لدرجة لا يمكن أن تكون حدثت بالفعل.

وفيما يلي تلاوة للخمس آيات الأولى لسورة التحريم، وتدبر لمعانيها

باختصار لنرى هل نزلت فعلاً بسبب عسل حفصة أم لسبب آخر، يقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٢﴾

من الواضح أن الآيتان الأوليان نزلتا بسبب أن الرسول صلوات الله عليه، حرم على نفسه بعض ما هو حلال، لكي يرضي أزواجه، وليس بعضهن.

ثم تنتقل السورة للحديث عن موضوع آخر، يقول تعالى:

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴿٥﴾

فالآيات تتحدث عن أن الرسول أسر بعض الحديث لإحدى زوجاته، وقامت الزوجة بإبلاغ زوجة أخرى، فقامت الزوجة الأخرى بسؤاله إن كان فعلاً قال ما نسبته إليه تلك الزوجة، فاعترف ببعضه وسكت عن البعض.

وليس هناك ذكر لشرب أو أكل، مما ينفي أن يكون سبب نزول الآيات هو ما ورد في الحديث.

❊ ❊ ❊

مصادر علم الرسول

لو صدقنا الأحاديث فهي تظهر أن الرسول يستقي تعاليمه وتشريعاته وأوامره ونواهيه من مصادر متعددة، وليس فقط من القرآن الكريم المنزل عليه من الله، وهذه بعض من المصادر:

أولاً: اليهود

يأمر المسلمين بالأخذ عنهم

حدّثنا أبو عاصم الضحاكُ بن مَخْلَدٍ أخبرنا الأوزاعيُّ حدَّثنا حسانُ بنُ عَطِّيةَ عن أبي كَبشةَ عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار».

ويقص من تراثهم

حدّثنا أحمدُ بن إِسحاقَ حدَّثَنا عمرُو بن عاصمٍ حدَّثنا همامٌ حدَّثنا إسحاقُ بن عبدِ الله قال: حدَّثني عبدُ الرحمنِ بن أبي عمرةَ أن أبا هريرةَ حدثهُ أَنَّهُ سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم. وحدّثني محمدٌ حدَّثنا عبدُ اللهِ بن رجاءٍ أخبرَنا همامٌ عن إسحاقَ بن عبدِ الله قالَ: أخبرني عبدُ الرحمن بن أبي عَمرةَ أن أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنه حدثهُ أنه سمعَ رسولَ اللهِ صلى الله

عليه وسلم يقول: «إن ثلاثةً في بني إسرائيلَ أبَرصَ وأقرعَ وأعمى بَدا لله عز وجلَّ أن يَبتَليَهم فَبعثَ إليهم مَلَكاً، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لَونٌ حسَنٌ وجِلدٌ حسَن، قد قَذِرَني الناس. قال: فمسَحهُ فَذهَبَ عنه، فأُعطِي لوناً حسناً وجِلداً حسناً. فقال: أيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ ـ أو قال: البقرُ ـ هو شَكَّ في ذلك: إن الأبرصَ والأقرعَ قال أحدُهما: الإبلُ، وقال الآخرُ: البقر ـ فأُعطِيَ ناقةً عُشَراءَ، فقال: يُبارَكُ لك فيها. وأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شَعرٌ حسَنٌ ويَذهَبُ هذا عني، قد قَذِرني الناس. قال: فمسحَهُ فذهبَ، وأُعطِيَ شَعراً حسَناً. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ. قال: فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُبارَكُ لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يردُّ اللهُ إليَّ بَصري فأبصِرُ به الناسَ. قال: فمسحَهُ، فردَّ اللهُ إليهِ بصرهُ. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليكَ؟ قال: الغنَمُ، فأعطاهُ شاةً والداً، فأنتِجَ هذانِ ووُلِّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ منَ الغَنم. ثمَّ إنه أتى الأبرصَ في صورتهِ وهيئتِهِ فقال: رجلٌ مِسكينٌ تَقطَّعَتْ بهِ الحِبالُ في سَفَره فلا بَلاغَ اليومَ إلا باللهِ ثمَّ بكَ، أسألكَ ـ بالذي أعطاكَ اللونَ الحسن والجِلدَ الحسن والمالَ ـ بَعيراً أتبلَّغُ بهِ في سَفري. فقال له: إنَّ الحقوقَ كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يَقذَرُكَ الناس فقيراً فأعطاكَ الله؟ فقال: لقد ورِثتُ لكابرٍ عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذباً فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ. وأتى الأقرعَ في صورته وهيئتهِ، فقال له مثلَ ما قال لهذا، فردَّ عليهِ هذا، فقال: إن كنتَ كاذباً فصيركَ اللهُ إلى ما كنتَ. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجلٌ مِسكينٌ وابنُ السبيل وتقطَّعَت بهِ الحبالُ في سفرِه، فلا بلاغَ اليوم إلا بالله ثمَّ بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرَكَ شاةً أتبلغُ بها في سفري. وقال له: قد كنتُ أعمى

فردَّ اللهُ بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذْ ما شئتَ، فواللهِ لا أجهَدُك اليومَ بشيءٍ أخذتَهُ لله. فقال: أمسِكْ مالك، فإنما ابتليتُم، فقد رضيَ اللهُ عنك، وسَخِطَ على صاحبيك».

ومثله

حدثنا إسماعيل بن خليلٍ أخبرَنا عليُّ بن مُسهرٍ عن عبيدِ الله بن عمرَ عن نافعٍ عن ابنِ عمر رضي اللهُ عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غارٍ فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنهُ قد صدقَ فيه. فقال واحدٌ منهم: اللهمَّ إن كنتَ تَعلم أنهُ كان لي أجيرٌ عملَ لي على فرقٍ من أرزٍ. فذَهبَ وترَكهُ، وأَنّي عَمدْتُ إلى ذلكَ الفرَقِ فزَرَعتهُ، فصار مِن أمرِه أنّي اشترَيتُ منهُ بقراً، وأنه أتاني يطلبُ أجرَهُ، فقلتُ له: اعْمدْ إلى تلكَ البقرِ فسُقها، فقال لي: إنما لي عندَكَ فرقٌ من أَرُزٍّ. فقلت له: اعمدْ إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرَقِ. فساقَها. فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخَت عنهمُ الصخرة. فقال الآخرُ: اللهمَّ إن كنتَ تَعلمُ أنهُ كان لي أبَوانِ شيخانِ كبيران، وكنتُ آتيهما كلَّ ليلةٍ بلَبَنِ غنمٍ لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً، فجئتُ وقد رقَدا، وأهلي وعِيالي يَتضاغونَ من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يَشَربَ أبوايَ، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدَعهما فَيستَكِنّا لشَربتهما، فلم أزَلْ أنتظرُ حتى طلعَ الفجرُ. فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خَشيتكَ ففرِّج عنّا. فأنساخَت عنهمُ الصخرةُ حتى نظروا إلى السماءِ. فقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنه كان لي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأني راوَدْتُها عن نفسِهافأبتْ إلى أن آتِيَها

بمائةِ دينارٍ، فطلبتُها حتى قدَرْتُ، فأتيتها بها فدفَعتُها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قَعَدْتُ بينَ رجليها فقالتِ اتَّقِ الله ولا تَفُضَّ الخاتم إلا بحقِّه، فقُمتُ وتركتُ المائةَ دينار. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلت ذلك مِن خشيتك ففرِّجْ عنا، ففرَّجَ الله عنهم فخرجوا».

ومثله

حدثنا محمدُ بن بشارٍ حدَّثنا محمدُ بن أبي عدي عن شعبةَ عن قَتادةَ عن أبي الصديقِ الناجيِّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان في بني إسرائيل رجُلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنساناً، ثم خَرجَ يَسألُ، فأتى راهِباً فسألهُ فقال له: هل من توبة؟ قال: لا فقتله. فجعلَ يَسألُ، فقال له رجل ائتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركهُ الموتُ فَناءَ بصَدرهِ نَحوَها، فاختصمَتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قِيسوا ما بينهما، فوجدَ إلى هذهِ أقرب بشِبر، فغُفِرَ له».

مناقشة النص

كيف يمكن أن يأمر الرسول بالتحديث عن اليهود مع أن الله قال: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران٧٣

وكيف نستعير من كتبهم وتراثهم والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران١٠٠

لأن كل ما تحويه كتبهم مجرد خرافات وأساطير خطتها أيديهم ونسبوها لله زوراً وبهتاناً: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران٧٨

* * *

ويأخذ بعض دينه منهم

حدّثنا عليُّ بن عبدِ الله حدَّثَنا سُفيانُ حدَّثنا أيوبُ السَّختِيانيُّ عن ابنِ سعيدِ بنِ جُبَير عن أبيهِ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما قدِمَ المدينةَ وَجدَهم يَصومونَ يوماً ـ يعني يومَ عاشوراءَ ـ فقالوا: هذا يومٌ عظيم، وهو يومٌ نجّى اللهُ فيه موسى، وأغرَقَ آلَ فِرعون، فصام موسى شُكراً لله. فقال: أنا أولى بموسى منهم، فصامَه وأمَر بصيامه»[١].

مناقشة النص

كيف يأمر الرسول بإدخال عبادة من اليهود في دين الله مع أن من يطع اليهود فقد كفر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠)

وهل يمكن أن يقول اليهود الحقيقة وقد ألفوا لهم ديناً من عند أنفسهم وتبعوه بدل دين الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥)

(١) باب قوله تعالى وهل أتاك حديث موسى ـ كتاب الأنبياء.

وكيف يمكن تصديق اليهود وهم يحاولون تشكيك المسلمين في دينهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾ (النساء: ٤٤)

وكيف يصدق الرسول زعم اليهود دون تثبت مع أنه أمر أن يتثبت من أي خبر قبل أن يأخذ به حتى لو كان قائله مسلم وليس يهودياً لا يؤمن بالإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)

ومع ذلك فلو فرضنا جدلاً أن اليوم الذي نجا فيه الله موسى، قد وافق يوم العاشر من محرم في أول سنة عاشها الرسول في المدينة، فإنه يستحيل أن يتوافق اليومان في السنة التي تليها، لسبب بسيط.

ذلك أن اليهود وإن كانوا يتبعون التقويم القمري مثل المسلمين، وهذه حقيقة، إلا أنهم يعتبرون الشهر ٢٩ يوماً وبعد ثلاث سنوات يضيفون شهراً على السنة، وهذه حقيقة أخرى، مما يعني أنه لو توافق ذلك اليوم مع عاشوراء في سنة من السنين فلن يتوافق معها في السنة التي تليها والتي تليها، وهكذا، إلى أن يدور الزمن دورته ويلتقي اليومان مرة أخرى بعد سنوات، وليوم واحد فقط. ويكون على المسلمين معرفة تقويم اليهود حتى يتسنى لهم تحديد اليوم الذي نجا الله فيه موسى من كل عام لكي يتسنى لهم صيامه، وسيجدون أنفسهم يصومونه مرة في محرم وأخرى في ذي الحجة، وأحياناً يكون ضمن رمضان، وبالتأكيد لكن يكون بالإمكان تسميته عاشوراء، بل سيسمى بما يسميه اليهود به، وهو اسم لو وجد فسيدل على علاقته بنجاة موسى، ولن يسمى بعاشوراء، نسبة للعاشر من محرم، اليوم الذي يقول الشيعة أن الحسين ابن علي قد قتل فيه.

* * *

ويتشبه بهم

حدَّثنا عَبدانُ حدَّثَنا عبدُ اللّهِ عن يونَس عنِ الزهريِّ قال: أخبرَني عُبيدُ اللّهِ بن عبدِ اللّه بن عُتبةَ عن عبدِ اللّهِ بن عباس رضيَ اللّه عنهما «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يَسدِلُ شعرَهُ، وكان المشركون يَفرقونَ رُؤوسَهم وكان أهل الكتاب يَسدِلون رؤوسَهم، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يحبُّ موافَقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يؤمَرْ فيه بشيء، ثمَّ فَرَقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رأسَه»[1].

مناقشة النص

هناك حديث آخر منسوب للرسول يقول: «من تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم»، أورده مسلم في كتابه وأحمد في مسنده وغيرهم من كتبة الحديث.

فهل يريد هذا الحديث أن يقول إن الرسول من هؤلاء؟ أستغفر الله.

ثم لماذا يتشبه الرسول بأكثر أعداء دين الله، منذ عصر موسى وعبر مئات الأجيال حتى عصر محمد: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة٨٢.

* * *

(١) الباب السابق.

ثانياً: المسيحيون وكتبهم

لم يعلم أنه أصبح رسولاً لله لولا ورقة ابن نوفل المسيحي

حدّثنا عبدُ للهِ بن يوسُفَ حدثنا الليثُ قال: حدَّثني عُقَيلُ عنِ ابنِ شهاب سمعتُ عُروة قال: قالت عائشة رضيَ اللهُ عنها: «فرَجَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى خديجةَ يَرجُفُ فؤادهُ، فانطلَقَتْ بهِ إلى وَرقةَ بنِ نوفل ـ وكان رجُلاً تَنصَّرَ، يَقرأ الإنجيل بالعربية ـ فقال ورقة: ماذا ترَى؟ فأخبرهُ، فقال ورقةُ: هذا الناموسُ الذي أنزل اللهُ على موسى، وإن أدرَكَني يومُكَ أنْصُرْكَ نَصراً مُؤَزَّراً»[1].

مناقشة النص

كيف يقتنع محمد بكلام رجل مسيحي أكد له أنه أصبح رسولاً لله، ولم يقتنع برؤيته لأحد الملائكة الذي أرسله الله غليه ليبلغه أنه أصبح رسولاً لله؟

ورؤية الرسول للملك ونزول الوحي عليه حقيقة لا مرية فيها ولا شك، ولا تحتاج لأن يسأل الرسول أحد المسيحيين عما تعني. وهذا ما حدث للرسول كما ورد في سورة النجم: بسم الله الرحمن الرحيم. وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴿١١﴾

(١) باب واذكر في الكتاب موسى ـ كتاب الأنبياء.

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴿١٨﴾

فالرسول رأى الملك مرتين كما تقول الآية، وعرف بأنه رسول لله ونزل عليه الوحي، دون الحاجة لأن يؤكد له أحد المسيحيين، ورقة ابن نوفل، أنه رسول من الله.

وتأكيداً لأن قصة ورقة ابن نوفل لم تحدث، نقول أن عقيدة المسيحيين تعتمد على الإيمان بأن يسوع هو ابن لله، وقد صلب ليكون دمه فداءاً لذنوب المسيحيين. وكل ما عليهم هو الإيمان بأن يسوع صلب ليفدي ذنوبهم، وورقة ابن نوفل، إن كان مسيحياً فهو يؤمن بذلك، وبالتالي لايمكن أن يؤمن أن محمداً رسول لله، لأنه لو فعل فقد كفر بديانته، التي تعتبر كل من يأتي بعد يسوع ويقول هو مرسل فهو دجال، ولن يحتاج المسيحي لرسول بعد يسوع لأن ذنوبه غفرت له بدم يسوع الذي صلب، حسب ما يعتقدون.

وإذا كان ورقة ابن نوفل مسيحياً ـ وأنا شخصياً أشك في ذلك ـ فلن يكون لديه أي مصدر يعرف منه أن محمد هو رسول الله. فكتب المسيحيين زمن رسول الله وقبل زمن رسول الله وفي الوقت الحالي تخلوا تماماً من ذكر لمحمد، لأن ذكر أن هناك رسول لله سيأتي بعد يسوع يعني أن المسيحية تؤكد أنها دين باطل، ويستحيل أن يترك أهل أي عقيدة نصوصاً في ديانتهم تؤكد بطلانها.

وأظن أن ورقة لم يكن مسيحياً، بل هو وثني قرشي، لأنه لو كان قد اعتنق المسيحية فلابد أن يواجه بالرفض من مجتمعه القرشي، وهذا لم

يحدث، ولم يسجل التاريخ أن قريش رفضته أو حاربته أو على أقل تقدير نعتته بالصابئ، أي الخارج عن ديانة قريش.

كما أن التاريخ لم يسجل أن ورقة ابن نوفل قد آمن برسالة محمد برغم إدراكه للبعثة، مع أن الحديث يقول على لسان ورقة قوله للرسول: «وإن أدرَكَني يومُكَ أنْصُرْكَ نَصراً مُؤَزَّراً». وقد عاش ورقة فترة من الزمن بعد بعثة الرسول ومات على كفره.

* * *

ومسيحي ـ ليس من الناس ـ كان يكتب له

حدثنا أبو معمرٍ حدَّثنا عبدُ الوارثِ حدثنا عبدُ العزيز عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «كان رجلٌ نَصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآلَ عمران، فكان يَكتبُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكانَ يقول: ما يدري محمدٌ إلا ما كتبتُ له، فأماتهُ الله فدفنوه، فأصبحَ وقد لفَظَتْهُ الأرض، فقالوا: هذا فعلٌ محمدٍ وأصحابهِ لما هربَ منهم نَبَشوا عن صاحبنا فألقوهُ. فحَفَروا لهُ فأعمقوا، فأصبحَ وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابهِ نبشوا عن صاحبنا لما هربَ منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبحَ قد لَفظَتْهُ الأرض، فعلموا أنه ليسَ من الناس فألقوه»[1].

مناقشة النص

من الواضح أن الحديث عبارة عن أسطورة، تبين عقلية القاص، الذي

---

(١) باب علامات النبوة في الإسلام ـ كتاب الأنبياء.

يؤمن بالظواهر الغير طبيعية، والخوارق، ولذلك أورد أن الجسد كان يدفن في القبر وإذا ما غادر الناس المقبرة، لفظت الآرض الجسد، ومثل هذه القصص الخيالية لازالت موجودة بين الناس، ومن ذلك خروج نور من قبور من يعتقدون بصلاحهم، أو تغير وجه شارب الدخان عن القبلة أو أن من قتل في معركة «كشهيد» يشم الناس من جثته ريح المسك. . . وغير ذلك من القصص.

ويعطي مختلق القصة سبباً خرافياً للفظ الآرض جثة الرجل، قائلاً: «فأصبحَ قد لَفظَتْهُ الأرض، فعلموا أنه ليسَ من الناس فألقوه».

فإن كان ليس من الناس. فممن يا ترى يكون؟

هل كان من الجن والشياطين؟ أم من الملائكة؟

والقول بأن الرسول صلوات الله عليه كان يعلمه رجلاً ثم ينقل ما تعلمه للناس ويسميه قرآن، قالت به قريش، عندما كان رسول الله بمكة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل١٠٣

وقد جاء الرد من الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل ١٠٢

فهل يريد مختلق الحديث أن يؤكد أن أهل مكة صادقين فيما اعتقدوه عن الرسول، وأنه يتعلم من شيطان على صورة إنسان، ولما مات لفظته الأرض لأنه ليس من الناس، أي ليس من البشر؟

بل صدق الله والرسول وكذب المحدثون.

* * *

ويقتبس من كتبهم

حدّثنا سُليمانُ بنُ حَربٍ حدَّثَنا حَمّادٌ عن أيُّوبَ عن نافعٍ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُكم ومَثَلُ أهلِ الكِتابَينِ كَمَثلِ رجُلٍ استأجَرَ أُجَراءَ فقال: مَن يَعمَلُ لِي مِن غُدوةَ إلى نصفِ النهارِ على قِيراطٍ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ. ثمَّ قال: مَن يَعمَلُ لي من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قِيراط؟ فعَملتِ النَّصارَى. ثمَّ قال: مَن يَعمَلُ لي منَ العصرِ إلى أن تَغيبَ الشمسُ على قِيراطَينِ؟ فأنتم هم. فغضبت اليهودُ والنصارَى فقالوا: ما لَنا أكثرَ عملاً وأقلَّ عطاءً؟ قال: هل نَقَصتُكُم مِن حقِّكم؟ قالو: لا. قال: فذلك فَضْلي أُوتِيهِ من أشاءُ»[١].

وفي رواية أخرى

حدّثنا قُتَيبةُ بن سعيدٍ حدَّثنا ليثٌ عن نافع عنِ ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أجَلُكم ـ في أجَلِ من خَلا من الأمم ـ ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمس. وإنما مَثَلُكم ومَثَل اليهودِ والنصارَى كرجُلٍ استعمل عُمالاً فقال: مَن يعَملُ لي إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراط؟ فعملتِ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراط قيراط. ثمَّ قال: مَن يعَمَلُ لي من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراط قيراط؟ فعمِلَتِ النصارَى من نصفِ النهار إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراط. ثمَّ قال: مَن يَعمل لي من صلاةِ العصر إلى مَغربِ الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين يعملونَ من صلاةِ العصرِ إلى مَغربِ الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكمُ الأجرُ مرَّتين. فغضِبَتِ اليهودُ

(١) باب الإجارة إلى نصف النهار ـ كتاب الإجارة.

والنصارى فقالوا: نحنُ أكثرُ عملاً وأقلُّ عَطاءً، قال اللهُ: هل ظلمتُكم من حَقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي، أعطِيهِ مَن شئتُ»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث ينسب للرسول أنه يتحدث عن الله، فكيف إطلع على ما يريد الله أن يقوله، بدون وحي؟

وهذا التساؤل لن يكون له داع إذا عرفنا أن الحديث عبارة عن نص منقول من كتاب المسيحيين المقدس، وإليكم النص الأصلي:

«فان ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه. فأتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وارسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما في السوق بطالين. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فاعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين. فقال لهم لماذا وقفتم هنا كل النهار بطالين. قالوا له لانه لم يستأجرنا احد. قال لهم اذهبوا انتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله. ادع الفعلة واعطهم الاجرة مبتدئا من الاخرين إلى الاولين. فجاء اصحاب الساعة الحادية عشرة واخذوا دينارا دينارا. فلما جاء الاولون ظنوا انهم يأخذون اكثر. فاخذوا هم أيضاً دينارا دينارا. وفيما هم ياخذون تذمروا على رب البيت. قائلين. هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فاجاب وقال لواحد منهم. يا

(١) باب ما ذكر عن بني إسرائيل ـ كتاب الأنبياء.

صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار. فخذ الذي لك واذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي» (كتاب متى: ٢٠: ١ ـ ١٣).

ويخبرنا ابن كثير في كتابه الشهير البداية والنهاية كيف وصلت كثير من النصوص المسيحية من كتب المسيحيين إلى تراث المسلمين، عبر نسبتها للرسول، بقوله: «أن عبدالله ابن عمرو ابن العاص قد عثر على زاملتين (مجموعتين من المخطوطات) من كتب أهل الكتاب، وكان يحدّث عنهما كثيراً»[1].

وإلا كيف نستعير من كتب المسيحيين واليهود والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران١٠٠

فهل كان عبدالله ابن عمرو يقص في مجالسه الخاصة هذه القصص وتلقاها الناس على أنها منسوبة للرسول؟

نظن ذلك، والله أعلم.

* * *

ثالثاً: معتقدات جاهلية

حدَّثَنا مُسدَّدٌ حدَّثَنا مُعتمِرٌ عن حُمَيدٍ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «انصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظلوماً، قالوا:

(١) ج٣ ص ٥٠، ج١ ص ٢٩٨، ج١ ص ١١٩، ج٤ ص ٣٣٢، ج١ ص ٣١٩، ج١ ص ١٠٢.

يارسولَ الله، هذا ننصُرهُ مَظلوماً، فكيفَ ننصُرهُ ظالِماً؟ قال: تأخُذُ فوقَ يدَيهِ»[1].

مناقشة النص

نص الحديث عبارة عن مثل جاهلي معروف، وأول من قال أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، في الجاهلية جندب ابن العنبر ابن عمرو التيمي، وقد أورده على شكل بيت شعر يقول:

يا أيها المرءُ الكريمُ المشكوم انْصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوم

وللمثل قصة رواها أبو الفضل الميداني في كتابه الشهير «معجم الأمثال والحكم» تحت رقم ٤٢٠٢.

ولو أن الراوي قال بأن الرسول تمثل بهذا المثل، واقتبسه من قائله، فلا شيء في ذلك، لكن أن ينسب للرسول قوله أنصر أخاك ظالماً أو مظلوم، كتشريع، فهذا إحياء لعصبية جاهلية مقيتة حاربها الإسلام، ولم يشفع للقاص قوله على لسان الرسول: «فكيفَ ننصُرهُ ظالِماً؟ قال: تأخُذُ فوقَ يدَيهِ» لأن منع الظالم من الظلم ليس أخذ على يديه بل منع له من الظلم أو عقاب له على ظلمه قد يكون صارماً، حسب ظلمه الذي اقترفه.

ومثله:

* * *

«الولد للفراش وللعاهر الحجر» وأول من قاله، في الجاهلية، أكثم ابن صيفي، حسبما ذكر أبو الفضل الميداني في كتابه الشهير «معجم الأمثال والحكم». وهذا نص الحديث:

---

(١) باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ـ كتاب المظالم.

حدّثنا يحيى بنُ قَزَعةَ حدَّثَنا مالكٌ عنِ ابنِ شهابٍ عن عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالتْ: كانَ عُتْبةُ بنُ أبي وَقّاصٍ عَهِدَ إلى أخيهِ سَعدِ بن أبي وَقّاصٍ أنَّ ابن وَليدةِ زَمْعةَ مِنِّي فاقبِضْهُ. قالت: فلما كان عام الفَتْحِ أخَذَهُ سعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ وقال: ابنُ أخي، قد عَهِدَ إليَّ فيهِ. فقامَ عَبدُ بنُ زَمْعةَ فقال: أخي، ابنُ وَليدةِ أبي وُلِدَ على فِراشهِ. فتساوَقا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال سعدٌ: يارسولَ الله، ابنُ أخي، كان قد عَهِد إليَّ فيه. فقال عبدُ بنُ زَمْعةَ: أخي وابن وَليدةِ أبي، وُلِدَ على فِراشهِ. فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: هوَ لكَ ياعبدُ بنَ زَمْعة. ثم قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: الوَلدُ للفِراشِ وللعاهِرِ الحَجَرُ. ثم قال لِسَودةَ بنتِ زَمعةَ زَوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: احتَجِبي منه، لما رأى مِن شَبَهِهِ بعُتبةَ، فما رآها حتّى لَقِيَ الله[1].

مناقشة النص

لو ثبت أن الرسول قد قال وللعاهر الحجر (بفتح الجيم) أي الرجم، لوجب أن ترجم أم الولد المختلف عليه، وبما أنها لم ترجم، وهذا ما أكده الواقع والتاريخ، فهذا يدل على أن استشهاد الرسول بالقول الجاهلي، إن كان قد ثبت عنه، قد جرى عليه بعض التغيير، بحيث حُرك حرف الجيم الساكن في كلمة «الحجر» فتحولت من معنى الحبس إلى الرجم، ولم يستطع من فعل ذلك أن يضيف في الحديث ما يدل على أن المرأة قد رجمت، لأنه لو فعل فسيكذبه التاريخ.

وينقل ابن منظور في لسان العرب، عن نفس قصة الحديث: «قال أَبو

(١) باب تفسير المشبهات ـ كتاب البيوع.

عبيد: معنى قوله وللعاهِر الحَجَرُ أَي لا حَقَّ له في النسب ولا حظَّ له في الولد، وإِنما هو لصاحب الفراش أَي لصاحب أُمِّ الولد، وهو زوجها أَو مولاها؛ وهو كقوله الآخَر: له الترابُ أَي لا شيء له»[1].

ومثله:

* * *

حدّثنا قَتَيبةُ بنَ سعيدٍ حدّثَنا اللَّيثُ عن يَزيدَ بنَ أبي حَبيبٍ أنَّ عِراكَ بنَ مالكٍ حدَّثَهُ أنَّ عُروةَ أخبرَهُ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: «أن قُريشاً كانت تَصومُ يومَ عاشوراءَ في الجاهليةِ، ثُمَّ أمرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بصِيامهِ حتّى فُرِضَ رمضانُ، وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَن شاءَ فلْيَصُمْهُ، ومَن شاءَ أفطَرَه»[2].

مناقشة النص

هذا الحديث لا يذكره رجال الدين كسبب لصيام عاشوراء، لأنهم ظنوا أن إيراد سبب صوم عاشوراء كتقليد لليهود أكثر إقناعاً من إعادة السبب لعادات جاهلية، وكلا الحديثين عن صوم عاشوراء لا أساس له كما بينا بالتفصيل في كتاب سنة الأولين[3].

ومن الأمثال الجاهلية التي وجدت طريقها لكتب الحديث، بنسبتها للرسول: زر غباً تزدد حباً، الذي كان أول من قاله في الجاهلية هو معاذ ابن صرم الخزاعي، كما نقل ابن منظور.

---

(١) عهر ـ باب العين.
(٢) باب وجوب صوم رمضان ـ كتاب الصوم.
(٣) فصل صيام عاشوراء ـ الملاحق.

ولو تمعنا في كتب الحديث لوجدنا أنها تحوي نصوصاً من كل عقيدة كان الناس يدينون بها في البلاد التي استولى عليها جيوش المسلمين في العشرين سنة التي تلت وفاة رسول الله، مثل المجوسية وأديان الهند، والصابئة ووثنيات الإغريق، وغيرها. وفيما قدمنا ما يكفي للتمثيل، فلا داعي للإفاضة.

* * *

القسم الرابع

الله جل جلاله في كتب الأحاديث

لقد رسمت الأحاديث صوراً لله تقربه من صور البشر; فهو يضحك، ويغار، ويحب المديح، ويتأذى بكلام الناس، ويحتاج للدنو ليسمعهم. ويحابي البعض منهم، ويبعد البعض. كما أنه يوحي للرسول بآيات ثم يتراجع ويمحوها، أو ينزل حكماً ثم ينسخه، أو ينزل آية ثم يفطن إلى أنها أدت لشيء لم يرده فيعدلها، أو يستمع لإقتراحات البشر ويوافق عليها، أو يخلق ثم يكره ما خلق. وأحياناً لايعرف ما يدور في خلقه، أو لايدري ماذا يفعل، وغير ذلك الكثير.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فهو سبحانه كما وصف نفسه: ﴿....... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الشورى١١

وكل ما يوصف به من وصف يعرفه الإنسان أو يستطيع تخيله فليس لله، سبحانه وتعالى عما يصفون.

يشابه البشر في الشكل والتصرف

يضحك

حدّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ أخبرَنا مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرَجِ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَضحَكُ اللهُ إلى رجُلَين يَقْتلُ أحدُهما الآخرَ يَدخُلانِ الجنَّة، يُقاتِلُ هذا في سبيلِ الله فيُقتَلُ، ثم يَتوب الله على القاتلِ فيُستَشهَدُ»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يقرر أن الله جل وعلى يضحك، والضحك في لغة البشر يعني إظهار السرور بالقهقهة وفتر الثغر ولذلك سميت الأسنان الأمامية في الفم الضاحكة لأنها تظهر عند الضحك، وهو خاص ببني البشر والقرود من بين مخلوقات الله على الأرض. والحديث يعطي انطباعاً أن لله فم وأسنان وأنه يمر بحالات سرور فيضحك، ويفتر فمه عن ضحكة تظهر أسنانه؟

يقول تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الشورى١١

(١) باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل.

أي أن الله جل وعلى هو من فطر الكون وجميع المخلوقات من لاشيء، وأي صفة من صفات خلقه فليس لله مثلها، والبشر من صفاتهم الضحك، إذاً فالله لا يضحك.

ومثل ذلك أحاديث تقول بأن لله ساقاً، لأن هناك آية تقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم٤٢

ظناً من القصاص أن المعني هي ساق الله، بينما المعنى كما هو واضح، تصوير لهول الموقف، كما يقال في المثل: «كشفت الحرب عن ساقها» إذا حمي الوطيس. وقد أوردوا حديثاً يقول: حدَّثنا آدمُ حدَّثنا الليثُ عن خالدِ بن يزيدَ عن سعيدِ بن أبي هلالٍ عن زيدِ بن أسلمَ عن عطاءِ بن يسارٍ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: «سمِعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «يَكشِفُ ربُّنا عن ساقِهِ، فيسجُدُ له كلُّ مُؤمِنٍ ومؤمنَةٍ، ويبقى كُلُّ من كان يَسجُدُ في الدنيا رِياءَ وسُمعةً، فيذهبُ ليسجُدَ، فيعودُ ظهرُه طَبَقاً واحداً»[١].

ولأن الساق تحتاج لقدم فقد أوردوا حديثاً آخر يقول بأن لله ـ تعالى عما يصفون ـ قدماً: حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي الأَسود حدَّثنا حَرَميُّ بن عُمارَةَ حدَّثَنا شُعبةُ عن قتادةَ عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «يُلقَى في النار وتقول هل من مزيدٍ، حتى يضعَ قَدَمَه فتقول: قَطْ قَطْ»[٢].

بينما القرآن يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ. وَجَاءتْ كُلُّ

(١) باب قوله يوم يكشف عن ساق ـ كتاب التفسير.
(٢) باب قوله وتقول هل من مزيد ـ كتاب التفسير.

نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ. الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ. قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ. مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ. يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ. وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ. هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ق٢٠ ـ ٣٢

مما يعني أنه لن يكون هناك تبادل للحديث بين الله ومخلوقته النار، كما أن الآيات تصور كيف أن النار لن تضيق بمن يلقى فيها من المكذبين مهما بلغت أعدادهم.

وجعلوا لله يداً، لأنه سبحانه وتعالى ذكر في كتابه اليد مضافة لله، مثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح١٠

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة٦٤

وقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد٢٩

وبمجرد قراءة الآيات السابقة سنجد أن اليد في الآية العاشرة من سورة

الفتح تعني معنوياً أن المبايعة ليست للرسول، ولو أمسكوا بيد الرسول، ولكنها لله.

ومعنى اليد في الآية ٦٤ من سورة المائدة تعني أن الله كريم وذو فضل عظيم على خلقه، وهو ما تعنيه اليد في الآية ٢٩ من سورة الحديد.

وجعلوا لله وجها، وجعلوا الله ينزل، ويضحك، وغير ذلك مما لا يليق أن يصف البشر به الله، لأنه ليس بينه وبين خلقه أي صفات مشتركة، فهو ليس كمثله شيء من خلقه كما وصف نفسه سبحانه.

* * *

يغار ويحب المدح

حدثنا عمرُ بن حفصٍ حدَّثَنا أبي حدَّثَنا الأعمشُ عن شقيقٍ عن عبدِ الله بن مسعود عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحدٍ أغيَرُ من الله، من أجلِ ذلكَ حرَّمَ الفواحشَ، وما أحدٌ أحبُّ إليه المدحُ من الله»[١].

مناقشة النص

الحديث يتعرض لنقطتين، هما: أن الله يغار، وأنه يحب المديح.

ولن نعلق على قول الرواي «وما أحدٌ» في قوله: «وما أحدٌ أحبُّ إليه المدحُ من الله» والتي تجعل الله جل وعلى كأحدنا، لأننا إعتبرناها تعبير غير موفق لمختلق الحديث.

الحديث يقول صراحة أن الله يغار من الناس على ممارسة الجنس، وبسبب تلك الغيرة «حرَّمَ الفواحشَ».

---

(١) باب الغيرة.

وهذا القول تجن فاحش على الذات الإلهية، فالله هو من خلق الخلق، وجعل فيهم غريزة الجنس لكي يتناسل البشر ويبقون. فممارسة الجنس ضرورة، مثلها مثل الأكل والشرب. وقد أودع الله شعور انجذاب الرجل للمرأة والمرأة للرجل لكي يحصل الجماع وينجب الأطفال ويستمر بقاء البشر.

ولولا أن هذه الغريزة بهذه القوة لما تواصل الزوجان. وهذه العلاقة يسميها القرآن «سكن»: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٨٩)

مثلما سمى الليل: ﴿فالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام:٩٦)

وسمى صلاة الرسول على المؤمنين: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٣)

وسمى الأرض سكن لماء المطر: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨)

ويبدوا الإتصال بين الذكر والأنثى كأكثر المتع التي يعرفها الإنسان، في الحياة الدنيا، للضرورة التي لا غنى عنها لبقاء الجنس، ولو كان البشر يتناسلون بدون إتصال جنسي، لما وجد لديهم هذا الولع بالجنس القريب من الهوس، وسيعزف الكثير منهم عن ممارسته، حتى ولو كانوا يملكون الأعضاء الجنسية.

وبطبيعة الحال هناك مخلوقات أرضية محسوسة لا تمارس الجنس

ولكنها تعتمد على الإنشطار للتكاثر مثل بعض أنواع البكتيريا، وهناك مخلوقات نورانية مثل الملائكة لا تتكاثر، ولذلك فليس لديها أعضاء جنسية.

فالجنس الذي يظنه الإنسان المتعة التي لا يوازيها متعة، هو في الحقيقة ضرورة وليست متعة، وقد أودعه الله في خلقه من الإنسان والحيوان والطير: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

أما هو سبحانه فليس بحاجة لمثل هذه «الضرورات»: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً﴾ (الجن: ٣)

وليس بحاجة لغرائز: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ (بني إسرائيل: ٤٠)

وخلق الكون وما فيه دون الحاجة لصاحبة ولا ولد: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٠١)

ولحكمة لا نعلمها وليس للعبث أو التمتع: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ. لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٦ ـ ١٧)

وبعد!

أيخلق الله جل وعلى الخلق ثم يغار مما خلق؟

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف: ٨٢)

النقطة الثانية هي «ما أحدٌ أحبُّ إليه المدحُ من الله».

فهل يقصد الحديث أن يردد الإنسان عبارات مثل: يالك من خالق ماهر يا الله! لقد أحسنت صنع السموات والأرض! إنها لمهارة فائقة أن تخلق السموات والأرض بلا عمد! لكي ينتشس طرباً سبحانه.

أم أن الله سبحانه كما جاء في الكتاب العزيز، يذكر الناس بالخلق لكي يهتدوا للحق ويؤمنوا وينقذوا أنفسهم من النار: ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد: ٢)

وأنه سبحانه يذكر عباده ببديع صنعه لمن أراد أن يتذكر وأراد أن يشكره الله على إيمانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ (الفرقان: ٦٢)

فهو سبحانه من سيشكر عباده المؤمنين بالجنة: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ (بني إسرائيل: ١٩)

وشكر العباد لله يكون بطاعتهم لأوامره واجتناب نواهيه، وهذا الشكر يكون للمرء والله غني عنه: ﴿مَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)

وليس في القرآن الكريم آية تطلب من الناس أن يمتدحوا الله وما خلق، ولم يخلق الله الإنسان ليمتدحه ولكن ليعبده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨)

تعالى الله عما قالوا علواً كبيراً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢ ـ ٢٤)

* * *

يتأذى بكلام الناس

حدَّثنا الحميديُّ حدَّثنا سفيان حدَّثنا الزُّهريُّ عن سعيد بنُ المسيَّب عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: قال الَّلهُ عزَّ وجلَّ يُؤْذِيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أُقلِّبُ الليلَ والنهار»[1].

مناقشة النص

الله ليس هو الدهر، بل هو من خلق الدهر، وخلق الله ليس هو الله، والقول بحلول الله في المخلوقات عقيدة وثنية قديمة قالت بها المسيحية في شخص يسوع، عندما قالوا هو ابن الله، حل في جسد بشري ليتعرف على البشر أكثر.

ومن يسب الدهر فلن يسب الله، والقرآن نهى عن سب الذين يعبدون غير الله، حتى لا يسبوا الله جل جلاله: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام١٠٨

---

(١) باب وما يهلكنا إلا الدهر ـ كتاب التفسير.

ليس لأن الله سيتأذى من سب البشر، ولكن لئلا يتجرأ الكفار بالتلفظ بسب إسم الله.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الزخرف٨٢

* * *

يفضل الرجال

حدّثنا أبو الوَليدِ حدَّثنا سَلمُ بن زَريرٍ حدَّثنا أبو رَجاء عنِ عمران بنِ حُصِينٍ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال «اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ»[١].

مناقشة النص

لماذا يختار الله جل جلاله أن يكون غالبية من يدخل النار النساء، وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ النحل٩٧

ولم يخلق الله سبحانه وتعالى الرجال أقل قدرات عقلية أو تكليف، ولذلك فلا يعقل أن يكون أكثر أهل النار من النساء، وإلا لظن قارئ الحديث أن الله يفضل الرجال على النساء.

وقد كانت قريش تعتقد في الله أنه يصطفي الإناث ويفصلهن على الذكور، ولذا فالملائكة من الإناث، كما يظنون، فجاء النفي من الله في كثير من سور القرآن، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿أَلاَ إِنَّهُم

(١) باب صفة الجنة ـ كتاب بدء الخلق.

مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴿١٥٤﴾

ومن الواضح أن مختلق الحديث ليس ممن تحدر من وثنيي جزيرة العرب.

* * *

ينزل للسماء الدنيا ليسمع خلقه

حدّثنا عبدُ اللّهِ بنُ مَسْلَمة عن مالكٍ عن ابنِ شهابٍ عن أبي سَلَمة وأبي عبدِ اللّهِ الأغرِّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللّهُ عنه أنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدُّنيا حين يَبقى ثُلثُ الليل الآخرُ يقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، مَن يسألني فأُعطِيَه، من يَستغفِرُني فأغفِرَ له»[1].

مناقشة النص

يبدوا أن أفق القاص ضيق جداً، بحيث يظن أن الأرض لاتزيد عن رقعة منبسطة لها فجر واحد، وتشرق عليها الشمس وتغرب، في وقت واحد، ولو علم بأن الأرض كروية وأنه إذا كان نصفها يسوده الليل فالنصف الآخر يسوده النهار، لعرف بأن هناك فجر وثلث ليل على الدوام في بقعة ما من الأرض.

والشيئ الآخر الذي غاب عن إدراك القاص هو أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض والكون كله، وهو محيط بكل خلقه: ﴿وَللّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾ النساء١٢٦

(١) باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

ولا يحتاج سبحانه وتعالى لأن ينزل للسماء الدنيا أو يقترب منا لكي يسمع دعاءنا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة١٨٦

ولا يخفى عليه شيء من خلقه بعد أو قرب: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ آل عمران٥

وحتى ما يسوس به الإنسان داخل نفسه يعلمه الله: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ الأحزاب٥٤

فهل خالق بهذه العظمة يحتاج للقرب من عباده ليسمعهم، سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام٥٩

ولكن القصاص ما قدروا الله حق قدره، فنسبوا له ما لا يليق بجلاله، وحفظه لنا كتبة الحديث، ليلزمنا به رجال الدين، ويكفرون من ينزه الله عنه.

* * *

يقرر إخفاء ليلة القدر بسبب شجار بين رجلين

حدّثني محمدُ بنُ المُثنّى حدَّثني خالدُ بنُ الحارثِ حدَّثنا حُميدٌ حدَّثَنا أنسٌ عنِ عُبادةَ بنِ الصامِتِ قال: «خَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليُخْبرَنا بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى رجُلانِ منَ المسلمينَ فقال: خَرجتُ لأخبِرَكم بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى فُلانٌ وفلان فرَفُعَتْ، وعسى أن يكونَ خيراً لكم، فالتَمِسوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ»[١].

(١) باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس.

مناقشة النص

الحديث يقول أن الرسول أبلغه الله عن ليلة القدر متى تكون، وأنه خرج ليبلغ بها الناس، ولكن التلاحي (أي شجار وتنازع) الذي حدث بين رجلين ـ لم يذكر إسمهما ـ أحدث ردة فعل لدى الله ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ فقرر أن يرفع خبرها ويخفيها عن الناس.

وسورة القدر نزلت في مكة، ومن أوائل السور التي نزلت على الرسول في أول بعثته، وكل من ألقى السمع وهو شهيد، سيجد أنها تتحدث عن الليلة التي قدر الله، جلت قدرته، فيها بدء إنزال الوحي على محمد، ولا تتحدث عن ليلة تحوي بعض الأسرار ولها طقوس خاصة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ. سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

ولو فكر القارئ فيما يقال حول ليلة القدر لوجد أنها تتركز على أنها ليلة تجاب فيها الدعوات. والدعاء والإستغفار مفتوح في أي وقت من اليوم والشهر والسنة، كما يقول القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة١٨٦

وليس الإنسان بحاجة لترقب ليلة من شهر رمضان لتجاب دعوته وتقبل توبته.

وليلة القدر منزلتها الخاصة تتمثل ببدء نزول الوحي على رسول الهدى، ولم يكن الرسول يحيي ذكرى هذه الليلة في مكة قبل الهجرة، طوال عشر سنوات، ولم يفعل في المدينة بعد أن هاجر.

فهي ليلة مباركة، ولكن ليس المطلوب إحياء ذكراها، وليس لها علامات حسية، ولم يخفها الله سبحانه بسبب نزاع بين رجلين، ولا تخرج شمس يومها بيضاء بدون أشعة، ولم تخصص لتحقيق أماني شخصية، كما يظن عامة الناس.

* * *

الله بصور مختلفة

يخلق الناس ويحكم عليهم بالشقاء قبل مولدهم

حدّثنا الحسن بن الرَّبيع حدَّثَنا أبو الأحْوصِ عن الأعمَشِ عن زيدِ بنَ وَهبٍ قال عبدُ الله حدَّثنا: رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ـ وهوَ الصادقُ المصدوق ـ قال: «إنَّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أُمِّهِ أربعينَ يوماً، ثمَّ يكونُ عَلقَةً مثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ مُضْغةً مثلَ ذلك ثمَّ يَبعَثُ الله مَلَكاً يُؤمَرُ بأربَع كلماتٍ ويقال لهُ: اكتبْ عَمَلهُ ورزقهُ وشقيٌّ أو سعيد. ثمَّ يُنفَخُ فيهِ الرُّوحُ، فإنَّ الرجلَ منكم لَيعملُ حتّى ما يكون بينُه وبينَ الجنَّةِ إلا ذِراع، فيَسبقُ عليه كتابهُ يعملُ بعملِ أهل النار. ويَعملُ حتىّ ما يكونُ بينَهُ وبينَ النارِ إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيَعمل بعملِ أهلِ الجنة»[1].

مناقشة النص

لو صدقنا هذا الحديث فعلينا ألا نعاقب الزاني أو السارق أو القاتل أو غيرهم، لأنه عندما زنى أو سرق أو قتل لم يكن يرغب في ذلك ولم يختاره، ولكن الله كتب عليه أن يسرق أو يزني أو يقتل، فكيف يعاقب وهو مسلوب الإرادة، ولم يقترف جريمته بعلم وسبق إصرار وترصد.

(١) باب ذكر الملائكة ـ كتاب بدء الخلق.

ولو صدقنا هذا الحديث فهو يصور الله كطاغية ظالم يخلق البشر ثم يختار منهم من يدخله الجنة خالداً فيها متلذذاً بنعيمها، ويختار البعض الآخر ليعذب في النار بلا نهاية. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما القرآن فيقول: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس٤٤

والقرآن يبين أنه لاوجود لقضاء مسبق على العباد بحيث كتب على أحدهم الشقاء وعلى الآخر السعادة، ولكن الإنسان هو من يختار طريقه، إما السعادة أو الشقاء: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف٢٩

وما على الرسول إلا التذكير: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ المزمل١٩

وقد خلق الله الإنسان بعينين يرى بهما ولساناً يتحدث به ثم أراه طريق الحق وطريق الظلال، وتركه يحكّم عقله ويختار ما يشاء: أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴿٨﴾ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴿١٠﴾ البلد

وبعد ذلك: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم٤٤

* * *

يفرض ما لا يعقل ويتراجع عن حكمه وموسى أحكم منه

حدّثنا هُدْبة بن خالدٍ حدَّثَنا هَمام عن قَتادةَ. وقال لي خليفة: حدَّثَنا يزيدُ بن زُريعٍ حدَّثنا سعيد وهشامٌ قالا: حدَّثنا قتادةُ حدَّثنا أنسُ بن مالكٍ

عن مالكِ بنِ صَعْصَعةَ رضيَ الله عنهما قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «بَينا أنا عندَ البيت بينَ النائم واليَقْظان ـ وذكرَ يعني رجلاً بينَ الرَّجُلَين ـ فأُتيتُ بطِسْتٍ من ذَهَبٍ مَلآن حكمةً وإيماناً، فشقَّ منَ النَّحر إلى مَراقِّ البطنِ، ثمَّ غُسِلَ البطنُ بماءِ زَمْزمَ ثمَّ مُلىءَ حكمةً وإيماناً. وأُتيتُ بدابَّةٍ أبيض دُونَ البغلِ وفَوقَ الحمارِ البُراقُ، فانطلَقْتُ معَ جِبريلَ حتى أتينا السماءَ الدُّنيا. . . . . . إلى أن يقول: «ثمَّ فُرِضَتْ عليَّ خمسونَ صلاةً، فأقبلتُ حتّى جئتُ موسى فقال: ما صَنَعتَ؟ قلتُ: فُرِضَت عليَّ خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناسِ منكَ، عالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، وإنَّ أمتَكَ لا تُطِيق فارجعْ إلى ربِّكَ فسَلْهُ. فرجَعتُ فسألتهُ، فجعلَها أربعين، ثمَّ مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعَلَ عشرين، ثمَّ مثله فجعَل عَشراً. فأتيتُ موسى فقال مثله فجعلها خمساً. فأتيتُ موسى فقال: ما صنعتَ؟ قلتُ: جعلَها خمساً. فقال مثلُه. قلتُ: فسلَّمتُ فنُودي: إني قد أمضيتُ فريضتي. وخففتُ عن عبادي، وأجزي الحَسنة عَشْراً»[١].

مناقشة النص

سأقتبس فقرة مما ورد في كتاب سنة الأولين، في فصل الإسراء والمعراج، الذي ناقش هذا الحديث بتفصيل، لمن رغب الرجوع إليه، وهذا نص ما اقتبسناه:

«هذا الخبر يصور الله ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ وكأنه قرر فرض الصلاة بطريقة إرتجالية، ولم يكن متأكداً من صواب قراره، لأنه غير رأيه مراراً وتكراراً. بل إنه ـ سبحانه عما يصفون ـ لا يعلم إذا كان الناس

(١) الباب السابق.

يستطعيون القيام بالصلاة كما قرر في البداية أم لا. حتى إهتدى بخبرة وحنكة موسى ـ نبي اليهود ـ في هذا المجال، وكأن موسى مستشاراً إلهياً يستشيره الله فيما لا يستطيع تقريره، «تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

وفوق هذا فالخبر فيه تسفيه أكبر من ذلك لذات الله، لأنه يصوره وكأنه لا يعرف مالذي يستطيع الناس تحمله، ولولا موسى لأجبر الناس على أداء خمسين صلاة في اليوم، كل صلاة لها آذان ووقت للإنتظار بين الأذان والإقامة، بما يعني أن كل صلاة ستستهلك نصف ساعة، وبمجموع قدره خمس وعشرون ساعة في اليوم يقضيها الناس في الصلاة، أي أكثر من عدد ساعات اليوم الواحد، وهو ما استطعت أنا العبد الفقير أن أحسبه بكل سهولة، ولكن الله لم يستطع ـ حسب ما رواه البخاري والمفسرون.

ثم إن الله بعد أن وصلت الصلوات إلى خمس رفض التخفيض قائلاً: «إنه لا يُبَدَّلُ القولُ لدَيّ». وهو اقتباس للآية التاسعة والعشرون من سورة ق: مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ. مع أن الله ـ حسب ما ورد في الخبر ـ بدّل قوله مرات عديدة، وكان سيظلم عباده بتحميلهم مالا طاقة لهم به. وهذه صورة تظهر الله وكأنه أحد المتغطرسين من الزعماء البشر الذي يصدر قراراً الآن ثم ينقضه بعد لحظة بقرار آخر، ويقول بكل وقاحة أن أمره لايمكن نقضه.

وبقدر ما أبرأ شخصياً من كل هذه الأخبار وأشهد بأن الله سبحانه منزه عنها، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإنني أيضاً أجزم بأن مختلق القصة متأثر بالتراث اليهودي الذي يرى أن من المعتاد أن يتكلم الله جل وعلى مع موسى وجهاً لوجه، كما ورد في كتابهم المقدس في عدة

مواضع، ومن ذلك: «ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. واذا رجع موسى إلى المحلّة كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة» (الخروج:٣٣: ١١).

ويستمر السفر واصفاً اللقاءات التي كانت تتم بين الله وبين موسى بقوله: «وقال موسى للرب: أنظر أنت قائل لي أصعد هذا الشعب.... فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله...» (الخروج:٣٣: ١٢ ـ ١٧)

وقد نقل مختلق الحديث هذه الثقافة للتراث الإسلامي عندما صور موقفاً مماثلاً بين الله، جل جلاله، وبين محمد، في زعمه أن الرسول كان يتردد على الله ليخفض من الصلاة.

وتظهر الثقافة اليهودية مرة أخرى لدى راوي القصة في زعمه أن موسى كان يشير على الله بالرأي الأصوب، لأن اليهود يؤمنون أن الحاخام الذي على الأرض وهو أقل من موسى مرتبة يستشيره الله، جل وعلى، إذا واجه مشكلة مستعصية، وهذا نص ما ورد في التلمود: إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء.

﴿قلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. (يونس:١٨)» إنتهى[١].

❊ ❊ ❊

(١) الإسراء والمعراج ـ الملاحق ـ سنة الأولين.

ينزل آيات ثم يتراجع ويمحوها

حدَّثنا يحيى بن بكَير حدَّثنا مالك عن إسحاقَ بن عبدِ اللَهِ بن أبي طلحة عن أنسِ بن مالكٍ قال: «دَعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم على الذين قَتلوا ـ يعني أَصْحَابَهُ ـ ببئر معونة ثلاثينَ صباحاً حينَ يدعو على رِعل ولحيانَ وعُصيةَ عَصَتِ اللّهَ وسوله صلى الله عليه وسلم. قال أنس: فأنزلَ اللّهُ تعالى لنبيِّه في الذين قُتِلوا أصحابِ بئر مَعونةَ قرآناً قرأناه حتى نُسِخ بعدُ: بلِّغوا قومَنا، فقد لَقينا ربَّنا، فرَضيَ عنا ورضِينا عنه»[1].

مناقشة النص

هذا الحديث يقول أن هناك آيات قرآنية نزلت، ومن ثم نسخت. ولم يبين ماهي الآيات التي نسختها.

ولا ندري كيف حصل عليها قاص الحديث، وهي آيات حسب زعمه نسخت وأنسيت، وهي قوله: «بلِّغوا قومَنا، فقد لَقينا ربَّنا، فرَضيَ عنا ورضِينا عنه».

فهل يقبل أحد من رجال الدين المسلمين في أي مذهب أن أتلو هذه الآية المزعومة على أنها قرآن نزل من الله؟

وإذا كانت لازالت موجودة، فهي لم تنسخ، وبالتالي كان يجب أن تكتب ضمن الآيات القرآنية؟

بطبيعة الحال لن يتجرأ أحد أن يقول إنها قرآن، وهي فعلاً ليست بقرآن، ولم ينزل بها وحي، ولكنها من نسج خيال القاص، ومع ذلك

(١) باب غزوة الرجيع ـ كتاب المغازي.

لايجرؤ أحد على حذف هذا الحديث من كتب الحديث، لأنهم يعتبرونه حديث صحيح.

والله سبحانه وتعالى يعلم ماذا يفعل ومتى يقول وماذا ينزل من آيات وأحكام، ولا وجود للناسخ والمنسوخ إلا في عقول الرجال، أما كتاب الله فيخلوا منها، وإلا صدقنا بأن الله يبدوا عليه البداء، ويغير رأيه بين لحظة وأخرى، فينزل حكماً اليوم، وينقضه في الغد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهناك آية في سورة البقرة تتحدث عن النسخ يستدل بها من يقول الناسخ والمنسوخ، وهذا نصها: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة١٠٦

والآية جاءت ضمن آيات تتحدث عن بني إسرائيل وموقفهم المعاند من دعوة محمد صلوات الله عليه، وعدم رضاهم بأن يُبعث رسول من الأميين، أو يختلف ما جاء به صلوات الله عليه من أحكام مع بعض ما يؤمنون به. فالآية تتحدث عن نسخ وتبديل الآيات التشريعية بين رسول وآخر وليس في الرسالة الواحدة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الأنعام١٤٦

فالتحريم هنا نسخ في رسالة محمد. أما ما جاء به الرسول صلوات الله عليه فليس هناك نسخ لحكم أو تشريع واحد على الإطلاق، وليس هناك آية نزلت ثم ألغيت، كما يزعم هذا الحديث، وأحاديث غيره.

* * *

ينزل حكما ثم يتراجع وينسخه

حدَّثَني إسحاقُ بن منصورٍ أخبرَنا رَوحٌ أخبرَنا شعبة عن خالدٍ الحذّاءِ عن مروانَ الأصفر عن رجلٍ من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال أحسِبُه ابنَ عمرَ ـ ﴿إن تُبدوا ما في أنفُسِكم أو تُخفوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) قال: نَسخَتها الآية التي بعدَها[١].

مناقشة النص

هذا النص لايمكن أن يعتبر حديثاً، لأن الحديث هو ما نسب للرسول قوله أو فعله أو تقريره، وهذا منسوب لمن هو دون الرسول، ولذلك كان يجب ألا يكون في كتب الحديث، إلا أن المتمعن في كتاب البخاري لوحده سيجد أن قرابة ثلث الكتاب نصوص لا تنسب للرسول بل إلى من هم دونه، مثل هذا الحديث. وكأن من هم دون الرسول لهم نصيب في دين الله.

وهذا النص يتحدث عن النسخ في كتاب الله، وبالتالي ينطبق عليه ما قلناه عن الحديث السابق. إلا أننا نود أن نناقش ما جاء في هذا النص، من أن الآية (٢٨٤) منسوخة بالآية (٢٨٦) لدحض كلام المفسرين والمحدثين.

ولو تدبرنا الآية لوجدنا أنها لا تتحدث عن موضوع منفصل عما تتحدث عنه الآيات قبلها، بل هي ضمن آيات تتحدث عن موضوع واحد هو الشهادة والتحذير من كتمانها، حتى لا تضيع حقوق الناس، والموضوع

(١) باب قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ـ كتاب التفسير.

يبدأ من الآية (٢٨٢)، وحتى نهاية الآية (٢٨٤)، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٨٤﴾

فالآيات تتحدث عن وجوب حفظ الحقوق المادية، ومن ذلك المكاتبة والشهود، ووجوب حضور الشهود «إِذَا مَا دُعُواْ» لسماع شهادتهم. وتؤكد الآية (٢٨٤) أن الله عليم بما في الصدور، ويعلم إن نطق الشهود بالحق أو أخفوه في نفوسهم وأظهروا خلافه، وسيحاسبهم الله عليه.

ثم يبدأ موضوع جديد في الآية التالية: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن

رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾

ثم تختم السورة في الآية التالية مع موضوع مختلف: لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٢٨٦﴾

وهذه الآية لا تتحدث عن الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات (٢٨٢ ـ ٢٨٤) وهو الشهادة، ولكنها تتحدث بوجه عام مثل قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٦﴾

فالمطلوب هو تقوى الله قدر المستطاع، وقد جاءت آية التغابن ضمن آيات تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٦﴾

وكما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا

آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة٢٣٣

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام١٥٢

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الأعراف٤٢

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ المؤمنون٦٢

ولم تنزل الآية (٢٨٦) لوحدها لأن الصحابة تذمروا كما يقول أصحاب التفسير، أو لكي تنسخ الآية (٢٨٤) كما يقول هذا الحديث.

* * *

سعد يحكم والله يصادق على حكمه

حدَّثنا محمدُ بن عَرْعرَةَ حدَّثنا شعبةُ عن سعدِ بن إبراهيمَ عن أبي أُمامةَ بن سهلٍ بن حُنَيفٍ عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنه: «أنَّ أُناساً نزَلوا على حكم سعدِ بن مُعاذٍ، فأرسَلَ إليهِ فجاءَ على حمارٍ، فلمّا بلغَ قريباً منَ المسجدِ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى خيركم ـ أو سيِّدِكم ـ فقال: يا سعدُ، إنَّ هؤلاءِ نزَلوا على حُكمِك قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتَل مُقاتِلتُهم، وتُسبى ذراريهم. قال: حكمتَ بحكم اللَّهِ، أو بحكمِ الملك»[1].

(١) باب مناقب سعد ابن معاذ ـ كتاب مناقب الأنصار.

مناقشة النص

يقول النص أن اليهود قد حكم عليهم بموجب رأي شخصي لسعد ابن معاذ، وأحكام دين الله لا يستشار فيها البشر، ولا يحكم بها بموجب رأي شخصي لبشر، ولو كان الحكم على أولئك اليهود قد تم بموجب رأي سعد أو أي بشر آخر ولو كان الرسول، فإن هذا يعني أن من أصدر الحكم نيابة عن الله، قد أصبح شريكاً لله في حكمه، والعياذ بالله. وإذا كان حكم سعد الشخصي قد وافق حكم الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإن تشريعات سعد أصبحت موازية لتشريعات الله، والعياذ بالله.

ولم يحكم سعد ابن معاذ فيهم بما تمليه عليه نفسه، ثم يوافقه الله عليه من فوق سبع سماوات، لأن الدين لله، والحكم لله، وهو سبحانه من يحكم لخلقه أو عليهم، وليس الله جل وعلى بحاجة لبشر ليدله على الحكم الصحيح. ويكون مخترع القصة قد تأثر بما جاء في التلمود الذي يقول: إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء. ﴿قلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس:١٨)[١].

وفيما يلي حديث مشابه:

* * *

عرش الرحمن يهتز لموت إنسان

حدّثني محمدُ بن المثّنى حدَّثَنا فضلُ بن مُساوِرٍ خَتَنُ أبي عَوانةَ حدَّثَنا

(١) هذا الكلام مقتبس من كتاب سنة الأولين ـ الباب الخامس ـ فصل اليهود.

أبو عَوانة عنِ الأعمشِ عن أبي سُفيانَ عن جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنه سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «اهتزَّ العرش لموتِ سعدِ بن مُعاذ» وعن الأعمشِ حدَّثَنا أبو صالحٍ عن جابر عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم مِثله فقال رجلٌ لجابر: فإن البَراءَ يقول اهتزَّ السَّرير فقال: إنه كان بينَ هذين الحيَّين ضَغائنُ، سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموت سعدِ بن مُعاذ»[1].

مناقشة النص

عرش الرحمن ـ بغض النظر عما يقصد به ـ لا يهتز لموت مخلوق بشري خلقه الله وقدر عليه الموت، وكأن موت ذلك الإنسان تفاجأ به الله، وفجع به، تعالى الله عن ذلك.

فالموت قدّره الله على كل البشر: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ الواقعة٦٠

لأنه مرحلة إنتقالية بين حياة الدنيا والعمل، وحياة الأخرة والجزاء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران١٨٥

ولكن من قال بهذا الحديث ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج٧٤

ومثل الحديث السابق، هذا الحديث:

---

(١) باب مناقب سعد ابن معاذ ـ كتاب مناقب الأنصار.

حدَّثنا عليُّ بن مُسلم حدَّثنا حَبّانُ بن هِلالٍ حدَّثنا هَمامٌ أخبرَنا قتادةُ عن أنسٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رجُلَين خَرجا من عندِ النبيّ صلى الله عليه وسلم في ليلة مُظْلمةٍ، وإذا نورٌ بينَ أيديهما حتى تَفرَّقا فتفرَّقَ النورُ معَهما»[١].

والمقصود بالرجلين أُسَيدِ بن حُضَير وعبَّاد بن بِشر، لأن الحديث ورد تحت باب باسميهما. والنور المذكور للدلالة على قدسيتهما، وأنهما من أتقياء الله. أما القرآن فيقول بأن الله قد أمر رسوله بدعوة الناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس١٠٨

ومن أسلم زمن الرسول أو بعده فقد أنقذ نفسه، ولكنه لم يمن على الرسول بإيمانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الحجرات١٧

والهالة النورانية معتقد عند كثير من الأديان، والمسيحية يصورون رجال دينهم وحول أجسادهم وفوق رؤوسهم حلقات نورانية، لذا قد يكون مختلق الحديث من المسيحيين الذين أعلنوا الإسلام، وبقيت هذه المعتقدات حية في ذهنه.

وهذا حديث يماثل ما سبق: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُحمدٍ حدَّثَنا أزهَرُ السمّانُ عن ابنِ عَونٍ عن محمدٍ عن قيسِ بنِ عُبادٍ قال: «كنتُ جالساً في مسجد المدينةِ، فدخَلَ رجلٌ على وجههِ أثرُ الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنةِ، فصلَّى ركعتَين تَجَوَّزَ فيهما، ثمَّ خرَج وتبِعْته فقلتُ: إنكَ حينَ دخلت المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة قال: واللَّهِ ما ينبغي

---

(١) باب مَنقبة أُسَيدِ بن حُضَير وعبَّاد بن بِشر.

لأحدٍّ أن يقولَ ما لا يَعلم. وسأُحدِّثكَ لِمَ ذاك. رأيتُ رُؤيا على عهدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقَصَصْتُها عليه، ورأيتُ كأني في رَوضةٍ ـ ذكَر مِن سَعَتِها وخُضرَتِها، وَسْطها عمودٌ من حديدٍ أسفلُهُ في الأرض وأعلاهُ في السماءِ، في أعلاهُ عُروةٌ، فقيل لي: ارقَهْ. قلتُ: لا أستَطيعُ. فأتاني مِنصَفٌ فرَفَعَ ثيابي من خلفي فرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ في العُروةِ فقيلَ له استمسِكْ. فاستيقَظْتُ وإنها لفي يدي. فقَصصْتها على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: تلك الرَوضةُ الإسلام، وذلكَ العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العُروةُ عُروةُ الوُثقى، فأنت على الإسلام حتى تموتَ. وذلكَ الرجلُ عبدُ اللَّهِ بن سَلام». وقال لي خَليفة: حدَّثنا مُعاذ حدَّثَنا ابن عَون عن محمد حدَّثنا قيسُ بن عُباد عنِ ابن سَلام قال: «وَصِيفٌ بدلَ مِنصَف».

والقاص أراد أن يختلق فضائل لعبدالله ابن سلام فجعلها على شكل حلم حتى لا يقع في مسائلة، ولم يفطن إلى أنه قد وقع في تناقض مع القرآن.

فالرسول لايستطيع تزكية الناس والحكم عليهم أو لهم بجنة أو نار، لأن هذا لله وحده لاشريك له به: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ النساء٤٩

والتزكية من الله تكون بعد الحساب يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران٧٧

إضافة لذلك فقد تقول القاص على الله ورسوله ما لم يقولا، عندما أوّل كلام الله لغير ما يعني.، فالعروة الوثقى هي رمز للتمسك بالدين، وليست

حلقة معدنية وجدها عبدالله ابن سلام في يده عندما استيقض من حلمه الذي اختلقه له القاص، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾لقمان٢٢

وهذا تأكيد آخر للمعنى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة٢٥٦

❊ ❊ ❊

عمر يقترح والله يوافق

حدَّثنا مسدَّدٌ عن يحيى بن سعيد عن حُميدٍ عن أنس قال: «قال عمرُ: وافقتُ اللَّهَ في ثلاث ـ أو وافقَني ربي في ثلاث ـ قلت: يا رسولَ الله، لوِ اتخذْتَ مقامَ إبراهيمَ مصلًّى. وقلت: يا رسولَ الله، يَدخُلُ عليكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أُمَّهاتِ المؤمنينَ بالحجاب، فأنزل اللَّهُ آيةَ الحجاب. قال: وبلغني مُعاتبةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بعضَ نسائه، فدخلتُ عليهنَّ قلتُ: إنِ انتَهيتُنَّ أو ليُبَدِّلنَّ اللَّهُ رسولَهُ خيراً منكنّ، حتى أتيتُ إحدَى نسائهِ قالت: يا عمر، أما في رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما يَعِظُ نساءهُ حتى تعظهنَّ أنت؟ فأنزلَ الله ﴿عسى ربه إن طلَّقَكنَّ أن يُبدِّلَهُ أزواجاً خيراً منكنَّ مسلمات﴾ التحريم٥[1].

مناقشة النص

هذا النص، مثل النص السابق، يصور الله جل وعلى وهو بحاجة

(١) باب قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ـ كتاب التفسير.

لاقتراحات البشر ليتمكن من بناء أحكامه وتشريعاته، وإذا كان مختلق الحديث لا يتقي الله ـ ولو كان يتقي الله لما اختلق الحديث ـ فأين هي عقول ناقلي الحديث، ومن كتبه؟

ثم أين هي عقول من يتسمون برجال الدين، وكيف يسمحون بمثل هذه الأحاديث أن تبقى في كتب الحديث وكيف يريدون منا أن نؤمن بانها من دين الله؟

وقوله تعالى: «وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» لم تنزل لآن عمر كان منهمكاً في التفكير وتخيل لو يتخذ الناس مقام ابراهيم مصلى، فذهب واقترح على الرسول أن يتخذ المقام مصلى وذلك في السنة الأولى من الهجرة، وفي وقت لم يكن أحد يتوقع أن تفتح مكة بعد سبع سنوات، وعندها يمكن أن يتخذ المقام مصلى كاقتراح عمر، المزعوم.

وبطبيعة الحال لا عمر ابن الخطاب اقترح ولم تنزل الآية لهذا السبب، ولكن الآية نزلت ضمن الحديث عن ابراهيم وما حدث له، أي أنها تخبر عن تاريخ مضى، ومن ذلك أن البيت جعله الله منذ وقت ابراهيم، وقبل ذلك «مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنا» وقد أمر الله الناس بأن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى منذ ذلك العهد.

وهذه بعض الآيات التي من ضمنها الآية التي ذكرت في الحديث:
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴿١٣٠﴾

ومثل ذلك ينطبق على ما ما زعمه الحديث بحق آية الأحزاب وآية التحريم.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً﴿٥٣﴾

وهذه الآية لم تنزل لوحدها وبسبب اقتراح من عمر أعجب الله ـ أستغفر الله ـ فأنزل فيه آية. ولكن الآية جاءت ضمن موضوع كامل يحث نساء النبي أن يتمسكن بالحشمة لأن أعداء دعوته يتمنون لو يجدوا ما يؤذي سمعته، ليستغلوها في حربه، خاصة وأن هناك رجال في المدينة مهووسون جنسياً ويترصدون حركات النساء لإيقاع الفاحشة بهن، ولذلك أمر الله نساء النبي ونساء المسلمين عامة للحشمة، والبعد عن لين القول مع أولئك الرجال،

وحتمت الآيات بإنذار أولئك المهووسين، إن لم ينتهوا ويتوقفوا عن ممارساتهم فإنهم سيجلون من المدينة أو يقتلون إن امتنعوا عن الخروج منها.

وسورة الأحزاب بمجملها تتحدث في بدايتها عن الرسول وأمهات المؤمنين من الآية الأولى وحتى نهاية الآية السادسة. ثم تتحدث السورة عن غزوة الأحزاب حتى الآية (٢٧).

ثم تعاود السورة الحديث عن الرسول وعن نسائه، وعن المؤمنين ونسائهم، ومن ثم ضرورة الإحتشام لوجود من يتحين الفرص لملاحقة النساء، حتى الآية (٦٢).

ومثلها آية التحريم، فلم تنزل لوحدها ولكن ضمن خمس آيات افتتحت بها سورة التحريم، وتتحدث عن مشاكل أسرية بين الرسول وزوجاته، تتناول موضوعين مختلفين، الأول تحريم الرسول لشيء مباح بسبب زوجاته، وتحدثت عنه الآيتين الأوليين من السورة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٢﴾

والموضوع الثاني يتناول إبلاغ الرسول إحدى زوجاته حديثاً كسر بينهما، ولكنها قالته لغيرها، مما أحدث مشكلة كادت تتطور لطلاق بعض زوجات الرسول، وتناولتها الآيات الثلاث التالية: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴿٣﴾ إن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إن

طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴿٥﴾

ولم تنزل آية واحدة في هذه السورة ولا في كل القرآن الكريم بناءاً على إقتراح عمر ابن الخطاب أو سعد ابن معاذ أو حتى رسول الله، فالله أعلم وأحكم من أن يحتاج لمقترحات خلقه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج٧٤

وما ينطبق على الحديث السابق ينطبق على الحديثين التاليين:

حدَّثَنا محمدُ بن يوسفَ عن إسرائيلَ عن أبي إسحاقَ عن البراء قال: «لما نزلت ﴿لا يَستوي القاعدون من المؤمنين﴾ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ادعوا فُلاناً، فجاءهُ ومعه الدواةُ واللوحُ ـ أو الكتِفُ ـ فقال: اكتُب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ (النساء: ٩٥) وخلفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ابنُ أمِّ مكتوم فقال: يا رسول الله أنا ضَرير، فنَزَلت مكانها ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضَّرر والمجاهدون في سبيل الله﴾ (النساء: ٩٥)»[١].

حدَّثني محمدُ بن بشّارٍ حدَّثنا ابنُ أبي عدِيٍّ عن شعبة عن سليمان عن إبراهيمَ عن علقمةَ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: لما نَزَلَت ﴿ولم يَلبِسوا إيمانَهم بظلم﴾ (الأنعام: ٨٢) قال أصحابُه: وأيُّنا لم يَظلِم؟ فنَزَلَت ﴿إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيم﴾(لقمان: ١٣)[٢].

* * *

(١) باب قوله لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ كتاب التفسير.

(٢) باب قوله ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ـ كتاب التفسير.

يوافق على ما يقرره الناس

حدَّثنا آدمُ حدَّثَنا شُعبةُ حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيبٍ قال: سمعتُ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ «مَرُّوا بجنازةٍ فأثْنَوا عليها خيراً، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَجَبَتْ، ثمَّ مَرُّوا بأُخرى فأثْنَوا عليها شَرّاً، فقال: وَجَبتْ فقال عمرُ بن الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ: ماوَجَبتْ قال: هذا أثَنيتُم عليهِ خيراً فوَجَبتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبتْ لهُ النارُ، أنتم شُهَداءَ اللهِ في الأرضِ»[1].

مناقشة النص

الحديث يقول لو أن الناس أثنوا على ميت لأوجب الله له الجنة، ولو ذكروه بما دون ذلك لأوجب الله عليه النار.

بينما يقول القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ النساء٤٩

نافياً أن يكون للناس الحق في تزكية أنفسهم أو بعضهم.

ويقول الحديث أن الرسول قال «وجبت» دون أن ينتظر وحياً من الله وكأنه يستطيع أن يقول عن الله ما يريد الله قوله دون إنتظار لأمر أو سماح من الله.

بينما يقول القرآن الكريم أن تقرير من يدخل الجنة ومن يدخل النار لا يكون بتصويت الناس، ولا برغبة الرسول، ولكن بأمر الله وحده: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ

(١) باب ثناء الناس على الميت.

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام٥٢

وليس على الرسول منه شيء: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران١٢٨

وتزكية الرسول للناس لايكون بموافقة تصويت الناس، ولكن بتبليغهم الرسالة التي تزكي من آمن بها وتنجيه من النار: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة١٥١

والحديث يقول أكثر من تزكية الناس والرسول للخلق، عندما قرر أن الناس، وليس الرسول فقط، يستطيعون أن يحكموا على أحدهم بالخير والشر وسيجدون الله يوافقهم على ما يقررون، لأنهم شهداء الله في الأرض.

وشهادة المسلمين على الناس تكون بالقدوة الحسنة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج٧٨

ولا يحتاج الله لعون الناس لإبلاغه بما يجب عليه أن يفعل وكأنهم يعلمون ما يعلم، أو ما لا يعلم: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الرعد٣٣

❊ ❊ ❊

يحدد ساعة لقبول الدعاء

حدّثنا عبدُ الله بنُ مَسلمةَ عن مالكٍ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكرَ يومَ الجمعةِ فقال: «فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وَهوَ قائمٌ يُصلِّي يَسأَلُ اللهَ تعالى شيئاً إلا أَعطاهُ إِيّاهُ» وَأَشارَ بيدِهِ يُقلِّلها.

مناقشة النص

لو سئل أحد رجال الدين عن سبب إخفاء هذه الساعة عن الناس لقال: «لكي يحث الله الناس على أن يداوموا على أداء الصلوات طوال يوم الجمعة، ويرددوا أثناء صلواتهم الأدعية التي يودون أن يستجيبها الله لهم، لكي تزداد نسبة توافق صلاتهم مع تلك الساعة المحددة التي يقبل فيها الدعاء».

وسنقارن ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المزمل٢٠

وهذه الآية نزلت بعد فرض صلاة الجمعة، وفي المدينة، لأن فيها ذكر الجهاد الذي فرض في السنة الثانية للهجرة.

وهي تخاطب الرسول وطائفة من الذين معه كانوا يقومون، ليس كل

الليل، ولكن أحياناً قرابة الثلثين، وأحياناً نصف الليل، وأحياناً ثلثه فقط، ومع ذلك فالله يعلم «أَن لَّن تُحْصُوهُ».

«فتاب عليكم» وعفا عنكم قيام ذلك البعض من الليل ولو كان أقل من ثلث ساعاته، وطلب منكم بدلاً لذلك أن تكتفوا بقراءة «ما تيسر من القرآن» في أي وقت من الليل أو النهار.

ثم تبين الآية أن عدم القدرة على قيام جزء ولو يسير من الليل «ثلثه» لأنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

والله لا يطلب عبادات تعطل المصالح الدنيوية وتشغل الناس الأصحاء الأشداء عن طلب الرزق، أو ترهق المرضى، أو توهن الناس عن حماية دولة الإسلام. وهو ما يخالف الطلب من الناس ترك مصالحهم الدنيوية، والتفرغ طوال يوم الجمعة للصلاة والدعاء.

وتختم الآية بالقول أن باب الإستغفار والدعاء مفتوح على الدوام أربع وعشرون ساعة في اليوم طوال العام، بنسبة واحدة: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وليس مقصوراً على ساعة مخفية من يوم الجمعة، أو أن تلك الساعة تزيد فيها نسبة الإستجابة عن ساعات الأيام الآخرى.

وكثيرة هي الآيات التي تؤكد أن الله جل وعلى لا يطلب من الناس التعبد فوق طاقتهم العادية، ومن ذلك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ التغابن١٦

وحتى الحج، ثالث العبادات المفروضة على المسلمين بجانب الصلاة والصوم، يسقط على من لا يستطيع إليه سبيلا بسبب المرض أو العجز

الجسدي أو حتى أي مانع آخر: ﴿. . . . . وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٧

أما لو صدقنا الحديث فكأننا نصدق أن الله تعالى، يتصرف كما السلاطين. فهو يخصص لأصحاب الحاجات ساعة محددة في الأسبوع لكي يستمع لمطالبهم، ويحتجب عنهم طوال الساعات والأيام الأخرى (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

وهو يتعارض مع الآيات التي تؤكد أن باب الدعاء والإستغفار مفتوح في كل وقت بنسبة واحدة، وأن الله يستمع لمن يخلص له النية والتوبة والإستغفار طوال ساعات الليل والنهار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر٦٠

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة١٨٦

ولذلك لم ينتظر زكريا يوم الجمعة ليدعوا ربه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ آل عمران٣٨

ولن ننتظر نحن إلى يوم الجمعة لنرفع أكفنا ونشخص بأبصارنا لخالق السموات والآرض لكي يغفر ذنوبنا ويستجيب دعاءنا، لأن بعض الإسرائيليات أدخلت علينا كحديث وطلب منا أن نعتقدها وكأنها جزء من دين الله.

وقد حفظ لنا مالك ابن أنس في كتابه الموطأ (أقدم كتب الحديث) مصدر هذا الحديث وأنه صناعة إسرائيلية إبتدعها كعب اليهودي وحبكها

ابن سلام اليهودي الآخر، ولم يقله الرسول ولم يعلم به. وهذا نص رواية مالك التي وردت برقم (٢٣٨): وحدَّثني عَنْ مَالِكٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ فَلَقِيتُ كَعْبَ الأَحْبَارِ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقاً مِنَ السَّاعَةِ، إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّه شَيْئاً، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». قَالَ كَعْبٌ: ذلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنَ الطُّورِ، فَقَالَ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مَا خَرَجْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لاَ تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلْيَاءَ، أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ». يَشُكُّ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلامٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الأَحْبَارِ وَمَا حَدَّثْتُهُ بِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: قَالَ كَعْبٌ: ذلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ. قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: كَذَبَ كَعْبٌ، فَقُلْتُ: ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: صَدَقَ كَعْبٌ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي بِهَا وَلاَ تَضِنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: وَكَيْفَ تَكُونُ آخِرَ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي» وَتِلْكَ السَّاعَةُ سَاعَةٌ لاَ يُصَلَّى فِيهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، فَهُوَ فِي صَلاَةٍ، حَتَّى يُصَلِّيَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَهُوَ ذلِكَ[1]. إنتهى

وبطبيعة الحال فالعبارة التي وردت على لسان أبي هريرة، والتي تقول: «فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ...» إلخ) لابد أنها كانت كالتالي: «فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَكَانَ فِيمَا حدثني عن التوراة قوله: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ...» إلخ)

وبالتالي نُسب كلام كعب إلى رسول الله، والدليل على ذلك لازال باقياً في هذه الرواية: «قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلامٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الأَحْبَارِ وَمَا حَدَّثْتُهُ بِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: قَالَ كَعْبٌ: ذلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ. قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: كَذَبَ كَعْبٌ، فَقُلْتُ: ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: صَدَقَ كَعْبٌ».

فساعة يوم الجمعة قال بها كعب ونسب وجودها إلى التوراة.

ثم أكمل ابن سلام حبك القصة التي بدأها كعب، قائلاً بأنه يعرف وقت تلك الساعة.

(١) كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة.

ولو كان الخبر قال به الرسول لما استطاع كعب أن يقول إنها في التوراة، ولما عرف ابن سلام وقتها.

هكذا تختلق القصص وتنسب لدين الله، ولكن صدق الله عز من قائل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الجاثية٦

* * *

لا يعني ما يقول في القرآن أحياناً

حدَّثنا إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ قال: حدَّثَنا مُعاذُ بنُ هِشامٍ قال: حدَّثني أبي عن قَتادةَ قال: حدَّثنا أَنَسُ بنُ مالكٍ «أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ـ ومُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ـ قال: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ. قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيكَ. قال: يا مُعاذُ. قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيك (ثلاثاً). قال: ما مِنْ أَحَدٍ يَشهدُ أن لا إِلهَ إلاّ اللّهُ وأن محمداً رسولُ اللّهِ، صِدْقاً مِن قَلبِه إلاّ حرَّمهُ اللّهُ عَلَى النَّار. قال: يا رسولَ اللّهِ أَفَلا أُخبرُ بهِ النّاسَ فيَسْتَبْشِروا؟ قال: إذاً يَتَّكِلوا». وأَخبرَ بها مُعاذٌ عندَ مَوتِه تَأَثُّماً[١].

وهناك رواية أخرى على لسان أبي ذر في باب كلام الربِّ مع جبريلَ ونداءِ اللَّهِ الملائكةَ[٢]: حدَّثنا محمدُ بن بشارٍ حدثنا غندَرٌ حدثنا غندَرٌ حدثنا شعبة عن واصلٍ عن المعْرور قال: سمعت أبا ذرٍّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «أتاني جبريلُ فبشرني أنه من ماتَ لا يُشركُ باللَّه شيئاً دخل الجنةَ، قلتُ: وإنْ سرقَ وإنْ زنى؟ قال: وإن سرق وإنْ زنى».

---

(١) باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(٢) كتاب التوحيد ـ المجلد التاسع.

وهناك حديث قريب على لسان أبي هريرة يقول:

حدّثنا إِسماعيلُ قال: حدَّثني مالكٌ عن سُمَيّ عن أبي صالح عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذا قال الإمامُ سمع اللهُ لمن حمِده، فقالوا: اللّهمَّ رَّبنا لكَ الحمدُ، فإِنه من وافق قوله قول الملائكة غُفِرَ لهُ ما تقدمَ من ذنبِهِ»[1].

مناقشة النص

من الواضح أن شخصاً غير القاص قد أضاف في آخر الرواية الأولى عبارة «وأَخبرَ بها مُعاذٌ عندَ مَوتِه تَأَثُّماً» ظناً منه أنه سيجيب على تساؤل من يفطن إلى أن الحديث يجب ألا يصل إلى مسامع الناس لأن الرسول نهى معاذ أن يبلغهم فيتكلوا.

وهذه الإضافة، لم تخدم النص كما أراد لها من أضافها، بل أكدت على أن معاذ، حسب الحديث، قد أخلف عهده مع الرسول، وأبلغ الناس مخالفاً نهي الرسول له بأن يفعل.

أما القرآن فيقول إن الجنة ليست لمن نطق بالشهادتين فقط، ولكن لمن آمن وعمل صالحاً، ومن لم يفعل، فله نار جهنم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً. وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ

(١) باب إذا قال أحدكم آمين ـ كتاب بدء الخلق.

يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً. إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً. وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً. وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً. أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَماً. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً. قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان: ٦٣ ـ ٧٧)

وحتى اقتراف واحدة من الموبقات، تودي بصاحبها في النار ولو آمن بالله والرسول، ومن ذلك قذف المحصنات بالزنى بدون شهود، الذي صنفه القرآن الكريم بأنه فسق، والفاسق توعده الله بالنار ولو نطق بالشهادة، إلا من تاب، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٤ ـ ٥)

والفاسقون في القرآن هم كما قالت الآية السابقة من يقترفون إحدى الموبقات ولو كان على شكل قذف للمحصنات، أو من يكفر بالله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة: ٩٩)

أو كان من المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)

وهناك الكثير من آيات القرآن تتوعد من يقترف بعض الأعمال بنار جهنم خالداً فيها، ولو كان يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن ذلك على سبيل المثال:

الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة٢٧٥

أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ النساء١٠

ومثل أكل مال اليتيم نقض العهود والمواثيق: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾بني إسرائيل٣٤

أما الجنة فتجب عند الله، لمن إتبع كل أوامر القرآن، واجتنب كل نواهي القرآن، إلا اللمم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣١ ـ ٣٢)

ومن يقترف السيئات فله نار جهنم خالداً فيها: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ

وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس: ٢٧)

والقرآن يؤكد أن الإيمان فقط، أو الإيمان مع العبادات فقط ليس هو البر المنجي من النار: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

والمتقون هم من تحق لهم جنة الخلد: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الحجر: ٤٥)

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء: ٤٨)

فتعني أن من مات على الشرك فهو في النار، ومن مات وقد خلط عملاً صالحا بآخر سيئ فمرده لله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢)

والمقصود بالعمل السيئ هنا، ما دون الموبقات وكبائر الإثم، لأن الله توعد من اقترفها ومات ولم يتب بنار جهنم خالداً فيها، ومن ذلك أكل الربا، فصاحبه مخلد في النار ولو آمن بالله ورسوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ

إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

ومن ذلك من يظلم الناس، ولو شهد شهادة التوحيد: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢)

فالقرآن يقول بأن شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، لا تكفي لدخول الجنة، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يقول في القرآن شيئاً، ويسر لرسوله بخلافه.

* * *

يخلق ثم يكره ما خلق

حدّثنا ابنُ مُقاتل أخبرَنا عبدُ الله أخبرنا معمرٌ عن الزُّهريِّ عن عُبيدِ الله بن عبدالله أنه سمعَ ابن عبَاسٍ رضيَ اللهُ عنهما يقول سمعتُ أبا طلحة يقول: سمعتُ رسولَ الله يقول: «لا تدخل الملائكةُ بيتاً فيهِ كلبٌ ولا صورةُ تماثيلَ»[1].

مناقشة النص

الملائكة والكلاب مخلوقات خلقها الله لحكمة بالغة ولو لم نطلع عليها، ولكلا النوعين من الخلق، مهام يقوم بها في هذا العالم، ولم يخلق الله شيئاً في الكون ـ صغر أو كبر ـ عبثا ولمجرد اللهوَ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

(١) نفس الباب السابق.

السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴿١٧﴾ الأنبياء

ومن العبث أن يخلق الله الكلاب ثم يجعل دخولها المنازل مانعاً للخير، أو لأي شيء جيد، خاصة أن الكلاب من الحيوانات الأليفة التي خلقها الله وذللها لبني البشر ليستفيدوا منها في حياتهم. ولم يجعل الكلاب متوحشة كالذئاب التي هي من نفس الفصيلة. ولكن الله خلق الكلاب مستأنسة والكلاب متوحشة، كما خلق القطط المنزلية مستأنسة والقطط البرية التي تشابهها في الخلقة إلى حد كبير متوحشة. وكذلك خلق حيوانات كثيرة بعضها مستأنس ومن نفس الفصيلة نجد المتوحش، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴿٨﴾ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴿٩﴾ النحل

وقد أشارت الآية الأخيرة إلى الحيوانات المتوحشة بعبارة «وَمِنْهَا جَآئِرٌ» ثم واصلت السورة التحدث عن نعم الله على الإنسان: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي

الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٨﴾

وحتى الخنزير، الذي حرم الله أكله، لم يحرم دخوله المنازل أو الإحسان إليه كحيوان ذو كبد رطبة، وإنما التحريم كان عن أكله فقط.

فهل نترك حديث الله التي يصفه سبحانه بأنه: . . . . مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف١١١

ونأخذ بحديث القصاص.

* * *

لايستطيع الغفران مباشرة

حدثنا محمدُ بن بشارٍ حدَّثنا محمدُ بن أبي عديٍ عن شعبةَ عن قَتادةَ عن أبي الصديقِ الناجيِّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان في بني إسرائيل رجُلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنساناً، ثم خَرجَ يَسألُ، فأتى راهِباً فسألهُ فقال له: هل من توبة؟ قال: لا فقتله. فجعلَ يَسألُ، فقال له رجل ائتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركهُ الموتُ فَناءَ بصَدرهِ نَحوَها، فاختصمَتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قِيسوا ما بينهما، فوجدَ إلى هذهِ أقرب بشِبر، فغُفِرَ له»[1].

---

(١) باب حديث الغار ـ كتاب الأنبياء.

مناقشة النص

الحساب لا تقوم به الملائكة، ولكن الله وحده هو الديان: ﴿لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾إبراهيم٥١

لأن الملائكة مخلوقات من خلق الله، ليس لها من أمر الله شيء: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ الزمر٦٨

والحساب لايكون في الدنيا وبعد الموت، كما يقول هذا الحديث، ولكن يوم الحساب: يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿١٧﴾

وفي ذلك اليوم لن يكون هناك مجال للملائكة لكي تتخاصم على رجل من الناس، بعضهم يريد له الجنة وبعضهم يرغب له النار، فالجنة والنار، ليست بناءاً على رغبة الملائكة، ولا علي توصياتهم، ولكن الله جل وعلى خلق كل شيء بقوانين ثابتة، تقوم على القسط، الذي هو العدل الكامل، ومن ذلك حساب الناس: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ يونس٥٤

وذلك بناءاً على صحيفة أعمال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ النحل١١١

والتي ستسجل كل ما فعله وقاله الإنسان، مهما صغر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴿٨﴾ الزلزلة

لأن الحساب الكامل العدل يجب أن يحتسب كل فعل أو قول وإن كان متناهي الصغر: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ النساء٤٠

هكذا يكون الحساب كما يخبرنا رب الحساب جل وعلى، وهو يتناقض مع ما يتخيله القصاص.

* * *

لا يعرف ما يدور في خلقه

حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شعيبٌ حدَّثَنا أبو الزِّنادِ عنِ الأعرج عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «الملائكةُ يتَعاقَبون: ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعونَ في صلاةِ الفجر وفي صلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم ـ فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: تركناهم يصلون، وأتيناهم يُصلون»[1].

مناقشة النص

لو صدقنا هذا الحديث فإن الله يدير كونه كما يدير البشر أعمالهم، فهناك محاسبين، ومسؤلين عن تسجيل أعمال البشر، وهناك من يدير الأعمال، ومراقبين، كالمذكورين في الحديث، مهمتهم كتابة التقارير عما يجري بين الخلق وتقديمها لله، تعالى الله وتبارك.

ولو كان الوضع كذلك فالله ـ أستغفر الله ـ مخلوق عبقري، وليس إله كما يقول تعالى عن نفسه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ

(١) باب ذكر الملائكة ـ كتاب بدء الخلق.

تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يونس٦١

ولا يحتاج لمراقبين ولا مسجلين ولا إدارة لمعاونته على إدارة كونه ومخلوقاته سبحانه وتعالى عما يشركون.

والقول بأن الله يحتاج لعون مثل قول الكفار بأن الساعة لن تأتي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ٣

ونحن هنا آمنا بحديث الله وكفرنا بحديث من سواه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾إبراهيم٣٨

* * *

يلبي رغبات الرسول

حدّثنا محمدُ بن سلامٍ حدَّثنا ابن فُضيلٍ حدَّثنا هشامٌ عن أبيهِ قال: «كانت خَولةُ بنتُ حَكيمٍ من اللائي وَهَبنَ أنفسهنَّ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: أما تَستحي المرأة أن تهبَ نفسها للرجل؟ فلما نزلَت ﴿ترجي من تشاءُ منهنَّ﴾ الأحزاب٥١ قلت: يارسولَ الله، ما أرى ربكَ إلاّ يُسارعُ في هَواك»[1].

(١) باب هل للمرأة أن تهب نفسها.

مناقشة النص

من يصغي لهذا الحديث، يفهم أن خولة بنت حكيم بعد أن وهبت نفسها للرسول، وانتقدت عائشة عرضها لنفسها وقبول الرسول لها، نزلت الآية ٥١ من سورة الأحزاب ضد إنتقاد عائشة. فكأن عائشة شكّت أن الآية ليست وحياً، ولكن من إختلاق الرسول لكي يسكتها. أو أن عائشة ظنت أن الله ينزل من الوحي ما يتوافق مع رغبات الرسول، وكلا الظنين بهتان عظيم.

وسورة الأحزاب نزلت تعالج موضوعين رئيسيين، هما: غزوة الأحزاب، وتشريعات للعلاقات الزوجية بعضها عام للمسلمين وبعضها خاص بالرسول، بما في ذلك الحديث عن بعض مرضى القلوب الذين كانوا يلاحقون نساء المدينة، ومنهن نساء الرسول والمسلمين، وتشريعات مختلفة في آخر السورة، كما سبق وذكرنا.

وقوله تعالى: «تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء» جاءت ضمن آيات تتحدث عن نساء الرسول وعلاقة الرسول بالنساءعموماً، بدءاً من الآية ٢٨ وحتى الآية ٣٤، ثم من الآية ٣٧ وحتى الآية ٤٨ ثم من الآية ٥٠ إلى الآية ٥٢.

ولم تنزل الآية لإسكات عائشة، أو لتوافق رغبات الرسول.

* * *

إتهام لله بالكذب ورسوله بالجهل

حدّثنا محمدُ بن يوسُفَ حدَّثنا سفيانُ عنِ الأعمشِ عن إبراهيمَ التيميِّ عن أبيهِ عن أبي ذرّ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم

لأبي ذرّ حينَ غَرَبَتِ الشمسُ: أتدري أينَ تَذهَبُ؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم، قال: فإنها تَذهب حتّى تَسجُدَ تحتَ العَرش، فتستأذنَ فيُؤذَنُ لها، ويوشِكُ أن تَسجدَ فلا يُقبَلُ منها، وتستأذِنَ فلاُ يؤذن لها، فيقالُ لها: ارجعي من حيثُ جِئتِ، فتطلُعُ من مَغربها. فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تَجرِي لمستقرٍّ لها، ذلكَ تقديرُ العزيز العَليم﴾ يس٣٨

مناقشة النص

الشمس، حسبما جاء في هذا الحديث، عندما تغرب تذهب إلى ما تحت عرش الرحمن وتسجد لله طالبة الإذن بالشروق على الأرض ثانية، فيأذن الله لها، فتشرق على الأرض في اليوم التالي، وهكذا نفعل كل ليلة. حتى يأتي يوم لا يأذن الله لها بالشروق كالعادة بل يأمرها بالعودة من حيث جاءت فتخرج على الأرض من المغرب.

وبطبيعة الحال فاليوم حتى التلميذ في المرحلة الإبتدائية، يعرف بأن الشمس لا تغيب عن الأرض أبداً، وفي كل لحظة من لحظات الليل والنهار هناك شروق في مكان وفي نفس الوقت غروب في مكان آخر من الأرض.

وهذا يعني أحد الأمور التالية:

إما أن الرسول قال ما قال من عند نفسه، دون إعتماد على وحي، ولكن بناءاً على معارفه الشخصية، التي يبدوا أنها كانت خاطئة. والرسول لا يقول في الدين بشيء من عند نفسه.

أو أن الرسول قد قال ما قال بناءاً على ما تلقاه من ربه بطريقة غير الوحي الذي يتلقى بواسطته القرآن، وأن المعلومة التي تلقاها من الله حول

ما يحدث للشمس بعد المغيب كانت مغلوطة. فهل قصد الله أن يقول لرسوله معلومات مغلوطة؟ أو أن الرسول فهم ما أبلغه الله به بطريقة مغلوطة؟

أو أن الحديث عبارة عن خرافة نسجها القاص من عند نفسه تعكس فهمه لمعنى قوله تعالى: ﴿والشمس تَجرِي لمستقرٍّ لها، ذلكَ تقديرُ العزيز العَليم﴾ ظناً منه أن المستقر الذي تجري له الشمس هو عرش الرحمن.

ولو كان الرسول، تنزه عن ذلك، هو من قال أن الحديث يفسر معنى الآية، لما استطعنا أن نرد على من إتهم الرسول صلوات الله عليه بالجهل بمعاني الآيات التي تنزل عليه من الله.

وهذا يعني أن الرسول إن أخطأ في فهم معنى آية واحدة فقد يخطئ في فهم آيات غيرها.

كما قد يقول قائل إن محمداً كان ينسج القرآن من عند نفسه، ولو كان من عند الله، فمن المستحيل أن يخلق الله الشمس تدور حول الأرض، ومن ثم يقول لرسوله أن الشمس تذهب بعد المغيب لتحت عرش الرحمن.

وسنكتفي بما قدمناه من أحاديث، لأن العبرة ليست بالعدد، ولكن بإثبات الحجة على أن ما يقوله الحديث، لا يتوافق مع ما يقوله القرآن، ويتعارض معه، لدرجة يستحيل معها أن يكون مصدرهما واحد.

وما ينطبق على ما أوردناه من أحاديث، ينطبق على كل حديث ورد في صحيح البخاري، وما ينطبق على أحاديث البخاري، فهو يطبق على أحاديث مسلم ومالك والترمذي والنسائي وغيرهم من كتبة الحديث عند من يسمون بالمذهب السني، وعند كل المذاهب الأخرى للمسلمين.

ولكن، لأن أحاديث الشيعة تختلف في السرد وفي المتون وفي السند عن أحاديث السنة، فقد إرتأينا إيراد بعضاً من تلك الأحاديث الواردة في كتاب الكافي المعتمد عند الشيعة في الفصل القادم، لتأكيد أن أي نصوص دينية غير القرآن يعمل بموجبها المسلمون في كل الفرق والمذاهب، ليست من دين الله، ولم تصدر عن رسول الله.

أحاديث من الكافي

الإمامة، هي خلافة للنبوة وامتداد لها. لذا لابد من وجود إمام في كل عصر، يكون مرجعاً دينياً للناس ومشرعاً لهم. ويتم تعيين الإمام من قبل الله، وذلك بواسطة الرسول الذي عين علياً، الإمام الأول، ومن ثم يتم تعيين الأئمة التالين من قبل الإمام الحالي، ولا تكون الإمامة بالإختيار أو الإنتخاب.

هذا هو معنى الإمامة عند الشيعة، الذين حاولوا إيجاد آيات قرآنية يمكن تأويلها على أنها تتحدث أو تشير للأئمة، ولكن تأويلاتهم يسهل الحكم على تعسفها، لذا كان إعتمادهم على الأحاديث بشكل كلي لإثبات الإمامة.

وأحاديث الأئمة، غير قابلة للنقد، أو مناقشة مصداقيتها ـ عندهم ـ لأن نقدها أو إثبات أنها غير صحيحة هدم للركن الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الشيعة برمتها. إذ لو ثبت أن قدسية الأئمة، وعصمتهم، وما يقال عن وراثتهم حق التشريع، وعلم النبوة، غير صحيح، فإن العقيدة الشيعية بكاملها ستنهار.

لهذا السبب، يُكِنّ الشيعي العادي لأحاديث الكليني التقديس بشكل مبالغ فيه ـ كما رجل الدين ـ ويعتبر أن ما يروى على لسان الإمام جعفر أو غيره من الأئمة لازم الإتباع بلا نقاش أو تردد.

وكتاب الكافي الذي يعتبر أهم وأوثق كتب الشيعة، يروي أحاديث في معظمها منسوبة للإمام السادس في ترتيب الأئمة الإثناعشر، عندهم، واسمه أبي عبدالله، جعفر ابن محمد، الملقب بـ«الصادق»، والمتوفى عام ١٤٨ للهجرة. بينما توفي مؤلف الكتاب، محمد بن يعقوب الكليني عام ٣٢٩ للهجرة في بغداد. أي أن هناك ١٨١ عاماً تفصل بين الإمام جعفر ـ الذي تنسب له معظم أحاديث الكافي ـ وبين المؤلف.

وسيلاحظ القراء أن أسلوب الكليني في أحاديث الكافي يحاكي الأسلوب القصصي في كليلة ودمنة والكتب الأدبية المماثلة التي ظهرت في نفس الفترة التي عاش فيها الكليني في العصر العباسي.

وقد إكتفينا بإيراد عدد يسير من أحاديث الكافي، التي تتحدث عن الأئمة، ولها علاقة بهم، مع تعليقات قصيرة جداً، لأنتفاء الحاجة لتعليقات مطولة. لأن سردها كافٍ لتأكيد إستحالة أن تكون جزءاً من دين الله. وإذا إقتنع القارئ أن الأحاديث التي تتكلم عن الأئمة ليست من دين الله، فمن باب أولى أن يكون دين الله براء من بقية أحاديث الكليني.

الأئمة ليسوا كبقية الناس

الناس على ثلاث

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ جَمِيلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَغْدُو النَّاسُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ عَالِمٍ وَمُتَعَلِّمٍ وَغُثَاءٍ فَنَحْنُ الْعُلَمَاءُ وَشِيعَتُنَا الْمُتَعَلِّمُونَ وَسَائِرُ النَّاسِ غُثَاءٌ[1].

التعليق

الإمام جعفر يصنف الناس على ثلاثة مستويات: العلماء، وهم أئمة الشيعة الذي هو واحد منهم، والشيعة المتعلمون، وسائر الناس غثاء.

بينما يقول من خلق جعفر وسائر البشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات١٣

❊ ❊ ❊

حق الإمام

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ

(١) باب أصناف الناس ـ كتاب فضل العلم.

سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ أَنْ لا تُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ وَلا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً وَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ دُونَهُمْ وَاجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا تَجْلِسْ خَلْفَهُ وَلا تَغْمِزْ بِعَيْنِكَ وَلا تُشِرْ بِيَدِكَ وَلا تُكْثِرْ مِنَ الْقَوْلِ قَالَ فُلانٌ وَقَالَ فُلانٌ خِلافاً لِقَوْلِهِ وَلا تَضْجَرْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ فَإِنَّمَا مَثَلُ الْعَالِمِ مَثَلُ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُهَا حَتَّى يَسْقُطَ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ وَالْعَالِمُ أَعْظَمُ[1].

التعليق

النص عبارة عن ترسيخ بعض المفاهيم عن الأئمة، وتأكيد تميزهم عمن سواهم. وهو إكمال للفكرة التي طرحت في الحديث السابق والتي صنفت الناس على ثلاث مراتب: فهناك العالم، وهو أحد الأئمة، والمتعلم، أي الذي يتلقى ما يقوله العالم، وهم الشيعة، وبقية الناس وهم الغثاء.

وهذا الحديث يرسخ فكرة تميز من يسمون بالأئمة عن بقية الشيعة، مثل أحاديث كثيرة جدا غيره، تظهر الإمام وكأنه ليس من جنس البشر، بل أقرب للآلهة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران٦٤

* * *

(١) باب حق العالم.

إتباع الإمام والتسليم بما يقول دون تفكير أو نقاش

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الاحْوَلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ: لا يَسَعُ النَّاسَ حَتَّى يَسْأَلُوا وَيَتَفَقَّهُوا وَيَعْرِفُوا إِمَامَهُمْ وَيَسَعُهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِمَا يَقُولُ وَإِنْ كَانَ تَقِيَّةً[1].

التعليق

الحديث يهدف إلى التأكيد على الشيعة أن يكونوا مستمعين، متلقين، ومنفذين، لما يقوله ويطلبه منهم أئمتهم ورجال دينهم، دون نقاش أو تساؤل، وكأن الإمام لا ينطق عن الهوى، وكل ما يقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بينما يقول الله سبحانه وتعالى أن التسليم يكون لما ينقله الرسول عن ربه فقط: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ النساء٦٥

* * *

الإسلام يثلم بموت الإمام

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ (عَلَيْهما السَّلام) يَقُولُ إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ وَبِقَاعُ الارْضِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ الله عَلَيْهَا وَأَبْوَابُ

(١) باب سؤال العالم.

السَّمَاءِ الَّتِي كَانَ يُصْعَدُ فِيهَا بِأَعْمَالِهِ وَثُلِمَ فِي الاسْلامِ ثُلْمَةٌ لا يَسُدُّهَا شَيْءٌ لانَّ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَهَاءَ حُصُونُ الاسْلامِ كَحِصْنِ سُورِ الْمَدِينَةِ لَهَا[1].

التعليق

إستمرار لترسيخ تميز أئمة الشيعة، هذا الحديث يقول بأنه إذا مات أحدهم، ليس فقط تبكي عليه الملائكة، وبقاع الأرض وأبواب السماء، بل إن دين الله، يثلم منه ثلمة لا يسدها شيء بعده.

وهذا يعني لمن يصدق بالحديث أن دين الله قد ثلم منه ١٢ ثلمة حتى الآن، فهو ناقص ولا يمكن أن يكمل، لأن جعفر والعسكري والحسين وبقية أئمتهم الإثناعشر قد هلكوا.

ودين الله كامل ولا يثلم بموت بشر: ﴿....... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة٣

* * *

ما لم يتوافق مع قول الإمام فهو منسوخ

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْوُونَ عَنْ فُلانٍ وَفُلانٍ عَنْ رَسُولِ الله لا يُتَّهَمُونَ بِالْكَذِبِ فَيَجِيءُ مِنْكُمْ خِلافُهُ قَالَ إِنَّ الْحَدِيثَ يُنْسَخُ كَمَا يُنْسَخُ الْقُرْآنُ[2].

(١) باب فقد العلماء.

(٢) باب اختلاف الحديث.

التعليق

إن ثبت ما جاء في الحديث عن جعفر (أبو عبدالله) فهو محاولة لصبغ ما يتفوه به من كلام مخالف لما يروى عن الله ورسوله، بأنه ينسخ كلام الرسول. والله سبحانه وتعالى يقول في حق بعض بني إسرائيل الذين يتقولون على الدين ما ليس فيه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران٧٨

* * *

فضل زيارة قبور الأئمة

حمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح ابن عقبة، عن زيد الشحام قال: قلت لابي عبدالله: ما لمن زار أحدا منكم؟ قال: كمن زار رسول الله[١].

التعليق

زيارة القبور مباحة لكل أحد، لكن ليس هناك أجر لمن يزور القبور، ولو كان قبر محمد صلوات الله وسلامه عليه، لأن القرآن يخلوا من أي دليل على ذلك، وكل ما قيل عن أجر زيارة القبور منشأه كتب الشيعة.

والملفت في الحديث هو مساواة أي واحد من أئمة الشيعة بمقام الرسول صلوات الله عليه، وهذا غلو غير مقبول.

وهذا الغلو لم يتوقف عند هذا الحد، بل تجاوزه في الحديث التالي:

---

(١) باب فضل الزيارات وثوابها ـ المجلد الرابع.

زيارة قبر أحد الأئمة كزيارة قبر الرسول، ومنجية من أهوال يوم القيامة

أبوعلي الاشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن محمد بن سنان، عن محمد بن علي رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن اخلصه من أهوالها وشدائدها حتى اصيره معي في درجتي(١).

التعليق

الخلاص من عذاب النار يوم القيامة يكون بما قدم المرء من أعمال صالحة وإيمان، وليس بزيارة قبر إمام أو حتى قبر الرسول، فالدين لله وحده، وليس لرسول الله منه شيء: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة٨١ ـ ٨٢

والغلو في زيارة قبور الأئمة تجاوز ذلك كثيراً، وإليك الدليل:

* * *

الله جل وعلى يزور قبر علي ابن أبي طالب

محمد بن يحيى، عن حمدان بن سليمان، عن عبدالله بن محمد اليماني، عن منيع ابن الحجاج، عن يونس بن أبي وهب القصري قال:

---

(١) الباب السابق.

دخلت المدينة فأتيت أبا عبدالله فقلت: جعلت فداك أتيتك ولم أزر أميرالمؤمنين؟ قال: بئس ما صنعت لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الانبياء ويزوره المؤمنون[1]؟

التعليق

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾بني إسرائيل٤٣

(١) الباب السابق.

مصادر علم الإئمة

الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلامِي قَالَ فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ الله سِتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ شِيعَتَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ الله عَلَّمَ عَلِيّاً بَاباً يُفْتَحُ لَهُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ قَالَ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ الله عَلِيّاً أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ قَالَ قُلْتُ هَذَا وَالله الْعِلْمُ قَالَ فَنَكَتَ سَاعَةً فِي الارْضِ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ قَالَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَامِعَةَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَامِعَةُ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا الْجَامِعَةُ قَالَ صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ رَسُولِ الله وَإِمْلائِهِ مِنْ فَلْقِ فِيهِ وَخَطِّ عَلِيٍّ بِيَمِينِهِ فِيهَا كُلُّ حَلالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى الارْشُ فِي الْخَدْشِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ فَقَالَ تَأْذَنُ لِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ قَالَ فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ وَقَالَ حَتَّى أَرْشُ هَذَا كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ قَالَ قُلْتُ هَذَا وَالله الْعِلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَفْرَ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَفْرُ قَالَ قُلْتُ وَمَا الْجَفْرُ قَالَ وِعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ وَالْوَصِيِّينَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ قُلْتُ إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ (عليها السلام) وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ (عليها السلام) قَالَ قُلْتُ وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ (عليها السلام) قَالَ مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالله مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ قَالَ قُلْتُ هَذَا وَالله الْعِلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا وَالله هُوَ الْعِلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ قَالَ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الامْرُ مِنْ بَعْدِ الامْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[١].

التعليق

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة٧٩

* * *

علم الغيب

فيما يلي ثلاثة أحاديث تظهر أن أئمة الشيعة يعلمون الغيب، وقد جاءت هذه الأحاديث تحت باب بعنوان: بَابٌ نَادِرٌ فِيهِ ذِكْرُ الْغَيْبِ

١. عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلادٍ قَالَ سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ فَقَالَ لَهُ أَ تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ فَقَالَ قَالَ

(١) بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ وَالْجَفْرِ وَالْجَامِعَةِ وَمُصْحَفِ فَاطِمَةَ ـ كتاب الحجة.

أَبُو جَعْفَرٍ يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلا نَعْلَمُ وَقَالَ سِرُّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَسَرَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ وَأَسَرَّهُ جَبْرَئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ الله.

٢. مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ بَدِيعُ السَّماواتِ وَالارْضِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ابْتَدَعَ الاشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَهُ فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالارَضِينَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَلا أَرَضُونَ أَ مَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ أَ رَأَيْتَ قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ وَكَانَ وَالله مُحَمَّدٌ مِمَّنِ ارْتَضَاهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ عالِمُ الْغَيْبِ فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِيمَا يَقْدِرُ مِنْ شَيْءٍ وَيَقْضِيهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ وَقَبْلَ أَنْ يُفْضِيَهُ إِلَى الْمَلائِكَةِ فَذَلِكَ يَا حُمْرَانُ عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَهُ إِلَيْهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ فَيَقْضِيهِ إِذَا أَرَادَ وَيَبْدُو لَهُ فِيهِ فَلا يُمْضِيهِ فَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يُقَدِّرُهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِيهِ وَيُمْضِيهِ فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى رَسُولِ الله ثُمَّ إِلَيْنَا.

٣. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَدِيرٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَيَحْيَى الْبَزَّازُ وَدَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ الله إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُغْضَبٌ فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ يَا عَجَباً لاقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلا الله عَزَّ وَجَلَّ لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلانَةَ فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ هِيَ قَالَ سَدِيرٌ فَلَمَّا أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَصَارَ فِي مَنْزِلِهِ دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَمُيَسِّرٌ وَقُلْنَا لَهُ جُعِلْنَا فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً وَلا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ

قَالَ فَقَالَ يَا سَدِيرُ أَ لَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُهُ قَالَ فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ وَهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِهِ قَالَ قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الاخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا فَقَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسِبَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً قُلْ كَفى بِالله شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ قَالَ قُلْتُ قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَ فَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ قُلْتُ لا بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ قَالَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ عِلْمُ الْكِتَابِ وَالله كُلُّهُ عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ وَالله كُلُّهُ عِنْدَنَا .

التعليق

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام٩٣

أمثلة من علم الأئمة

بعدما تعرفنا على مصادر علم الأئمة، نورد هنا أمثلة على علمهم ومعارفهم، حسبما يزعم الكافي.

في علم الأحياء

الجراد يخرج من الحوت

علي بن إبراهيم (عن أبيه) عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: سئل أبوعبدالله عن أكل الجراد فقال: لا بأس بأكله ثم قال: إنه نثرة من حوت في البحر، ثم قال: إن عليا قال: إن السمك والجراد إذا خرج من الماء فهو ذكي والأرض للجراد مصيدة وللسمك قد يكون أيضا[1].

التعليق

إذا كان أئمة الشيعة، حسب ظن الشيعة، يستمدون علمهم من الله، فكيف يقولون هنا على لسان علي ابن أبي طالب ـ الذي يفترض به أن يكون على علم من الله، حسب زعمهم ـ أن الجراد نثرة من حوت، وليس تلك الحشرة التي خلقها الله، والتي تتزاوج وتضع بيضها الذي يفقس ويخرج منه صغار الجراد «الدبا».

ولكن معلومات الأئمة لا يمكن أن تكون من الله، ومن تبعهم فقد صدق عليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً. كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً. أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً. فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾ مريم٨١ ـ ٨٤

(١) باب الجراد ـ المجلد السادس.

وتلك الشياطين هم من ينسب لأئمة الشيعة ما لا يعلمون: ﴿..... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام١٢١

* * *

أناس مسخوا إلى حيوانات وطيور وحشرات

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن الاشعري، عن أبي الحسن الرضا قال: الفيل مسخ كان ملكا زناء، والذئب مسخ كان أغرابيا ديوثا، والارنب مسخ كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيضها، والوطواط مسخ كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، والجريث والضب فرقة من بني إسرائيل لم يؤمنوا حيث نزلت المائدة على عيسى ابن مريم فتاهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البر، والفارة فهي الفويسقة، والعقرب كان نماما، والدب والزنبور كانت لحاما يسرق في الميزان[١].

التعليق

من المؤسف أن نجد مثل هذه النصوص، في كتاب ديني لمن يشهدون ألا إله إلا الله، ومن أشد الأسف أن يطلب منا أن نعتبرها جزءاً من دين الله.

والقول بمسخ الناس إلى حيوانات قال به المسلمون، شيعة وسنة وغيرهم من المذاهب، ولم يقل به الإسلام. ففي التراث السني مثلاً، نجد

---

(١) باب جامع في الدواب التي لا تؤكل لحمها ـ المجلد السادس.

أن قوم من بني إسرائيل قد مسخهم الله إلى قردة وخنازير، لأن المفسرين فهموا آيات من كتاب الله وكأنها تقول بذلك.

وقد ذكر القردة ثلاث في كتاب الله، المرة الأولى كانت في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة٦٥ ـ ٦٦

والمرة الثانية في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ. قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ المائدة٥٩ ـ ٦٠

والمرة الثالثة جاءت في سورة الأعراف: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الآيات١٦٣ ـ ١٦٦

وهذه الآيات تبين أن الله قد حرم الصيد على بني إسرائيل يوم السبت، فعصت طائفة منهم أمر الله، فغضب عليهم، ووصفهم بالقردة الخاسئين، في سورتي البقرة والأعراف، وقردة وخنازير في سورة المائدة، ولكنهم لم يمسخوا إلى قردة وخنازير فعلياً.

وقد يكون نعت المرء بالقرد، من الشتائم القبيحة في مجتمع بني إسرائيل في ذلك الوقت، خاصة إذا كانوا قد عاشوا في جنوب غرب جزيرة العرب، حيث تستوطن قردة البابون، وتعيش قرب المستوطنات البشرية.

والله جل وعلى خلق الإنسان، وخلق الحيوان، ولن يمسخ إنسان إلى حيوان، مهما عظم ذنبه، أو كفر بالله، لأن الله خلق الدنيا للعمل، والآخرة للحساب. وقد أهلك الله أمماً كثيرة كافرة، كما يخبرنا القرآن، ليس لأنهم كفروا فقط، بل لأنهم كانوا يحاربون الرسول ودعوته لله، ولكنه لم يمسخهم حيوانات أو حشرات كعقاب لهم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور٤٥

ومسخ البشر إلى حيوانات وحشرات، لم يقل به الله، لأنه خلق كل مخلوقاته بحكمة يعلمها، ولن تتغير، لأن البشر كفروا بالله، وعصوا أوامره، وسوف يبعث البشر كبشر، والحيوان كحيوان، للحساب يوم القيامة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام٣٨

وكل ما في الكون خلق بقوانين ثابتة ولن تتغير حتى يرث الله الأرض والسماوات ومن عليها، ولكن من قال بهذه الأحاديث بشر ليس لهم بذلك من علم: ﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يونس٦٦

* * *

حمار يتبادل الحديث مع الرسول

مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ الله الْوَفَاةُ دَعَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لِلْعَبَّاسِ يَا عَمَّ مُحَمَّدٍ تَأْخُذُ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ وَتَقْضِي دَيْنَهُ وَتُنْجِزُ عِدَاتِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي شَيْخٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ قَلِيلُ الْمَالِ مَنْ يُطِيقُكَ وَأَنْتَ تُبَارِي الرِّيحَ قَالَ فَأَطْرَقَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ يَا عَبَّاسُ أَ تَأْخُذُ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ وَتُنْجِزُ عِدَاتِهِ وَتَقْضِي دَيْنَهُ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي شَيْخٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ قَلِيلُ الْمَالِ وَأَنْتَ تُبَارِي الرِّيحَ قَالَ أَمَا إِنِّي سَأُعْطِيهَا مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ يَا أَخَا مُحَمَّدٍ أَ تُنْجِزُ عِدَاتِ مُحَمَّدٍ وَتَقْضِي دَيْنَهُ وَتَقْبِضُ تُرَاثَهُ فَقَالَ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ذَاكَ عَلَيَّ وَلِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَعَ خَاتَمَهُ مِنْ إِصْبَعِهِ فَقَالَ تَخَتَّمْ بِهَذَا فِي حَيَاتِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ حِينَ وَضَعْتُهُ فِي إِصْبَعِي فَتَمَنَّيْتُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَرَكَ الْخَاتَمَ ثُمَّ صَاحَ يَا بِلالُ عَلَيَّ بِالْمِغْفَرِ وَالدِّرْعِ وَالرَّايَةِ وَالْقَمِيصِ وَذِي الْفَقَارِ وَالسَّحَابِ وَالْبُرْدِ وَالابْرَقَةِ وَالْقَضِيبِ قَالَ فَوَ الله مَا رَأَيْتُهَا غَيْرَ سَاعَتِي تِلْكَ يَعْنِي الابْرَقَةَ فَجِيءَ بِشِقَّةٍ كَادَتْ تَخْطَفُ الابْصَارَ فَإِذَا هِيَ مِنْ أَبْرُقِ الْجَنَّةِ فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَانِي بِهَا وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اجْعَلْهَا فِي حَلْقَةِ الدِّرْعِ وَاسْتَذْفِرْ بِهَا مَكَانَ الْمِنْطَقَةِ ثُمَّ دَعَا بِزَوْجَيْ نِعَالٍ عَرَبِيَّيْنِ جَمِيعاً أَحَدُهُمَا مَخْصُوفٌ وَالاخَرُ غَيْرُ مَخْصُوفٍ وَالْقَمِيصَيْنِ الْقَمِيصِ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ فِيهِ وَالْقَمِيصِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَالْقَلانِسِ الثَّلاثِ قَلَنْسُوَةِ السَّفَرِ وَقَلَنْسُوَةِ الْعِيدَيْنِ وَالْجُمَعِ وَقَلَنْسُوَةٍ كَانَ يَلْبَسُهَا وَيَقْعُدُ مَعَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بِلالُ عَلَيَّ بِالْبَغْلَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ وَالدُّلْدُلِ وَالنَّاقَتَيْنِ الْعَضْبَاءِ وَالْقَصْوَاءِ وَالْفَرَسَيْنِ الْجَنَاحِ كَانَتْ تُوقَفُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ لِحَوَائِجِ رَسُولِ الله

يَبْعَثُ الرَّجُلَ فِي حَاجَتِهِ فَيَرْكَبُهُ فَيَرْكُضُهُ فِي حَاجَةِ رَسُولِ الله وَحَيْزُوم وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ وَالْحِمَارِ عُفَيْرٍ فَقَالَ اقْبِضْهَا فِي حَيَاتِي فَذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الدَّوَابِّ تُوُفِّيَ عُفَيْرٌ سَاعَةَ قُبِضَ رَسُولُ الله قَطَعَ خِطَامَهُ ثُمَّ مَرَّ يَرْكُضُ حَتَّى أَتَى بِئْرَ بَنِي خَطْمَةَ بِقُبَا فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهُ وَرُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ الْحِمَارَ كَلَّمَ رَسُولَ الله فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ نُوحٌ فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِهِ ثُمَّ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ فَالْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ(١).

التعليق

لن نناقش ما جاء في هذا الحديث من أساطير، ولكننا فقط نُذكّر من غم على عقله من القراء واعتقد ولو لبرهة أن في هذا الحديث شيء من الصحة، بأنه ينسب للرسول أنه يتجاذب أطراف الحديث مع حمار. وإذا ما عرفنا بأن الحمار يمثل عند الناس العرب رمزاً للإهانة لدرجة أن من أقذع ألفاظ الشتم عندهم، أن يوصف الرجل بالحمار، فإن هذا الحديث محاولة للنيل منه صلوات الله عليه، والحط من قدره.

---

(١) باب ما عند الأئمة من سلاح الرسول ومتاعه ـ المجلد الأول.

في علم الأحوال الجوية

دروس في نشأت الرياح ومساراتها

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، وهشام بن سالم، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر، عن الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور وقلت: إن الناس يذكرون أن الشمال من الجنة والجنوب من النار؟ فقال: إن لله عزوجل جنودا من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه ولكل ريح منها ملك موكل بها فإذا أراد الله عزوجل أن يعذب قوما بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذبهم بها قال: فيأمرها الملك فيهيج كما يهيج الاسد المغضب، قال: ولكل ريح منهن اسم أما تسمع قوله تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر﴾ وقال: «الريح العقيم» وقال: «ريح فيها عذاب أليم» وقال: «فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت» وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه، قال: ولله عز ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته منها ما يهيج السحاب للمطر، ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطره بإذن الله، ومنها رياح مما عدد الله في الكتاب فأما الرياح الاربع: الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنما هي أسماء الملائكة

الموكلين بها فإذا أراد الله أن يهب شمالا أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر وإذ أراد الله أن يبعث جنوبا أمر الملك الذي أسمه اجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله وإذا أراد الله أن يبعث ريح الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقال على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله عزوجل في البر والبحر وإذا أراد الله أن يبعث دبورا أمر الملك الذي أسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر، ثم قال أبوجعفر: أما تسمع لقوله: ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا، إنما تضاف إلى الملائكة الموكلين بها[1].

التعليق

عندما تنقلب الأساطير الخرافية إلى دين، فليس هناك ما يقال إلا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام١١٦.

(١) حديث الريح ـ المجلد الثامن.

في منافع النعال ومضارها

النعال الصفر نزل بفضلها القرآن

عن بعض أصحابنا بلغ به جابر الجعفي، عن أبي جعفر قال: من لبس نعلا صفراء لم يزل ينظر في سرور ما دامت عليه لأن الله عزوجل يقول: «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين»[1].

التعليق

أبو جعفر يظن أن الآية تتحدث عن النعال الصفر، ولم يعلم أنها تتحدث عن بقرة بني إسرائيل التي سميت عليها السورة الثانية في ترتيب المصحف. وهذا نص الآية: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ البقرة٦٩

* * *

لبس النعال الصفر يَشُدّ الذكر (بالفتح)

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن علي الهمداني عن حنان بن سدير قال: دخلت على أبي عبدالله وفي

(١) باب ألوان النعال ـ المجلد السادس.

رجلي نعل سوداء فقال: يا حنان مالك وللسوداء أما علمت أن فيها ثلاث خصال: تضعف البصر، وترخي الذكر، وتورث الهم (ومع ذلك من لباس الجبارين) قال: فقلت: فما ألبس من النعال؟ قال: عليك بالصفراء فإن فيها ثلاث خصال: تجلو البصر، وتشد الذكر، وتدرء الهم وهي مع ذلك من لباس النبيين[1].

التعليق

هنا الإمام جعفر يؤكد فضل النعال الصفر، ويذكر بأنها لباس النبيين: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ النجم٢٨

---

(١) نفس الباب السابق.

في الطب

الرقي بالعمامة

أبوعلي الاشعري، عن بعض أصحابه، عن علي بن الحكم رفعه إلى أبي عبدالله قال: من خرج من منزله معتما تحت حنكه يريد سفرا لم يصبه في سفره سرق ولا حرق ولا مكروه.

التعليق

لا ندري لماذا يعتل ويموت أصحاب العمائم إذا، وهي لا تفارق رؤوسهم؟

ولكن يبدوا أن من يقول بما تقول به هذه الأحاديث ينطبق عليه قوله تعالى﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة١٠

وإلا فالله سبحانه يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الشعراء٧٨ ـ ٨٢

❊ ❊ ❊

تقليم الأظافر حجاب عن المرض والعاهات

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن ابن راشد قال: قال رسول الله صلى الله عليه: تقليم الاظفار يمنع الداء الاعظم ويدر الرزق(١).

وفي رواية أخرى منسوبة لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أنه قَالَ: تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يُؤَمِّنُ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْعَمَى.

التعليق

يتوجب على الشيعي الإيمان بأن الأئمة لاينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى لهم من الله، ولو آمن بأن هذا ما أوحى به الله، ألا يظن أن في ذلك إستخفاف بذات الله، تعالى الله عن ذلك؟

* * *

العلاج الرباني لمن يمارس فعل قوم لوط

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، ومحمد بن يحيى، عن موسى بن الحسن، عن عمربن علي بن عمربن يزيد، عن محمد بن عمر، عن أخيه الحسين، عن أبيه عمربن يزيد قال: كنت عند أبي عبدالله وعنده رجل فقال له: جعلت فداك إني احب الصبيان، فقال له أبوعبدالله: فتصنع ماذا؟ قال: أحملهم على ظهري فوضع أبوعبدالله يده على جبهته وولى وجهه عنه فبكى الرجل فنظر إليه أبوعبدالله كأنه رحمه فقال: إذا أتيت بلدك فاشتر جزورا سمينا وأعقله

---

(١) باب قص الأظافر ـ المجلد السادس.

عقالا شديدا وخذ السيف فاضرب السنام ضربة تقشر عنه الجلدة واجلس عليه بحرارته، فقال عمر: فقال الرجل: فأتيت بلدي فاشتريت جزورا فعقلته عقالا شديدا وأخذت السيف فضربت به السنام ضربة وقشرت عنه الجلد وجلست عليه بحرارته فسقط مني على ظهر البعير شبه الوزغ أصغر من الوزغ وسكن مابي[١].

التعليق

الحديث جاء على لسان عمر ابن يزيد الذي يتحدث عن رجل في مجلس جعفر «أبو عبدالله» عرض عليه مشكلته المتمثلة بأن يتلذذ بتمكين الغلمان من دبره، واقترح عليه جعفر حلاً بمنتهى القسوة لجمل مسكين، وذلك بعد أن يغادر الرجل ذلك المجلس، ويعود لبلاده. مما يعني أن الراوي المفترض «عمر ابن يزيد» لن يعلم بما حدث للرجل، وهو جالس في نفس المجلس. وإن علم فسيكون ذلك بعد حين، وبالتالي كان يجب أن تصاغ القصة بما يوحي بذلك.

لكن القاص لم يفطن لهذا فسرد القصة، وكأن الرجل المفعول به قد سافر لبلده وعمل باقتراح جعفر، ثم عاد وأخبر بما حدث في نفس اللحظة، وقبل أن يتفرق الجلوس من ذلك المجلس.

وحتى لو تم حبك القصة فسيبقى إحتمال التصديق بها غير وارد، لأن الله يقول عمن يقترف ما اقترفه ذلك الرجل: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ النساء١٦.

---

(١) باب من أمكن من نفسه ـ المجلد الخامس.

وسماها فاحشة: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ العنكبوت٢٨

والفواحش حرمها الله ولم يأذن الله للناس بأن يتهاونون في أمرها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف٣٣

لكن يبدوا أن من يختلق أحاديث الشيعة لديه رأي آخر حول فعل قوم لوط، وهذا ما يظهره الحديث التالي:

* * *

الله خلق بعض الناس لممارسة فاحشة قوم لوط

محمد، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبدالرحمن العزرمي، عن أبي عبدالله قال: قال أميرالمؤمنين: إن لله عبادا لهم في أصلابهم أرحام كأرحام النساء قال: فسئل فمالهم لا يحملون؟ فقال: إنها منكوسة ولهم في أدبارهم غدة كغدة الجمل أو البعير فإذا هاجت هاجوا وإذا سكنت سكنوا[1].

التعليق

الحديث ينسب لله، وعلى لسان علي ابن أبي طالب، أنه خلق رجالاً في أصلابهم أرحام كأرحام النساء، وفي أدبارهم غدة لايستطيعون معها إلا ممارسة فاحشة قوم لوط.

---

(١) نفس الباب السابق.

ولو كان هذا حق، فكيف يخلقهم الله بغدة كغدة الجمل تهيج ولا يسكنها إلا أن يفعل بهم فاحشة قوم لوط، ثم يحرم عليهم ممارسة ما ليس لهم قدرة برده، ولم يتسببوا في حدوثه لهم.

هذا تعرض لذات الله بما لا يليق، مشابه بمن نسب لله ولداً، والذي تحدث عنه القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ مريم٨٩ ـ ٩٠

ولو كان الله خلق البعض بهذه الغدد، لما أهلك قوم لوط على فعلٍ، كانت تلك الغدد هي المسببة له، ولما أنزل الآية ١٦ من سورة النساء كحد على من يقترفها من هذه الأمة.

﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً﴾ النساء٥٠

في الشعوب وطبائعها

الأكراد من الجن

محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عمن حدثه، عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبدالله فقلت: إن عندنا قوما من الاكراد وإنهم لايزالون يجيئون بالبيع فنخالطهم ونبايعهم؟ فقال: يا أبا الربيع لاتخالطوهم فإن الاكراد حي من أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم[1].

لا تعليق!

❊ ❊ ❊

والمصريون أهل دياثة ولا غيرة عندهم

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لاَ تَغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ بِطِينِ مِصْرَ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْغَيْرَةِ وَيُورِثُ الدِّيَاثَةَ[2].

لا تعليق!

❊ ❊ ❊

(١) باب من تكره معاملته ومخالطته ـ الباب الخامس.

(٢) باب الحمام ـ المجلد السادس.

العورة وسترها

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن الماضي قال: العورة عورتان القبل والدبر، فأما الدبر مستور بالاليتين فإذا سترت القضيب والبيضتين فقد سترت العورة.

وقال في رواية اخرى: وأما الدبر فقد سترته الاليتان وأما القبل فاستره بيدك[1].

لا تعليق!

(١) باب الحمام ـ المجلد السادس.

في هدي الرسول وسيرته

من درم كعبها عظم كعبثها

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن بعض أصحابنا رفع الحديث قال: كان النبي إذا أراد تزويج امرأة بعث من ينظر إليها ويقول للمبعوثة: شمي ليتها فإن طاب ليتها طاب عرفها وانظري كعبها فإن درم كعبها عظم كعبثها[1].

التعليق

اللِّيَّة: العود الذي يُتَبَخَّر به، فارسي معرب[2].

وهذا الحديث ينسب للرسول أمر مشابه في الوقاحة، لما نسبه الحديث السابق لعلي، وهما منه براء، «إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ».

* * *

الرسول أرضع الحسين

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمْ يَرْضَعِ الْحُسَيْنُ مِنْ فَاطِمَةَ وَلاَ مِنْ أُنْثَى كَانَ

(١) باب ما يستدل به من المرأة ـ المجلد الخامس.

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب.

يُؤْتَى بِهِ النَّبِيَّ فَيَضَعُ إِبْهَامَهُ فِي فِيهِ فَيَمُصُّ مِنْهَا مَا يَكْفِيهَا الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَ فَنَبَتَ لَحْمُ الْحُسَيْنِ مِنْ لَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ وَدَمِهِ(١).

التعليق

رسول الله، حسبما جاء في هذا الحديث، هو أم الحسين من الرضاعة. فهل جُن الكليني، فيما نسبه لأبي عبدالله الإمام جعفر، أم أن الإمام جعفر هو من جدّف على رسول الله بما لا يجوز؟

وفي كلا الحالين، فالإناء بما فيه ينضح، ووجود مثل هذا الحديث في الكتاب يدل على ما يحويه.

وفيما يلي حديث مشابه:

* * *

أبو طالب أم الرسول من الرضاع

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُعَلَّى عَنْ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ لَمَّا وُلِدَ النَّبِيُّ مَكَثَ أَيَّاماً لَيْسَ لَهُ لَبَنٌ فَأَلْقَاهُ أَبُو طَالِبٍ عَلَى ثَدْيِ نَفْسِهِ فَأَنْزَلَ الله فِيهِ لَبَناً فَرَضَعَ مِنْهُ أَيَّاماً حَتَّى وَقَعَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا(٢).

---

(١) باب مولد الحسين ابن علي ـ المجلد الأول.

(٢) باب مولد النبي ـ المجلد الأول.

التعليق

حسبما جاء في هذا الحديث، يكون أبو طالب خنثى مشكل، فهو من ناحية رجل أنجب علي ابن أبي طالب وإخوته، ومن ناحية أخرى إمرأة يدر ثدياها الحليب.

أو أنه إمرأة في ثياب رجال، وكل أولاده وبناته، ليس هو والدهم الحقيقي، لأنه لا يستطيع الجماع، وهذا إتهام لا يقوى عليه إلا محدثوا الشيعة.

وحتى لو لم يكن في هذا الحديث إلا القول بأن الرسول أخ لعلي ابن أبي طالب من الرضاعة، فهذا يعني أن زواج بنت الرسول فاطمة من علي باطل، لأنه عم لها من الرضاعة، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب. ويكون الحسن والحسين أبناء سفاح.

هذا ما يقوله الكليني نقلاً عن الإمام جعفر المسمى «الصادق» والذي لاينطق عن الهوى، حسبما يعتقد الشيعة، كونه يعلم الغيب، ويعلم ما لا نعلم، وورث علم النبوة، وعلوم أخرى لم يعلمها حتى الأنبياء.

في علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الأئمة

مدن لله في الأرض

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ رِجَالِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ إِنَّ الْحَسَنَ قَالَ إِنَّ لله مَدِينَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالْمَشْرِقِ وَالاخْرَى بِالْمَغْرِبِ عَلَيْهِمَا سُورٌ مِنْ حَدِيدٍ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَلْفُ أَلْفِ مِصْرَاعٍ وَفِيهَا سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ لُغَةٍ يَتَكَلَّمُ كُلُّ لُغَةٍ بِخِلافِ لُغَةِ صَاحِبِهَا وَأَنَا أَعْرِفُ جَمِيعَ اللُّغَاتِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا عَلَيْهِمَا حُجَّةٌ غَيْرِي وَغَيْرُ الْحُسَيْنِ أَخِي[1].

التعليق

الكليني المتوفى عام ٣٢٨، ينقل عن الإمام جعفر المتوفى سنة ١٤٨، الذي ينقل عن الحسن ابن علي المتوفى سنة ٥٠ للهجرة، أن هناك مدينتين لله على الأرض، وأن في كل مدينة سبعين مليون لغة، يجيدها الحسن وأخوه الحسين.

ولا ندري ما هي حاجة الحسن والحسين لإجادة ما لايعقل من اللغات عدداً ونوعاً، ولا حاجتهما لتعلم لغات مدن لم يسبق لهما أن ذهبا إليها؟

(١) باب مولد الحسن ابن علي ـ المجلد الأول.

كما لاندري لماذا أنشأ الله مدناً له على الأرض؟

وهل سكانها البالغ عددهم سبعون مليون في كل مدينة، من البشر، أو من الملائكة، أو من مخلوقات أخرى؟

فإن كانوا من البشر، فلماذا سجنهم الله في مدن محاطة بسور من حديد؟

وإن كانوا ملائكة فلا حاجة لهم لمدن مسورة، أو غير مسورة، لأنهم نورانيون ولا أجساد مادية لهم.

وإن كانوا من مخلوقات أخرى غير الحيوانات، فلماذا وجدوا على الأرض التي خلقها الله ليعيش عليها البشر؟ ولماذا عزلوا عن البشر بسور من حديد؟

وكل هذه التساؤلات إفتراضية فقط، وإلا فليس هناك مدن لله كما يصورها الحديث على الأرض. والحديث يظهر فقط جهل مختلقه بشكل الأرض، ولذلك افترض أن لها نهاية تشرق منها الشمس، ونهاية أخرى تغرب منها الشمس، لجهله أن الأرض كروية وتبعاً لدورانها فهناك غروب وشروق مستمر على مدار اليوم والليلة في مكان ما.

ونصل للقول بأنه إن كان الكليني لم يكذب على جعفر، ونقل لنا فعلاً هذا الكلام عنه، فإن الإمام جعفر هو من كذب على الله، وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة٧٥

ويكون من يصدق جعفر فيما يقول، ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ المجادلة١٤

* * *

موسى «الكاظم»، يسوع الشيعة

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى قَالَ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عَلَى الشِّيعَةِ فَخَيَّرَنِي نَفْسِي أَوْ هُمْ فَوَقَيْتُهُمْ وَالله بِنَفْسِي[1].

التعليق

الإمام السابع في الترتيب، موسى ابن جعفر، الملقب «الكاظم» ينسب له هنا أن الله جل جلاله، قد إتصل عليه، بطريقة أو بأخرى. والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى٥١

فكيف حصل التواصل بين موسى وبين الله يا ترى؟

وينسب الحديث لموسى أيضاً أنه في حديثه مع الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، خيره الله بين أن يعذب الشيعة، لذنب إقترفوه، وبين أن يفديهم موسى بروحه، ففداهم بروحه.

ويكون موسى قد قتل فداءاً لذنوب الشيعة، وبالتالي فليس على الشيعة أن يعملوا بأوامر الله وينتهوا عن نواهيه ويقموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، لأن الله قد عفر لهم ذنوبهم بدم إمامهم موسى. وهو إعتقاد سبق المسيحيون الشيعة عليه، عندما قالوا بأن يسوع قد قتل على الصليب فداءاً لذنوبهم، مع أن الله يغفر الذنوب لمن تاب دون مقابل مادي: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ الذاريات٥٧

---

(١) بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ يَعْلَمُونَ مَتَى يَمُوتُونَ وَأَنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ إِلا بِاخْتِيَارٍ مِنْهُمْ ـ المجلد الأول.

ولكن ملة الكفر واحدة، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ البقرة١١٣

* * *

العقل والدين والحياء أرواح وليست صفات

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنِ الاصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ علي قَالَ هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ فَقَالَ يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ فَاخْتَرْهَا وَدَعِ اثْنَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ يَا جَبْرَئِيلُ وَمَا الثَّلاثُ فَقَالَ الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالدِّينُ فَقَالَ آدَمُ إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ لِلْحَيَاءِ وَالدِّينِ انْصَرِفَا وَدَعَاهُ فَقَالا يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ قَالَ فَشَأْنَكُمَا وَعَرَجَ[(١)].

التعليق

هذا الحديث يُنسب لعلي ابن أبي طالب، وكأنه يعلم الغيب، فعرف بما دار بين آدم وجبريل، بينما ينفي الله عن الرسول أن يكون يعلم غيب الأمم السابقة إلا ما علمه الله في القرآن، ومن ذلك قصة يوسف وإخوته: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يوسف١٠٢.

والنص يقول أن جبريل قال لآدم: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ

(١) كتاب العقل والجهل.

ثَلاثٍ فَاخْتَرْهَا وَدَعِ اثْنَتَيْنِ». وبعد أن يختار العقل، يرفض الحياء والدين أن يتركا العقل، مع أن الآمر هو الله.

فالدين والحياء يرفضان أمر الله، كما رفض إبليس السجود لآدم، فلماذا لم يعاقبهما الله؟

والجواب سهل وبسيط، فمن أخبرنا بمعصية إبليس هو القرآن، الذي لاينطق عن الهوى، بينما خرافة أن العقل والدين والحياء ـ وهي مصطلحات لفظية ـ تتخاطب فيما بينها، وتخاطب ملائكة الله ورسله، وتملك عقلاً يفكر، فهي صناعة القصاص، ومن صدقهم فقد صدق بما لا يليق.

في القرآن وعلومه

ثلثي القرآن سكت عنه الرسول ولم يبلغه

علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية[1].

التعليق

إذا عرفنا أن عدد الآيات التي يضمها المصحف الذي بين أيدينا تزيد قليلاً عن ستة آلاف آية، فالحديث يقول أن أكثر من ثلثي القرآن الذي نزل على محمد مفقود.

وهذا يعني واحد من إحتمالين، هما:

أن أحداً ما، بعد محمد، قد أخفى ثلثي القرآن، وهذا ليس عليه أي دليل أو شاهد، وإن كان هناك إتهام من بعض الشيعة لأبي بكر وعمر وغيرهم أنهم أخفوا آيات تتحدث عن علي بالإسم، وسنأتي على بعض منها لبيان سطحيتها، وإختلاقها.

أو أن الرسول هو الذي أخفى أكثر من ثلثي القرآن، ولم يبلغه للناس، فلماذا لم يخف قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

(١) باب النوادر ـ المجلد الثاني.

لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾بني إسرائيل٧٣ ـ ٧٥

مع أنها آيات تحذر الرسول من أن يغير ولو آية أو كلمة مما ينزل عليه.

وكيف نتصور أن الرسول لم يخف التحذير التالي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة٦٧

ولو كان الرسول يستطيع إخفاء ولو القليل مما نزل عليه لأخفى بعض الآيات التي توبخه وتحذره، مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام٥٢

ولكنهم «يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

* * *

مثال على ما سكت عنه الرسول من القرآن

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ الله عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْقُمِّيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله فِي قَوْلِهِ وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ كَلِمَاتٍ فِي مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالائِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ فَنَسِيَ هَكَذَا وَالله نَزَلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ[1].

(١) بَابٌ فِيهِ نُكَتٌ وَنُتَفٌ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلايَةِ ـ المجلد الأول.

التعليق

الآية التي ذكرت محرفة في هذا الحديث، هي الآية رقم ١١٥ من سورة طه المكية، والتي نزلت في أول البعثه، بدليل الآية التي سبقت هذه الآية والتي تقول: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾طه١١٤

فأمر الله لرسوله بعدم الاستعجال بترديد ما يوحى إليه، جاء في بداية البعثة، لتطمينه بأنه سينسخ في ذاكرته بطريقة لن ينساه معها أبداً.

وتلى ذلك نزول الآيات التالية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى. وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى. فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى. فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾طه١١٥ ـ ١٢٢

وتكون هذه الآيات نزلت عندما كان علي ابن أبي طالب طفلاً، وقبل أن يعلم أنه سيتزوج بفاطمة بعد سنوات وأنه سيرزق منها بأطفال، فما بالك بمن يسميهم الشيعة بالأئمة الذين توقف عددهم عند الإمام الثاني عشر في العام ٢٦٠ للهجرة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام٢١

* * *

وأمثلة أخرى

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير قال: بينا رسول الله ذات يوم جالسا إذ أقبل أمير المؤمنين فقال له رسول الله: إن فيك شبها من عيسى بن مريم ولو لا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولا لا تمر بملاء من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة قال: فغضب الاعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلا إلا عيسى ابن مريم فأنزل الله على نبيه فقال: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم (يعني من بني هاشم) ملائكة في الأرض يخلفون﴾ قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك إن بني هاشم يتوارثون هرقلا بعد هرقل فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ثم قال له: يا بن عمروإما تبت وإما رحلت؟ فقال: يا محمد بل تجعل لسائر قريش شيئا مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ليس ذلك إلي ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد قلبي ما يتابعني على التوبة ولكن ارحل عنك فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضخت هامته ثم أتى الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ﴿سأل سائل بعذاب واقع

* للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع * من الله ذي المعارج﴾ قال: قلت: جعلت فداك إنا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال الله عز وجل: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾(١).

التعليق

الآيات التي وردت في الحديث من سورة الزخرف، وقد نزلت في بداية الدعوة في مكة، وقبل أن يعلم علي ابن أبي طالب أنه سيهاجر للمدينة وسيتزوج بإحدى بنات رسول الله، ومن ثم يولد له أبناء وبنات، والآيات تخاطب قريش وتدعوهم لدين الله، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ. إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ. وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف٥٧ ـ ٦٤

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال٣٣

وسورة المعارج، التي تفتتح بقوله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»،

---

(١) رسالة منه إليه ـ المجلد الثامن.

لم تنزل بمن يكفر بولاية علي ابن أبي طالب التي يظن الشيعة أنها له، لأنها نزلت في مكة وينطبق عليها ما قيل عن سورة الزخرف، من أنها نزلت وعلي لازال طفلاً، إن كان قد ولد.

ولكنهم ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران٧٨

وبعد. . . .

فما قدمناه لم يكن أغرب ما جاء في الكافي ولكنه كافٍ لإعطاء صورة واضحة عما يحويه كتاب الكليني، حجة الشيعة في عقائدهم.

المحصلة النهائية

لقد منع الرسول أن تكتب أقواله وأفعاله حتى لا يقدسها الناس فيما بعد، ويعتبروها جزءاً من دين الله. لذا لم يكتب زمن الرسول إلا القرآن، الذي لم يعرف الناس حديثاً غيره طوال فترة الخلفاء الأربعة، على أقل تقدير.

ولأن الدين لله، وما محمد إلا عبد ورسول له سبحانه، كُلّف بتبليغ الرسالة ـ ممثلة بالقرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ النساء١٠٥

فقد قام بكتابة القرآن ليس اجتهاداً منه صلوات الله عليه، ولكن إمتداداً لمسئوليته في تبليغ الرسالة للناس كافة وفي كل العصور ـ كونه خاتم النبيين ـ ليبقى الوحي حياً بين الناس لمن أراد الهداية بعد موته.

ولو كان ما سمي «بالحديث» جزءاً من دين الله، لوجب على محمد أن يكتبه كما كتب القرآن، ولو لم يفعل فسيكون كمن لم يبلغ رسالة ربه، لأن ترك جزء من الدين، ترك للدين كله. والرسول لا يملك الحق في تبليغ البعض وترك البعض الآخر: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ هود١٢

ودين الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يمثله غير كتاب الله، حتى ولو كان كلاماً ثبت يقيناً أن رسول الله قد قاله، وهذا ما لايتوفر في ما يسمى «بالحديث» الذي يعتمد عليه رجال الدين في تشريعاتهم، بحجة أنه منسوب للرسول. لأن نصوصه كلها نصوص ظنية لا يمكن أن تصل لدرجة اليقين: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يونس٣٦

وقد قدمنا في هذا الكتاب أمثلة على الإختلاف بين نصوص الحديث ونصوص القرآن، للتدليل على أنه يتعذر أن تكون تلك الأحاديث من دين الله، لأنها تتعارض مع كتاب الله.

وهذا ينطبق على الأحاديث التي لم نذكرها، سواءاً في البخاري أو في كل كتب الحديث الأخرى لدى كل المذاهب، وبإمكان القراء الكرام التأكد من ذلك بأنفسهم، وذلك بقراءة أي حديث، وتحليله، ومن ثم تدبر القرآن الكريم، وسيجد أنه لن يخرج عن الحالات التالية:

إما أنه يوافق القرآن، وهذا لا حاجة لنا به لأن لدينا نصاً إلهياً، يمثل دين الله الذي هو لله وحده.

أو أنه يخالف القرآن، وبالتالي يستحيل أن يكون مصدره الله أو رسوله.

أو أنه يزيد على ما في القرآن أو ينقص منه، ولو أخذنا به لاتخذنا قائله رباً من دون الله، أو مع الله.

أو أنه يعرض خرافات وأساطير يجب تنزيه دين الله منها.

وكل المذاهب والفرق الإسلامية تعتمد ـ فيما تختلف فيه ـ من مسائل فقهية على الحديث: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا

الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الحجر ٩٠ ـ ٩٣

وعضين تعني التفريق، ويدعم هذا قوله: «المقتسمين»، أي الذين اختلفوا حوله، فأخذوا ببعضه وتركوا البعض، فوجدت المذاهب والفرق، التي كلها خرجت عن طريق الله القويم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام١٥٩

ولو اعتمدوا القرآن وحده دون تأويل لما اختلفوا: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ النساء٨٢

ولأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق٤٥

وسوف نختم بالتذكير ببعض الآيات التي تؤكد أن دين الله لا يمثله إلا القرآن وحده، وأن الرسول لا يتلقى من الله غير القرآن، ولا يعلم من الدين غير ما يخبره به القرآن: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف٣

وسنكتفي بما جاء في سورة بني إسرائيل، حيث نقرأ في بداية السورة أن القرآن يهدي للطريقة الأقوم من كل طرق المذاهب والفرق التي تفرق عليها المسلمون: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾بني إسرائيل٩

وفي آية لاحقة يؤكد سبحانه وتعالى أن القرآن يحوي كل ما يحتاجه المؤمن: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورا﴾بني إسرائيل٤١

لكن الناس يظنون أن القرآن وحده لايكفي: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾بني إسرائيل ٤٦

مع أن الله أودع فيه كل ما يحتاجه الناس لشفاء القلوب والعقول من الكفر والشرك والضلال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾بني إسرائيل٨٢

فهو كامل لا يحتاج لعون من الناس، ولو اجتمع الخلق كلهم من بشر وكل مخلوقات الله التي لانراها لما استطاعوا أن يأتوا بما جاء به القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾بني إسرائيل٨٨

وبرغم تمام القرآن وكماله، إلا أن الناس يصرون على البحث عن نصوص أخرى يتبعونها كجزء من دين الله، ولم ينتبهوا إلى أن هذا كفر بما أنزل الله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾بني إسرائيل٨٩

ويبقى القرار بيد كل شخص ليتبع ما يهديه إليه عقله: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ. فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم٢٨ ـ ٣٢

والسلام عليكم

المراجع

ـ القرآن الكريم

ـ البخاري/ صحيح البخاري / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ مسلم/ صحيح مسلم/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ ابن قرناس/ سنة الأولين/ منشورات الجمل ـ ألمانيا

ـ ابن هشام/ سيرة ابن هشام/ الناشر: دار المعرفة ـ بيروت

ـ ابن كثير / البداية والنهاية / الناشر: مكتبة المعارف ـ بيروت

ـ ابن جرير الطبري/ تاريخ الطبري / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ ابن جرير الطبري / جامع البيان في تفسير القرآن/ طباعة ونشر دار المعرفة ـ بيروت

ـ أبو عبدالله القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

ـ يعقوب الفيروزأبادي / التفسير المنسوب لإبن عباس/ دار الفكر ـ بيروت

ـ التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري/ الطبعة الأولى/ الناشر: مؤسسة الإمام المهدي، قم ـ ايران

ـ أبو جعفر محمد ابن الحسن ابن علي الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي/ الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ ايران

ـ سيد محمد حسين الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن/ الطبعة الثالثة/ دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران

ـ مالك ابن أنس / موطأ مالك / الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت

ـ ابن حجر العسقلاني / الإصابة في تمييز الصحابة / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ ابن عبد البر القرطبي / الإستيعاب في معرفة الأصحاب / الناشر: دار الكتب العلمية

ـ ابن الأثير الجزري / أسد الغابة في معرفة الأصحاب / الناشر: دار المعرفة ـ بيروت

ـ ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ الذهبي/سير أعلام النبلاء/ دار الفكر ـ بيروت

ـ الذهبي/ تذكرة الحفاظ/ دار الكتب العلمية ـ بيروت

ـ أبو جعفر الوراق الطحاوي/ العقيدة الطحاوية / الناشر غير معروف

ـ أمير محمد الكاظمي القزويني/ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم/ دار الطليعة ـ الكويت

ـ معجم الأمثال والحكم/ أبو الفضل الميداني/ الناشر: دار ابن زيدون ـ بيروت

ـ الكتاب المقدس/ طباعة ونشر جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى

ـ مقتطفات من التلمود/ موقع على الإنترنت

الفهرس